جامعة محمد الخامس بالرباط
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مركز دراسات الدكتوراه: "الإنسان والمجال في العالم المتوسطي"

تكوين الدكتوراه: "الفكر الإسلامي المعاصر وقضايا المجتمع والبيئة في العالم المتوسط"

فريق البحث: "الفكر الإسلامي وفن الخطاب وقضايا البيئة والمجتمع"

عنوان الأطروحة:

القراءات القرآنية وأثرها في فهم القرآن الكريم وتدبره

أطروحة للحصول على شهادة الدكتوراه

من إعداد الطالب الباحث: ربيع شكير

تحت إشراف:

الدكتور التهامي الراجي الهاشمي والدكتور سعد الدين العثماني والدكتور العربي بوسلهام

السنة الجامعية

1440هـ/ 2018م

مركز دراسات الدكتوراه: "الإنسان والمجال في العالم المتوسطي"

تكوين الدكتوراه: "الفكر الإسلامي المعاصر وقضايا المجتمع والبيئة في العالم المتوسط"

فريق البحث: "الفكر الإسلامي وفن الخطاب وقضايا البيئة والمجتمع"

عنوان الأطروحة:

القراءات القرآنية وأثرها في فهم القرآن الكريم وتدبره

أطروحة للحصول على شهادة الدكتوراه

من إعداد الطالب الباحث: ربيع شكير

تحت إشراف:

الدكتور التهامي الراجي الهاشمي والدكتور سعد الدين العثماني والدكتور العربي بوسلهام

السنة الجامعية

1440هـ/ 2018م

القراءات القرآنية وأثرها في فهم القرآن الكريم وتدبره

إعداد الطالب الباحث:ربيع شكير

صودق عليها:

_____	_____
_____	_____
(الاستاذ المشرف)	(رئيس اللجنة)
_____	_____
_____	_____
(عضو اللجنة)	(عضو اللجنة)
_____	_____
_____	_____
(عضو اللجنة)	(عضو اللجنة)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[1].

وقال سبحانه:

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[2].

[1] - سورة النساء، الآية: 82.

[2] - ســـورة ص، الآية: 29.

قـــال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم :

«أقـرأني جبريـل علـى حـرف فراجعتـه، فلـم أزل أسـتزيده ويزيـدني حـتى انتهـى إلى سـبعة أحرف»[3].

[3] –صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ح: 3047.

قال الإمام السيوطي رحمه الله:

«وتسن القراءة بالتدبر والتفهم، فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب»[4].

[4] - الإتقان، ج: 01، ص: 368.

إهـــداء

إلـى والديّ العزيزين الكريمين: تقديراً لحقهما، واعترافاً بفضلهما

وإلـى شيوخي وأساتذتي الكرام

إلـى كل محبٍ من الأصدقاء والأقارب

إلـى كل من أحسن إلي من قريب أو من بعيد

إلـى كل مسلمٍ حريصٍ على كتاب الله

إلـى هؤلاء جميعاً أهدي هذا الجهد، سائلا ربي أن ينفع به الجميع

فاللهم اغْمُرْ برحمتك الماضين، وأَطِلْ في طاعتك أعمار الباقين

آميـــــــــــن

❑ ❑ ❑

كلمة شكر وتقدير

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره على ما أنعم به علي من النِّعم الجسيمة والآلاء العظيمة، وما فتح به علي من الفتوح وما وفقني إليه من القيام بهذه الرسالة، وأسأله سبحانه وتعالى أن يرزقني الإخلاص والقبول، فله الحمد أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً. وأصلي وأسلم على رسول الله سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمـــا بعد، فقد قال الله عز وجل: ﴿**وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ**﴾[5]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**»[6].

فبتوفيق الله وإعانته أنجزت هذا البحث، فله الحمد والشكر والثناء الحسن في الأولى والآخرة على تيسيره وتسهيله.

[5] –سورة لقمان، الآية : 12.

[6] –أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، ج: 2، ص: 295، حديث رقم: 7926. والبخاري في الأدب المفرد، كتاب المعروف، باب من لم يشكر الناس، ج: 1، ص: 85، حديث رقم: 218. وأبو داود في سننه كتاب الأدب، باب شكر المعروف، ج: 4، ص: 225، حديث رقم: 4811، وأخرجه الترمذي في سننه كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ج: 4، ص: 339، حديث رقم: 1962، وقال هذا حديث حسن صحيح. والطبراني في المعجم الكبير، ج: 1، ص: 195، حديث رقم: 519، والبيهقي في شعب الإيمان، ج: 6، ص: 516، حديث رقم: 9117.

ومن تمام شكر الله عز وجل أن أشكر من أوصاني بشكرهما فقال سبحانه وتعالى: ﴿**أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ**﴾[7]، فأشكر والدي الكريمين اللذين كانا دوماً حاثين لي على الطلب والتحصيل، وبذلا وسعهما لتيسير ذلك علي، فزرعا في قلبي حب العلم وأهله، فجزاهما الله عني خير ما جزى والداً عن ولده.

وانطلاقاً من الآية الكريمة والحديث الشريف السابقين فإنه يطيب لي في افتتاحية هذه الرسالة أن أسجل لأصحاب الفضل فضلهم، فأقدم شكري وتقدري لجامعة محمد الخامس ممثلة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، التي أتاحت لي فرصة تسجيل هذا البحث وإعداده.

ثم أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذي وشيخي المرحوم فضيلة الدكتور التهامي الراجي الهاشمي رحمه الله رحمة واسعة .

ويمتد شكري وتقديري للمشرف الثاني فضيلة الأستاذ الدكتور سعد الدين العثماني على تفضله بقبول الإشراف على رسالتي، وعلى ما غمرني به من جهده ووقته وعلمه، وقد أفادني بتوجيهاته السديدة وإرشاداته القيمة.

[7] –سورة لقمان، الآية : 14.

وأخص بالشكر والتقدير وفائق الاحترام أستاذي الفاضل العالم المربي الدكتور العربي بوسلهام حفظه الله الذي أعانني في اختيار هذا البحث وإنجازه. كما أخص بالشكر والتقدير أستاذي الفاضل الدكتور ربيع سعيد الذي أفادني بالملاحظات المنهجية والنصائح العلمية ذات الصلة بالموضوع.

كما أتقدم بالشكر والعرفان لفضيلة المناقشين على تفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث وإثرائه بالنصائح والتوجيهات القيمة.

وأرجو الله أن يتقبل عملي هذا، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، ولا أدعي أني استوفيت جوانب الموضوع، فإن الكمال لله عز وجل، والنقص دائما من طبيعة البشر، فما كان فيه من توفيق وصواب فمن الله عز وزجل، وما كان فيه من تقصير أو تفريط فمن نفسي، وحسبي أنني قصدت منه الخير فاستفرغت فيه وقتاً، وبذلت جهدا، والله حسبي ونعم الوكيل. ويحضرني في هذا المقام قول الإمام الشاطبي رحمه الله:

وظُنَّ بهِ خيراً وسامح نسيجـهُ ... بالاغضاءِ والحسنى وإن كانَ مهللاَ

وسلِّم لإحدى الحسنيين إصابةٌ ... والأُخرى اجتهادٌ رامَ صوْباً فأَمْحلاَ

وإنْ كان خَرْقُ فادَّركه بفضْلـةٍ ... من الحلم ولْيُصلحهُ من جاد مِقْولاَ[8]

❑ ❑ ❑

[8] – حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع: القاسم بن فيره الشاطبي، الأبيات رقم : 76-77-78.

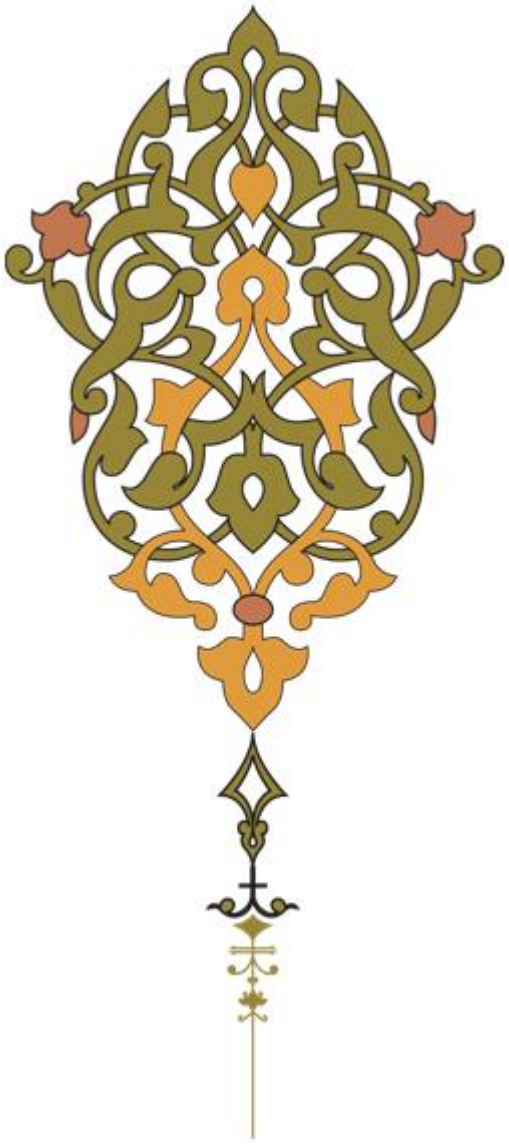

ملخص الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذه رسالة بعنوان "**القراءات القرآنية وأثرها في فهم القرآن الكريم وتدبره**"، حاولت من خلالها الوقوف على اختلاف وجوه القراءات القرآنية العشرة المتواترة في عدد من الآيات القرآنية الكريمة وبيان ما أفضى إليه هذا الاختلاف من تنوع في الفهم والتدبر واستنباط الأحكام والمعاني الجديدة؛ إذ الاختلاف والتنوع بين القراءات القرآنية يقوم مقام تعدد الآيات، وهو من ضروب الإعجاز وبرهان ساطع على أن هذا القرآن بقراءاته كلام الله عز وجل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه سلسلة واحدة متصلة الحلقات محكمة السور والآيات متآخذة المبادئ والغايات مهما تعددت طرق قراءته وتنوعت فنون آدائه.

وقد اشتملت هذه الرسالة على مقدمة وبابين وخاتمة، وتحت كل باب فصول، وتحت كل فصل مباحث ، وفق الترتيب الآتي:

المقدمة: تحدث فيها عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وبعض الدراسات السابقة فيه، والصعوبات التي واجهتني، ومنهجي وخطة فيه.

الباب الأول: بعنوان القراءات القرآنية وتدبر القرآن الكريم، وقسمته إلى فصلين:

الفصل الأول: القراءات القرآنية: تعريفها وجهود الأمة فيها، وفيه ثلاثة مباحث:

تحدث في المبحث الأول عن تعريف القراءات القرآنية وما يستفاد منه، وفي المبحث الثاني عن جهود الأمة في خدمة القراءات القرآنية، وفي المبحث الثالث عن صلة القراءات بالفهم القرآن الكريم وتدبره.

الفصل الثاني: تدبر القرآن الكريم: تأملات ووقفات، وفيه ثلاثة مباحث:

تحدث في المبحث الأول عن حقيقة التدبر والفرق بينه وبين الفهم والتفكر والتأمل، وفي المبحث الثاني: مهارات تدبر القرآن الكريم، وفي المبحث الثالث عن بعض قواعد تدبر القرآن الكريم.

الباب الثاني: بعنوان أثر القراءات في فهم القرآن الكريم وتدبره، وقسمته إلى فصلين:

الفصل الأول: أثر القراءات من جهة اللغة والأسلوب، وفيه ثلاثة مباحث: تحدث في المبحث الأول عن أساليب الالتفات والبناء للفاعل والمفعول الواردة في القراءات القرآنية المتواترة وأثرها في فهم القرآن الكريم وتدبره، وفي المبحث الثاني عن أثر المفاعلة والاستئناف والتكثير، وفي المبحث الثالث الخبر والإنشاء وتعدد اللغات.

الفصل الثاني: أثر القراءات من جهة المعنى، وفيه ثلاثة مباحث: تحدثت في المبحث الأول عن القراءات القرآنية التي بينت المعنى المقصود، وفي المبحث الثاني عن القراءات القرآنية التي وسعت الفهم وأضافت معنى تدبري جديد للآية، وفي المبحث الثالث عن القراءات القرآية التي أزالت إشكالا في الفهم والتدبر.

الخاتمة: وأثبتُّ فيها أهم النتائجِ العلمية التي توصلت إليها، ثم ذيلت ذلك بتوصيات واقتراحات، ثم ذيلت الرسالة بالفهارس المألوفة، وفق المنهج العلمي المتبع.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

❑ ❑ ❑

RESUMÉ

Par

RABII CHAKIR

C'est une thèse intitulée les lectures coraniques et leurs impacts sur le coran et son interprétation.

A travers cette thèse, j'ai essayé de relever les différentes facettes des dix lectures coraniques dans plusieurs versets coraniques et de montrer le résultat de ces différences pour comprendre, interpréter et découvrir de nouveaux sens.

Cette pluralité des lectures travaille le grand nombre de versets coraniques, ce qui montre d'une manière claire que le coran est la langage de Dieu, qui ne peut être falsifié, et qu'il est une suite successif de versets bien enchainés avec des objectifs bien précis, malgré les différentes lectures.

Cette thèse contient une introduction, deux chapitres et une conclusion. Et sous chaque chapitre, quelques actes et dans chaque acte des sujets selon l'ordre suivant:

Dans l'introduction, j'explique l'importance de thèse traité et pourquoi je l'ai choisi. Je parle aussi de quelques études qui m'ont précédé dans l'étude de ce sujet, sans oublier quelques obstacles qui ont entravé ma méthode et ma stratégie de travail.

Chapitre 1: Les différentes lectures pour comprendre le coran, et je l'ai divisé en deux actes

Acte 1: Lectures coraniques, définitions et différentes recherches effectuée On y trouve trois parties:

a- Définitions des différentes lectures, et ce qu'on comprend

b- Recherches effectuées à ce sujet

c- Le lieu entre ces lectures et la compréhension

Acte 2: Comprendre le Coran (contempler, pause….)

On y trouve trois parties aussi:

a- La vérité de la compréhension et la différence entre penser et contempler

b- Les compétences pour comprendre le Coran

c- Les règles pour comprendre le Coran

Chapitre 2: L'impact des lectures sur la compréhension du Coran, et je l'ai divisé en deux actes

Acte 1: L'influence des lectures du coté langue, style. On y trouve trois parties

a- Construire et se détourner pour l'effet et facteur

b- Réacteurs, …

c- la pluralité des langages …

Acte 2: L'influence des lectures du coté sémantiques

On y trouve trois parties:

a- Des lectures qui' ont monté le sens

b- Des lectures qui' ont élargi et ajouté d'autres sens

c- Des lectures qui' ont enlevé un problème de sens.

Conclusion:

J'ai démontré dans la conclusion les résultats scientifiques, les plus importants, qui j'ai atteint. J'ai noté ceci avec quelques propositions et recommandations, ainsi qu'un sommaire selon la norme.

❑ ❑ ❑

ABSTRACT

By

RABII CHAKI

In this dissertation entitled "Quranic Recitations and Their Impact on Comprehending and Contemplating the Quran," I attempt to highlight the diversity of the ten Quranic recitations through a number of Quranic verses and highlight its outcomes in understanding, contemplating, and inducing rules and new meanings. The diversity among the Quranic recitations supplants diversity in Quranic verses. This is an emblem and evidence that the Quran is Allah's incontrovertible word and a series whose chapters and verses as well as tenets and objectives are interconnected no matter how diverse the styles and ways of its recitation.

As follows, this dissertation comprises an introduction, two parts and a conclusion, and each part is divided into chapters and sections:

Introduction: It concerns the importance of the subject matter and the motives behind its choice, reviews the literature, and considers the methodological obstacles faced.

I. Part One: Quranic Recitations and the Contemplation of the Quran
    a. Quranic Recitations: Definitions and Efforts
        i. Defining the Quranic Recitations
        ii. The Ummah's Effort in the Service of the Quranic Recitations
        iii. The Quranic Recitation's Link to Comprehension and Contemplation

b. Contemplating the Quran: Contemplations and Considerations
    i. The Truth of Contemplating the Quran and its Difference from Understanding and Meditating
    ii. The Skills of Contemplating the Quran
    iii. The Rules of Contemplating the Quran

II. Part Two: The Impact of Recitations on Comprehending and Contemplating the Quran
    a. The Impact of Recitations in Terms of Language and Stylistics
        i. Predicate, Phraseology and Linguistic Diversity
    b. The Impact of Recitation in Terms of Semantics
        i. Recitations Which Show Meaning
        ii. Recitations Which Elaborate upon Meaning and Invoke Contemplation

iii. Recitations Which Solve Problems of Meaning and Contemplation

Conclusion: I bring to the fore the major scientific findings accomplished together with suggestions and recommendations followed by appendices in line with scientific methodology.

❑ ❑ ❑

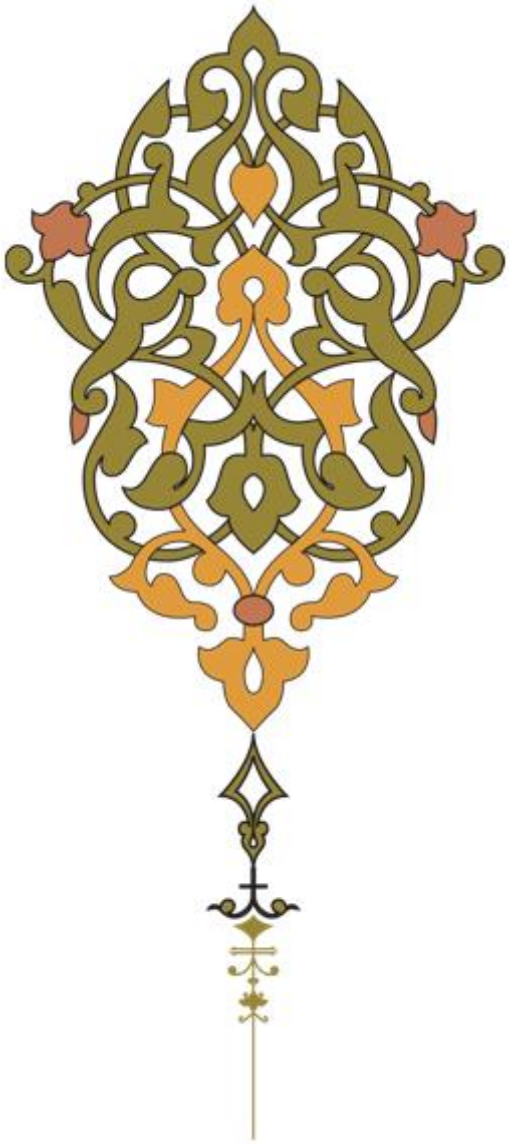

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فأعجزت لغته الفصحاء، وأعيت بلاغته البلغاء، وحيرت معانيه العلماء، وأبهرت قراءاته القراء. والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد الخلق وإمام الأنبياء، وعلى آله وصحابته النجباء، ومن تبعهم إلى يوم الدين من الأتقياء.

أما بعد..

فإن القرآن الكريم مرشدُ البشريةِ وهاديها للتي هي أقوم مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هذَا القُرآنَ يَهدي لِلَّتي هِيَ أَقوَمُ وَيُبَشِّرُ المؤمِنينَ الَّذينَ يَعمَلونَ الصّالِحاتِ أَنَّ لَهُم أَجرًا كَبيرًا﴾[9]، وقد أمرنا الله تعالى بفهمه وتدبره تحقيقا لمقصده الأعظم الوارد في قوله سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[10].

وإذا كان الفهم والتدبر هما المقصود الأعظم والمطلوب الأهم من نزول القرآن الكريم فإن الانتفاع بهذا القرآن لا يتحقق إلا بهما. وجدير بالذكر أن الفهم مرحلة سابقة على التدبر، فلا يوصل إلى تدبـــــر

[9] –سورة الإسراء، الآية: 09.

[10] –سورة ص، الآية: 29.

كلام الله تعالى قبل أن يوصل إلى فهم المراد منه؛ كما أن التدبر بلا فهم هو تعسف قبيح في التعامل مع النص القرآني.

والأقبح منه ما ظنه البعض أن التدبر هو فهم الآيات ومعرفة معانيها والبحث في أدبارها ونِكاتها، أو أنه إعمال الفكر وتفريغ العقل والوقوف عند عجائب القرآن. والحق أن التدبر هو هدايات وتأثرات، وفعل وترك، واستقامة على أمر الله، ولهذا لا ينبغي الخلط بينه وبين الفهم، فالفهم عمل عقلي غرضه كشفُ المعاني، أما التدبر فهو عمل قلبيٌ غرضه الوصول بالقارئ إلى حالة من الزجر والاتعاظ والمراقبة وفعل الواجبات وترك المحرمات، فالأول وسيلة وحجة، والثاني غاية وخشية، ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله: «إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، وما تدبُّر آياته إلا باتباعه، وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده».

وقال السيوطي[11] رحمه الله: «وتسن القراءة بالتدبر والتفهم، فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب»[12].

[11] – عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (849هـ-911هـ/1445-1505م)، عالم موسوعي في الحديث والتفسير واللغة والتاريخ والأدب والفقه وغيرها من العلوم، ولد في القاهرة ونشأ فيها ورحل إلى الشام والحجاز واليمن ثم عاد إلى مصر واستقر بها حتى توفي، ذكر له من المؤلفات مايزيد عن 600 مؤلف. (الأعلام: بدر الدين الزركلي، ج: 3، ص: 301).

[12] -الإتقان، ج: 01، ص: 368.

ولكي يتحقق فهم القرآن الكريم وتدبره على الوجه الصحيح لا بد من مواد شرعية، وأصول نقلية، على رأسها "**القـــراءات القرآنيـــة**". فلهذا الأصل أثر كبير في فهم القرآن الكريم وتدبره لما يزخر به من مواد سخية وفوائد مغنية في اللغة والفقه والتفسير والأصوات وغيرها. ولأن القراءات من جملة ما أوحى الله تعالى به إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وهي من المواد الشرعية التي يجب على الأمة أن تعتني بها، ولهذا فقد خطر ببالي أن أكتب فيها بحثا علميا أكشف من خلاله عن أثرها في فهم التنزيل وتدبره. وقد قوّى الله تعالى لهذا البحث عزمي فسميته:

" القراءات القرآنية وأثرها في فهم القرآن الكريم وتدبره"

❑ ❑ ❑

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

هناك أسباب عدة دفعتني لاختيار هذا الموضوع يمكن إجمالها في الآتي :

1. الحصول على الأجر والثواب المترتبين على خدمة القرآن الكريم وعلومه، وكذلك الانخراط في طائفة المشتغلين بعلوم الشريعة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿فَلَولا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرقَةٍ مِنهُم طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهوا فِي الدّينِ وَلِيُنذِروا قَومَهُم إِذا رَجَعوا إِلَيهِم لَعَلَّهُم يَحذَرونَ﴾[13].
2. التعرف على جهود العلماء في خدمة التدبر، فهذه الجهود أمانة عظيمة لا يجوز التفريط فيها، ولا ينبغي أن تكون زمنا عابراً أو صفحة من الماضي طويت، وإن جزءا كبيرا منها لا زال ينتظر الباحثين كي ينفضوا عنه غبار الإهمال والنسيان لتستمر الاستفادة منه في حاضر الأمة ومستقبلها.
3. التعرف على بعض القضايا والإشكالات العلمية التي لها علاقة بالقراءات القرآنية، فمن المعلوم أن القرآن الكريم نص مكتوب قرئ بعدة قراءات، وهذه القراءات وجه من وجوه الإعجاز، واختلافها إنما هو اختلاف تنوع وتغاير، وليس اختلاف تضاد أو تناقض، ومع هذا فقد تعرضت للنقد والطعن من قِبل بعض العلماء المشهورين. فهل كان هذا النقد اعتباطيا أم أنه مقصود؟.

[13]–سورة التوبة، الآية: 123.

4. قلة الكتابة في هذا الموضوع داخل شعب الدراسات الإسلامية بالجامعات المغربية خاصة، ولهذا أحببت أن أسهم ببحث علمي يبقى أثراً نافعاً، ونواة صالحة تتحقق بها بعض الفوائد.

أهداف البحث:

1. إبراز أثر القراءات القرآنية في فهم القرآن الكريم وتدبره، وبيان ارتباط القراءات القرآنية بعضها ببعض.
2. بيان أهمية تعلم القراءات القرآنية ودراستها وفهمها، وإضافة لون جديد من ألوان التدبر إلى المكتبة القرآنية.
3. إظهار مفهوم التدبر وأهميته وحاجة الأمة إليه، وبيان الآليات والوسائل المعينة عليه.
4. ربط التدبر القرآني بالقراءات القرآنية بالواقع الذي تحياه الأمة الإسلامية، ورفع التوهم السائد باستقلالية القراءات القرآنية عن علوم الشريعة وأن لا أثر لها في الواقع العملي لحياة الناس.
5. تحقيق الغاية العظمى من نزول القرآن الكريم، وهي تدبر آياته وفهم معانيه، والاستدلال بالقراءات القرآنية.

منهج البحث:

سلكت في بحثي هذا المنهج الآتي :

1. اقتصرت على القراءات المتواترة دون الشاذة ، مع عزوها إلى من قرأ بها .

5. رتبت الآيات القرآنية المختارة في الباب الثاني من البحث حسب ترتيبها المصحف الشريف.

2. حاولت توجيه بعض القراءات بما يكشف المعنى ويقرر المراد من غير تطويل.

3. أتبع ذلك بذكر الأثر المستنبط من مجموع القراءات في فهم القرآن الكريم وتدبره.

4. وثقت النصوص والنقول، ومعلومات البحث من مصادرها المعتمدة حسب المستطاع، ووفق ما تقتضيه قواعد البحث العلمي.

5. وضعت فهارس فنية للبحث على النحو المبين في الخطة.

صعوبات البحث:

إن بحثا كهذا تنتظم فيه القراءات بعلوم أخرى، رواية ودراية، ستقابله -بلا شك- صعوبات عديدة، وأولى هذه الصعوبات مادته العلمية المتناثرة في المصادر والمراجع المختلفة، فمن أجل الوصول إليها لا بد من استفراغ الجهد والوقت، ولا بد من الاطلاع الواسع والقراءة الفاحصة، ولا بد مع هذا من الحيطة والحذر لأن الباحث عندما لا تتوافر لديه بعض المعطيات العلمية اللازمة يكون شديد الإحساس بالمسؤولية فيما سيقرره من نتائج علمية، ويزداد هذا الإحساس عندما يكون بحثه دقيقا، وتلتقي فيه أراء متعددة، وأقوال مختلفة.

وإنني في هذه الرسالة قد بذلت كل ما في وسعي وإمكاناتي من جهد ووقت وسفر حتى استطعت إنهاءها بحمد الله وعونه وتوفيقه في وقتها المحدد مع ما اعتراني من مصاعب كثيرة، منها:

1. تشعب الموضوع وطول خطته وفصوله، مما يجعل عملية الاختصار صعبة ومضنية.
2. تجاذب مباحثه وصلته بعلوم واختصاصات عدة؛كاللغة والتفسير والأصول والحديث وغيرها.
3. كثرة التشابه بين الأراء المختلفة في المسألة الواحدة مما يصعب معه عملية التمييز بين المتشابهات والمتداخلات.

الدراسات السابقة في الموضوع:

بعد البحث والتقصي في الرسائل الجامعية والاتصال بالجامعات والمراكز العلمية، لم أقف على دراسة تناولت موضوع "**أثر القراءات القرآنية في الفهم والتدبر**".

وإنما وجدت دراسات تناولت أثر القراءات القرآنية في الفقه والعقيدة والتفسير واللغة...، أذكر منها النماذج التالية:

- **حجية القراءات وأثرها في الفقه**: فواز إسماعيل محمد المشهداني
- **أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي دراسة تطبيقية في سورة البقرة**: محمد مسعود عيسى
- **القراءات القرآنية وأثرها في النحو العربي والفقه الإسلامي**: التواتي بن التواتي
- **أثر القراءات في الفقه الإسلامي**: صبري محمد عبد القوي
- **القراءات وأثرها في علوم العربية**: محمد سالم محيسن
- **التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية**: هادي نهر

خطة البحث:

هذا وقد اقتضى بناءُ هذا البحث ورصفُه أن أرتبه في مقدمة وبابين ثم خاتمة، تحت كل باب فصول، وتحت كل فصل مباحث ، وهذا بيانها:

المقدمـــة: تحدث فيها عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وبعض الدراسات السابقة فيه، والصعوبات التي واجهتني، ومنهجي فيه .

البـــاب الأول: وقد خصصته للحديث عن القراءات القرآنية وتدبر القرآن الكريم، وقسمته إلى فصلين: **الفصـــــل الأول:** القراءات القرآنية: تعريفها وجهود الأمة فيها، وفيه ثلاثة مباحث: المبحث الأول: تعريف القراءات القرآنية وما يستفاد منه، والمبحث الثاني: جهود الأمة في خدمة القراءات القرآنية، المبحث الثالث: صلة القراءات بالفهم القرآن الكريم وتدبره.

الفصـــــل الثاني: تدبر القرآن الكريم: تأملات ووقفات، وفيه ثلاثة مباحث: المبحث الأول: حقيقة التدبر والفرق بينه وبين الفهم والتفكر والتأمل، والمبحث الثاني: مهارات تدبر القرآن الكريم، والمبحث الثالث: قواعد تدبر القرآن الكريم.

وأما **البـــــاب الثاني:** فقد خصصته للحديث عن أثر القراءات في فهم القرآن الكريم وتدبره، وقسمته إلى فصلين:

الفصـــــل الأول: أثر القراءات في فهم القرآن الكريم وتدبره من جهة اللغة والأسلوب، وفيه ثلاثة مباحث: المبحث الأول: أثر القراءات المتعلقة بالالتفات والبناء للفاعل والمفعول ، والمبحث الثاني: أثر القراءات المتعلقة بالمفاعلة والاستئناف والتكثير، والمبحث الثالث: أثر القراءات المتعلقة بالخبر والإنشاء وتعدد اللغات .

الفصـــــل الثاني: أثر القراءات من جهة المعنى، وفيه ثلاثة مباحث: المبحث الأول: قراءات بينت المعنى المقصود من الآية. والمبحث الثاني: قراءات وسعت الفهم وأضافت معنى تدبري جديد، والمبحث الثالث: قراءات أزالت إشكالا في الفهم والتدبر.

الخاتمـــــة: سجلت فيها أهم النتائج العلمية التي توصلت إليها، ثم ذيلت ذلك بتوصيات واقتراحات.

ثم **الفهـــارس الفنيـــة**، وهي كالآتي :

1. فهرس الآيات القرآنية
2. فهرس الأحاديث النبوية الشريفة والآثار
3. فهرس المنظومات والأشعار
4. فهرس مصطلحات البحث

5. فهرس الأعلام المترجم لهم

6. فهرس المصادر والمراجع

7. فهرس المواقع الإلكترونية

8. فهرس الموضوعات

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وينفع به الإسلام والمسلمين.

وبالله حولي واعتصامـــي وقوتي ومالِيَ إلا سترُه مُتجلِّـــــــلا

فيا ربِّ أنت الله حسبي وعُدتي عليك اعتمادي ضارعاً متوكلا[14]

والله ولي التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل.

❑ ❑ ❑

[14] –حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع: القاسم بن فيره الشاطبي، البيت رقم: 93–94.

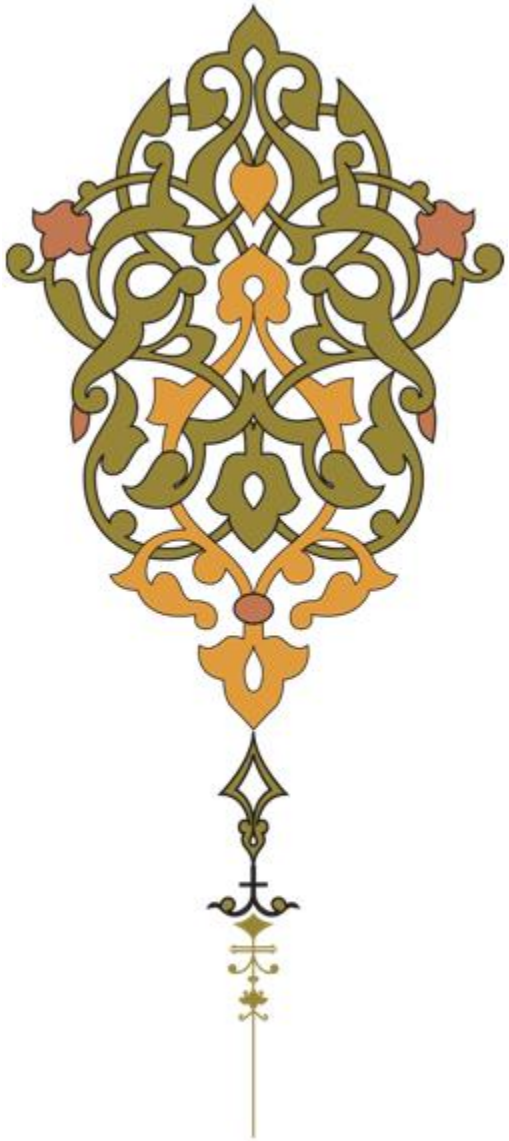

مختصرات الرسالة

- **النشـــــــــر:** النشر في القراءات العشر لمحمد ابن الجزري
- **البدور الزاهـرة:** البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرى لعبد الفتاح القاضي
- **التحرير والتنوير:** تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر ابن عاشور
- **الموضـــــــح:** الموضح في وجوه القراءات وعللها لنصر بن علي الشيرازي الفارسي المعروف بابن أبي مريم
- **الكشـــــــف:** الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب القيسي
- **الكشـــــــاف:** الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود الزمخشري
- **معرفة القراء الكبار:** معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار لشمس الدين الذهبي
- **أضواء البيـــــان:** أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد أمين الشنقيطي

- **وفيات الأعيان:** وفيات الأعيـان وأنباء أبناء الزمــان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن خلكان
- **الدر الثميـــن:** الدر الثمين في أسماء المصنفين لعلي بن أنجبا المعروف بابن الساعي
- **الأعـــــلام:** الأعلام قاموس تراجم لخير الدين الزركلي
- **الحجـــــة:** الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي النحوي
- **المغنـــــي:** المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة لمحمد سالم محيسن
- **البرهـــــان:** البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي
- **الإتقـــــان:** الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي
- **غاية النهايـــة:** غاية النهاية في طبقات القراء لمحمد ابن الجزري
- **الإبانـــــة:** الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب القيسي
- **حجة القراءات:** حجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة

❑ ❑ ❑

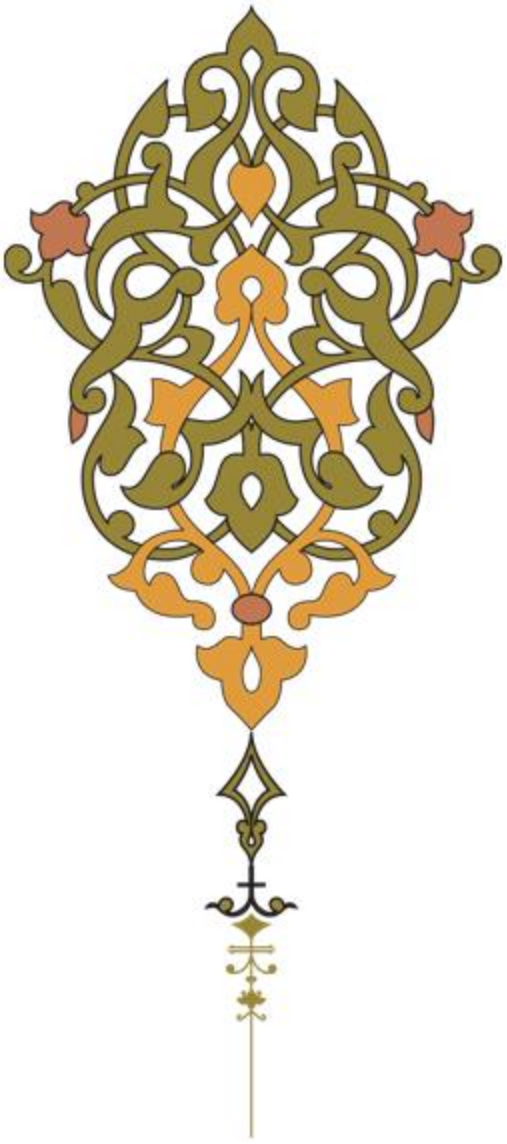

الباب الأول

القراءات القرآنية وتدبرالقرآن الكريم

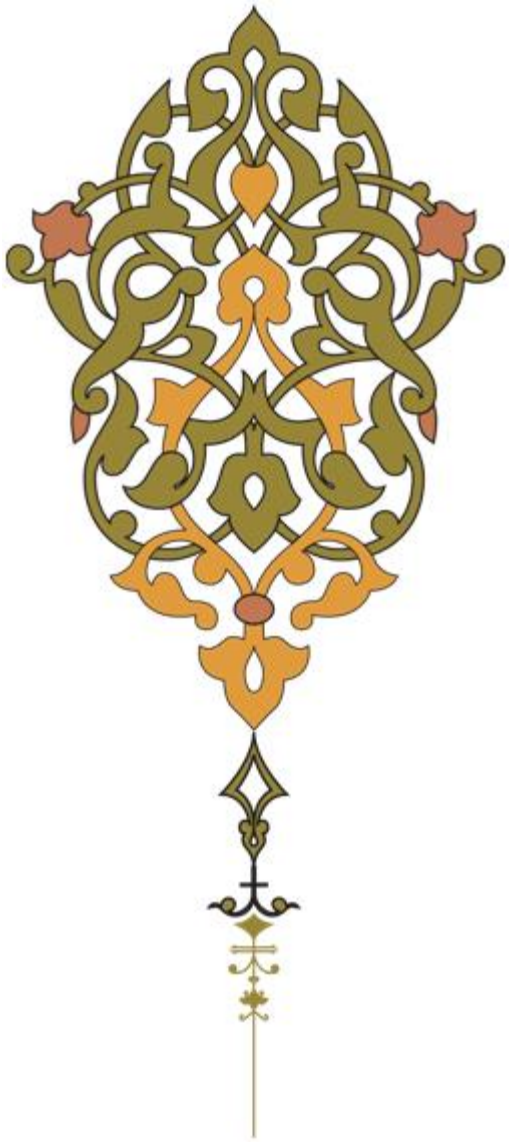

الفصل الأول

القراءات القرآنية

تعريفها وجهود الأمة فيها

المبحث الأول: تعريف القرآن والقراءات وما يستفاد منه

المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم

1-القرآن في اللغة:

اختلف العلماء رحمهم الله في لفظ القرآن لكنهم اتفقوا على أنه اسم فليس بفعل ولا حرف، وهذا الاسم شأنه شأن الأسماء في العربية إما أن يكون جامداً أو مشتقاً[15]. ويمكن إجمال هذا الاختلاف في الآراء التالية:

الرأي الأول: أن القرآن علم غير مشتق خاص بكلام الله تعالى، وهذا مروي عن الشافعي، واختاره السيوطي في الإتقان، حيث قال: «وأما القرآن فاختلف فيه، فقال جماعة: هو اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله.. وهو مروي عن الشافعي، وقد أخرج البيهقي والخطيب البغدادي وغيرهما عنه: أنه كان يهمز (قرأت) ولا يهمز (القرآن)، ويقول-أي الشافعي-: «القرآن اسم، وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قرأتُ، ولكنه اسم لكتاب الله، مثل التوراة والإنجيل»، ثم يقول السيوطي: «والمختار عندي في هذه المسألة ما نص عليه الشافعي»[16].

[15] -دراسات في علوم القرآن الكريم: فهد الرومي، ص: 19.

[16] -الإتقان، ج: 1، ص: 87، بتصرف.

واستدلوا لهذا الاختيار بأن الصحابة رضي الله عنهم تحرجوا من جمع كلمة (قرآن) على الجموع القياسية، فلم يقولوا: (قرائين)، وإنما اختاروا بدلاً من ذلك كلمة مصحف ومصاحف.

الـرأي الثاني: أنه اسم مشتق، وهو رأي جماهير أهل اللغة والتفسير، واختلفوا في مصدره اللغوي على اتجاهين[17]:

الاتجـاه الأول: أن أصله من (قرأ)، واختلف أصحاب هذا الاتجاه على تحديد المعنى المشتق من (قرأ) على أقوال، أشهرها اثنان:

الأول: أن القرآن مشتق من القراءة، أي: التلاوة، وهذا رأي جماهيرهم وهو الراجح والمختار[18]، واستدلوا بورود الآيـــة الكريمة: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[19] أي: قراءته، بدليل الآية التالية: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [20]، ومعلوم أن ضمير الغائب المضاف إليه يعود على القرآن الكتاب المنزل، فهذا يعني بالضرورة أن المضاف وهو لفظ (قرآن) في الآية لا يمكن أن يراد به الكتاب المنزل؛ لأنه يستحيل أن يكون المضاف والمضاف إليه شيئا واحداً، وإنما المراد به في الآية الكريمة المصدر، وهو القراءة، أي: قراءة القرآن الكريم.

---

[17] –مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح، ص: 18–19–20.

[18] –منهج الفرقان في علوم القرآن: محمد علي سلامية، ج: 1، ص: 16.

[19] –سورة القيامة، الآية: 17.

[20] –سورة القيامة، الآية: 18.

الثاني: أن القرآن مشتق من القَرْءِ، بمعنى الجمع والضم، وهو قول قتادة والزجاج، تقول: قرأتُ الماء في الحوض، أي جمعته فيه، ومنه قولهم: ما قرأتْ هذه الناقة جنيناً قط، أي: لم تضم رحمها جنينٍ.

ومناسبة التسمية به؛ لأن القرآن يجمع الآيات والسور، ويضم بعضها إلى بعض، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[21].

الاتجـــاه الثاني: أن أصله من (قَرَنَ)، واختلف أصحاب هذا الاتجاه على تحديد المعنى المشتق من (قَرَنَ) على قولين:

الأول: أنه مشتق من الاقتران؛ من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممت أحدهما للآخر، وهو قول أبي الحسن الأشعري، ومناسبة التسمية به: لاقتران السور، والآيات، والحروف فيه.

الثاني: أنه مشتق من القرائن؛ أي: المتشابهات المتقاربات، وهذا قول الفراء، ومناسبة التسمية به: لأن آيات القرآن يصدق بعضها بعضاً، ويشابه بعضها بعضاً، وهي قرائن، سواءً في التشابه اللفظي أم المعنوي[22].

---

[21] –سورة القيامة، الآية: 17.

[22] –انظر: البرهان، ج: 1، ص: 278.

ويمكن تلخيص هذه الأقوال في تعريف القرآن لغة في الرسم التوضيحي التالي:

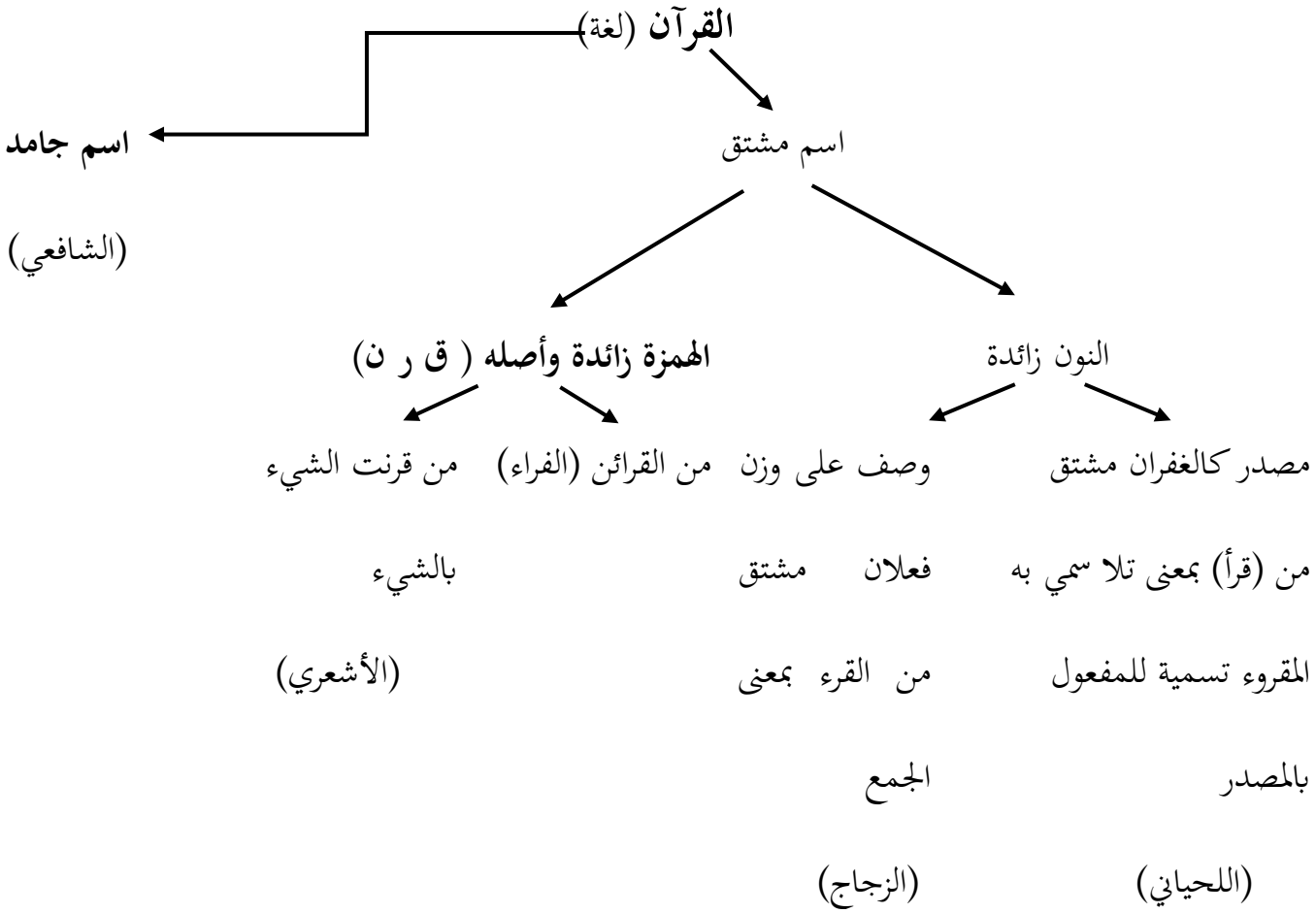

2- القرآن في الاصطلاح:

نُقِلَ لفظ القرآن من معناه اللغوي إلى معناه الاصطلاحي، وللعلماء في تعريف القرآن الكريم صيغ متعددة[23]. لعل أجمعها ما عرفه بعضهم فقال[24]: «هو كلام الله تعالى المعجز المنزل بواسطة جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم المحفوظ في الصدور، المكتوب في المصاحف،

23 -ومن هذه التعريفات:

* تعريف الغزالي، قال في المستصفى: «ما نقل إلينا بين دفتي المصحف على الأحرف السبعة المشهورة نقلا متواترا» (ج: 1، ص: 101).
* تعريف الشوكاني، قال في إرشاد الفحول: «هو الكلام المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول إلينا متواتراً» (ص: 29).
* تعريف الزركشي، قال في البحر: «هو الكلام المنزل للإعجاز بآية منه، المتعبد بتلاوته» (ج: 2، ص: 178).

24 -وتعريف القرآن الكريم على هذا الوجه متفق عليه بين الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية ويشاركهم فيه المتكلمون أيضاً (فالكلام) جنس شامل لكل كلام وإضافته إلى (الله) تميزه عن كلام من سواه من الإنس والجن والملائكة، و(المنزل) مخرج للكلام الإلهي الذي استأثر الله به أو ألقاه إلى ملائكته، ليعملوا به لا لينزلوه على أحد من البشر، إذ ليس كل كلامه تعالى منزلاً بل الذي أنزل منه قليل من كثير قال تعالى: ﴿قُل لَو كانَ البَحرُ مِدادًا لِكَلِماتِ رَبّي لَنَفِدَ البَحرُ قَبلَ أَن تَنفَدَ كَلِماتُ رَبّي وَلَو جِئنا بِمِثلِهِ مَدَدًا﴾ سورة الكهف، الآية: 109. ويفيد المنزل بكونه (على محمد) لإخراج ما أنزل على الأنبياء من قبله كالتوراة المنزلة على موسى والإنجيل المنزل على عيسى والزبور المنزل على داوود والصحف المنزلة على إبراهيم عليهم السلام، وخرج (بالمنقول بالتواتر) جميع ما سوى القرآن من منسوخ التلاوة والقراءات غير المتواترة سواء أكانت مدرجة نحو قراءة ابن مسعود (متتابعات) عقب قوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ سورة المائدة،الآية: 89، أم كانت أحادية كقراءة ابن مسعود أيضاً لفظ (متتابعات) عقب قوله تعالى:﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ سورة البقرة، الآية: 185. وقيد (المتعبد بتلاوته) أي المأمور بقراءته في--الصلاة وغيرها على وجه العبادة، لإخراج ما لم نؤمر بتلاوته من ذلك، كالقراءات المنقولة إلينا بطريق الآحاد...(انظر كتاب: أضواء البيان في تاريخ القرآن: صابر حسن محمد، ص: 20-21).

المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس»[25].

ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن الكريم، وعلى كل آية من آياته، قال تعالى: ﴿ وَإِذا قُرِئَ القُرآنُ فَاستَمِعوا لَهُ وَأَنصِتوا لَعَلَّكُم تُرحَمونَ﴾[26]، فيقال لمن قرأ اللفظ المنزل كله: قرأ قرآناً، ويقال لمن قرأ بعضه: قرأ قرآناً، وهذا ما يفهم من كلام الفقهاء حينما قالوا: (يحرم على الجنب قراءة القرآن) فإنهم يقصدون كله أو بعضه على السواء[27].

[25] –ويتضمن هذا التعريف عدة معان أهمها ما يلي:

* القرآن الكريم موحىً به من عند الله تعالى إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وليس لرسول الله في ذلك إلا البيان والتبليغ.
* القرآن الكريم كلام عربي وإن وجد فيه كلمات ظاهرها غير عربي، فقد ذكر العلماء أنها معربة (أي منقولة إلى العربية أو أنها مما تتوافق فيه اللغتان نحو: سندس، استبرق،...).
* القرآن الكريم نُقل إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتواتر أي: نقلته الجموع الغفيرة عن مثلها من رسول الله إلى يومنا هذا بحيث لا يمكن أن تتفق هذه الجموع على الكذب.
* القرآن الكريم تحدى العرب أن يأتوا بمثله أو بمثل سورة منه وعجزوا عن ذلك رغم شهرتهم بالبلاغة والفصاحة والبيان، ومازال تحدي القرآن الكريم للبشر جميعا قائما سواء في بلاغته وفصاحته ونظمه أو تشريعه وأخباره الغيبية وإشاراته العلمية. (انظر كتاب: بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم: موسى الإبراهيم، ص: 14-16).

[26] –سورة الأعراف، الآية : 204.

[27] –القراءات أحكامها ومصادرها: شعبان محمد إسماعيل، ص: 13.

المطلب الثاني: تعريف القراءات القرآنية

1- القراءات في اللغة:

جمع قراءة والقراءة في اللغة مشتقة من مادة (ق ر أ) وهي مصدر للفعل قرأ، يقال: قرأ يقرأ قرآناً وقراءة، فكل منهما مصدر للفعل، وهو على وزن (فِعَالة)، وهذا اللفظ يُستعمل للمعاني التالية:

المعنى الأول: الجمع والضم، ومنه قولهم: (ما قرأَت الناقةُ سلىً قط) أي ما حملَتْ جنيناً قط، ومنه قول عمرو بن كلثوم في معلقته المشهورة[28]:

تُرِيكَ إذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلاءٍ ... وقدْ أَمِنَتْ عُيُونَ الكَاشِحِينَا

ذِرَاعَيْ عَيْطَلٍ أَدْمَـــاءَ بِكْرٍ ... هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْـــرَأْ جَنِينَا[29]

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى[30] رحمه في كتابه مجاز القرآن: «إنما سمي قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها»[31].

---

[28] – ديوان العرب: معلقة عمرو بن كلثوم، ص: 34.

[29] –الكاشحون: جمع كاشح: مضمر العداوة. العيطل: الطويلة العنق. الأدماء: البيضاء. البكر: يروى بالفتح ومعناه: الفتي من الإبل، وبالكسر: الناقة التي حملت بطناً واحداً. الهجان: بكسر الهاء يستوي فيه الواحد، والتثنية، والجمع ينعت به الإبل والرجال وغيرها.

انظر: شرح القصائد السبع: لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، ص: 379-381، وشرح الحسين بن أحمد الزوزني، ص: 120-121.

[30] –معمر بن المثنى التيمي البصري أبو عبيدة (112هـ-208هـ/ 730-823م)، ولد في البصرة وكان إباضياً وأخذ عن يونس وأبي عمرو، وهو أول من صنف في غريب الحديث، وله نحو مائتين من المصنفات منها: مجاز القرآن، إعراب القرآن، الأمثال.

[31] –مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، ج: 01، ص: 54.

والمعنى الثاني: التلاوة؛ وهي ضم الألفاظ بعضها إلى بعض في النطق، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ.فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[32] أي: تلاوته، والتلاوة هي النطق بالكلمات المكتوبة، ومنه قولهم: (قرأت الكتاب) أي تلوته، وسميت التلاوة قراءة لأنها ضم لأصوات الحروف في الذهن لتكوين الكلمات التي ينطق بها.

2-القراءات في الاصطلاح:

يخلط كثير من الباحثين بين تعريف القراءات القرآنية وتعريف علم القراءات، والفرق بين القراءات وعلم القراءات كالفرق بين القرآن الكريم وعلوم القرآن.

فالقراءة: هي مذهب من مذاهب النطق بالقرآن الكريم؛ يذهب إليه إمام من الأئمة مذهبا يخالف غيره مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها، ومذهب النطق بالكلمة القرآنية له مسميات، وهي: قراءة، رواية، طريق، وجه[33].

وهكذا تكون القراءة: ما نسب إلى أحد الأئمة القراءات إذا اتفقت الروايات والطرق عنه؛ ومثال ذلك: إثبات البسملة بين كل سورتين هي قراءة ابن كثير، وهذا يعني اتفاق الرواة عن ابن كثير في هذا الحكم[34].

---

[32] -سورة القيامة، الآية: 17-18.

[33] -انظر كتاب: في علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق: السيد رزق الطويل، ص: 30.

[34] -انظر معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات: إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: 81.

ومن التعريفات المختصرة للقراءات: أنها روايات القرآن المختارة.

وهذا التعريف يفيد ما يلي:

أولاً: أن القرآن بمثابة الأصل الكلي للقراءات، وهذا الأصل روي بروايات متعددة، وهذه الروايات قد تتفق في مواطن، وهو الأكثر، وقد تختلف في أخرى، وهو الأقل وفيه تظهر حكمة االتيسير، والقراءات ماهي إلا التفصيل الروائي للقرآن الكريم.

ثانياً: أن هذا التعريف اعتمد الاختيار في القراءة، وهو شاملٌ للقراءات المتواترة، لأنها اختياراتٌ موافقةٌ لشروط قبول القراءة، وشاملٌ للقراءات الشاذة؛ لأنها اختياراتٌ مخالفةٌ لشروط قَبول القراءة.

ثالثاً: أن هذا التعريف يتطرق لمفهوم القراءات ذاتها، لا لمفهوم علم القراءات، وبينهما اختلاف دقيق كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى.

والرواية[35]: ما نسب إلى الآخذ عن هذا الإمام ولو بواسطة؛ ومثاله: إثبات البسملة بين كل سورتين، وهي رواية قالون عن الإمام نافع، وهذا يعني اختلاف الرواة عن نافع في هذا الحكم، فلقالون البسملة بين السورتين قولاً واحداً، دون ورش.

[35] –الرواية في اللغة: هي كلمة مشتقة من مادة (روي) وهذا اللفظ يُستعمل للدلالة على:

–حمل الشيء: تقول العرب، وإن فلاناً لراوية الديات: أي حاملها، ويروي الماء أي يحمله، وهم رواة الأحاديث أي حاملوها.

–النقل: رويت على أهلي: نقلت لهم الماء، يطلق الراوية: على البعير أو البغل الذي يسقى عليه. (انظر معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات: إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: 51).

والطريق[36]: هو كل خلافٍ ينسب للآخذ عن الراوي، وإن سفل؛ ومثاله: إثبات البسملة بين كل سورتين هو طريق الأصبهاني عن ورش عن نافع، وهذا يعني أن لورش عن نافع أكثر من طريق، منها هذا الطريق في إثبات البسملة بين السورتين.

وهذا هو الخلاف الواجب، أي: القراءات والروايات والطرق، بمعنى أن القارئ ملزم بالإتيان بجميع ذلك، فإن أخل بشيء من هذا، كان ذلك نقصاً في روايته.

والوجه[37]: ما نسب إلى تخيير القارئ من قراءة يثبت عليها وتؤخذ عنه، وهو الخلاف الجائز على سبيل التخيير والإباحة؛ كأوجه الوقف على عارض السكون؛ فالقارئ مخير في الإتيان بأي وجه منها، غير ملزم بالإتيان بها كلها، فلو أتى بوجه واحد منها أجزأه، ولا يعتبر ذلك تقصيراً منه، ولا نقصا في روايته. مثل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾[38]، بالفتح (ضَعف)، فهي قراءة حمزة، ورواية شعبة عن عاصم، وطريق عبيد بن الصباح عن عاصم، وهكذا[39].

---

[36] –الطريق في اللغة: هي كلمة مشتقة من مادة (طرق)، وهذا اللفظ يُستعمل للدلالة على السبيل الواسع الذي يمر عليه الناس.

[37] –الوجه في اللغة: هو لفظ مشتق من مادة (و ج ه)، وهو يستعمل للدلالة على الظهور والبدور، أو الجانب، أو الجهة والناحية، أو النوع والقسم. (انظر معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات: إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: 110).

[38] – سورة الروم، الآية: 54.

[39] –البدور الزاهرة، ص: 10-11.

وهذه الأوجه الاختيارية لا يقال لها: قراءاتٌ ولا رواياتٌ ولاطرقٌ، بل يقال لها: أوجه فقط، بخلاف ما سبق. ولبيان هذا الفرق بشكل آخر أقول: إن التمييز بين القراءات والطرق يسمى في اصطلاح علماء القراءات: الخلاف الواجب، والخلاف بين الأوجه يسمى في اصطلاحهم: الخلاف الجائز.

والفرق بينهما: أن خلاف القراءات والروايات والطرق خلاف نص ورواية، فلو أخل القارئ بشيء منها كان نقصاً في الرواية، وخلاف الأوجه ليس كذلك؛ إذ هو على سبيل التخيير، فبأي وجه أتى القارئ أجزأ في تلك الرواية ولا يكون إخلالاً بشيء منها، فلا حاجة لجمعها في موضع واحد بلا داع[40].

3 – تعريف علم القراءات:

عرف القراء علم القراءات بتعاريف متعددة ومختلفة، ومن أبرز وأشمل ما وقفت عليه من التعاريف، مايلي:

- تعريف الإمام ابن الجزري[41] رحمه الله بقوله: «القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة، خرج النحو واللغة والتفسير وما أشبه ذلك»[42].

40 –انظر: بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات: أحمد بن عمار المهدوي، ص: 8 وما بعدها.

41 –محمد بن محمد بن محمد بن علي ابن يوسف أبو الخير شمس الدين العمري الدمشقي الشيرازي الشافعي المشهور بابن الجزري (751هـ-833هـ/ 1350-1429م)، شيخ الإقراء في زمانه، ولد ونشأ في دمشق ورحل إلى مصر وإلى شيراز ومات فيها، من مؤلفاته: النشر في القراءات العشر وغاية النهاية في طبقات القراء وغيرهما. (انظر: شيخ القراء الإمام ابن الجزري: محمد مطيع الحافظ).

42 –منجد المقرئين ومرشد الطالبين: ابن الجزري، ص: 61.

- تعريف الإمام البنا الدمياطي[43] الشافعي رحمه الله بقوله: «علم القراءة علم يُعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في الحذف، والإثبات، والتحريك، والتسكين، والفصل، والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال، وغيره من حيث السماع»[44].
- تعريف الشيخ عبد الفتاح القاضي[45] رحمه الله بقوله: «علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله»[46]، وهذا تعريف جيد؛ إذ يجمع بين التعريفين السابقين، فهو يبسط ويوضح تعريف ابن الجزري، كما أنه يختصر تعريف الإمام الدمياطي.

ويتضح لي من خلال هذه التعاريف أنه لابد من توفر عنصرين لبيان علم القراءات:

---

[43] –شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي الشافعي الشهير بالبنا (ت 1117هـ)، ولد بدمياط ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم وجوده وبرع في علم القراءات، ارتحل إلى القاهرة لطلب العلم فلازم علماءها وتلقى عنهم القراءات والحديث والفقه والأصول، ثم ارتحل إلى الحجاز وأخذ عن علمائها وتوجه إلى اليمن فاستفاد من علمائها كذلك. (انظر: الأعلام: خير الدين الزركلي، ج: 1، ص: 280، وإتحاف فضلاء البشر: البنا الدمياطي، من ص: 43 إلى ص: 50).

44–أو يقال: علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقله. (انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: البنا الدمياطي، ص: 03).

[45] –عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (1325هـ–1403هـ)، عالم مصري مبرز في القراءات وعلومها وفي العلوم الشرعية والعربية، حفظ القرآن الكريم ودرس في الأزهر حتى على إجازة التخصص، ورحل إلى المدينة النبوية فشارك في إنشاء كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية وتولى رئاسة قسم إلى القراءات فيها إلى وفاته، من مؤلفاته: الوافي شرح على الشاطبية، البدور الزاهرة، شرح ناظمة الزهر، الفرائد الحسان، من علوم القرآن. (انظر: جهود الشيخ عبد الفتاح القاضي الأزهري في خدمة الدراسات القرآنية والدفاع عن القراءات ضد مطاعن المستشرقين: خير الدين خوجة).

[46] –البدور الزاهرة، ص: 07.

الأول: العلم بكيفية الأداء، والنطق لكلمات القرآن اتفاقاً واختلافاً،

والثاني: عزوُ هذه الكيفية اتفاقاً أو اختلافاً لناقلها.

المطلب الثالث: المستفاد من تعريف القرآن الكريم والقراءات القرآنية

1-أصل مصطلح القراءات:

ورد في السنة النبوية الشريفة تأصيل لمصطلح ومفهوم القراءات من جهتين:

الجهة الأولى: ورود مصطلح القراءة، ومفهوم اختيار القراءة في السنة[47]:

جاء في الحديث المروي في الصحيحين والسنن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام[48] يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكدت أساوره[49] في الصـــلاة، فتصبرت حتى سلم فلببته[50] بـــردائه، فقلت: من أقـــرأك هذه السورة التي سمعتك تقـــرأ؟

47 -وقد أشارت السنة إلى تسمية الاختيار في التلاوة: قراءةَ.

48 -هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، أسلم يوم الفتح ومات قبل أبيه حكيم بمدة طويلة، وقيل استشهد بأجنادين، وكان من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر(الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن حجر العسقلاني، ص: 1544-1545).

49 -أساوره: أواثبه وأقاتله.

50 -لببته: أخذت بمجامع ردائه في عنقه وجررته به.

قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأتَ، فانطلقتُ به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تُقرئنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرسله، اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه[51].

يستفاد من هذا الحديث الشريف من جهة أصل مصطلح القراءات، الآتي:

- في الحديث دلالة على أن الصحابة رضي الله عنهم أطلقوا لفظ (القراءة) على ما تخيره القراء من تلاوات النبي صلى الله عليه وسلم.
- جاء في الحديث ألفاظ كثيرة تستخدم دلالتها في علم القراءات، كما قال عمر رضي الله عنه: «فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة»، وقال: «لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم»، وقال: «من أقرأك هذه السورة؟».

[51] –صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، ح: 4706. وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ح: 818.

- دل الحديث أيضًا على إذن النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة الكرام رضي الله عنهم برواية القرآن الكريم عنه مع التفاوت في الأداء؛ إما من حيث الأصول، أو من حيث فرش الكلمات[52].

والجهة الثانية: ورود أحاديث الأحرف السبعة التي تعد الأصل الشرعي والتاريخي لمفهوم القراءات القرآنية، ومنها:

الحديث الأول: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»[53].

الحديث الثاني: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصته مع هشام بن حكيم، وفي آخر الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه».

52 –فرش الحروف: هو ما قل دوره من حروف القراءات المختلف فيها، لأنها لما كانت مذكورة في أماكنها من السور فهي كالمفروشة بخلاف الأصول، لأن الأصل الواحد منها ينطوي على الجميع، ويسمي بعضهم الفرش فروعاً مقابلة للأصول. (معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء، أحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم، ص: 131).

53 –صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ح: 3047.

الحديث الثالث: عن أبي بن كعب رضي الله عنه في حديث أضاة بني غفار، وفي آخره قال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف»[54].

الحديث الرابع: عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، كلهن شاف كاف»[55].

2-العلاقة بين القرآن الكريم والقراءات القرآنية:

بعد أن بينت معنى لفظ (القرآن) و(القراءات) في اللغة والاصطلاح، أبين هنا علاقة القرآن الكريم بالقراءات القرآنية، وهل هما لفظان متغايران؟، أم أنهما حقيقةٌ واحدةٌ؟

أما عن العلاقة بينهما من الجانب اللغوي فأقول:

أصل المصطلح اللغوي للقرآن فيه أقوال، ومن أشهرها وأرجحها أنه راجعٌ لمعنى القراءة، وهي التلاوة، وهو قول جمهور المفسرين واللغويين استدلالاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[56].

وأصل المصطلح اللغوي للقراءات مأخوذٌ من القراءة، وهي التلاوة بالاتفاق.

---

[54] -صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ح: 821.

[55] -مسند الحارث، كتاب التفسير، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ح: 727.

[56] -سورة القيامة، الآية: 17.

وبناءً على ذلك يمكن القول بأن الأصل اللغوي للقرآن والقراءات واحدٌ، وحقيقتهما اللغوية واحدة، لا تغاير بينهما من هذه الجهة.

وأما عن العلاقة بينهما من الجانب الاصطلاحي، فتبين لي أن في هذه المسألة ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: يرى بأن القرآن الكريم والقراءات القرآنية حقيقتان متغايراتان:

وهو رأي الإمام الزركشي[57] رحمه الله في كتابه (البرهان)، ووافقه الإمام شهاب الدين القسطلاني[58] رحمه الله في كتابه (لطائف الإشارات في علم القراءات)، والدمياطي رحمه الله في كتابه (إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر).

قال الزركشي رحمه الله في كتابه البرهان في علوم القرآن: «واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان»[59].

[57] –أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (745هـ–794هـ/1344–1392م)، عالم بفقه الشافعية والأصول، تركي الأصل مصري المولد والوفاة، من مؤلفاته: البرهان في علوم القرآن والبحر المحيط في أصول الفقه وغيرهما. (الأعلام: بدر الدين الزركلي، ج: 6، ص: 60).

[58] –أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري أبو العباس شهاب الدين (851هـ–923هـ/ 1448–1517م)، من علماء الحديث، مولده ووفاته في القاهرة، من مؤلفاته: إرشاد الساري لصحيح البخاري، لطائف الإشارات في علم القراءات، المواهب اللدنية في المنح المحمدية.

[59] –البرهان، ج:01، ص: 465.

ويستدل بعد ذلك لرأيه، ويبين وجه التغاير بينهما، فيقول: «فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما»[60].

ويمكن مناقشة هذا الاتجاه من وجهين:

الوجه الأول: هذا الإطلاق من الإمام الزركشي يفيد كون القرآن الكريم والقراءات القرآنية متغايرين من كل وجه، وهذا فيه نظر؛ لأن القراءات الصحيحة المتواترة التي تلقتها الأمة بالقبول هي جزء لا يتجزأ من القرآن الكريم.

والوجه الثاني: لعل الذي يقصده الإمام الزركشي أن بينهما اختلافاً جزئياً، وهذا وجيهٌ، لذلك قال: «ولست في هذا أنكر تداخل القرآن بالقراءات، إذ لا بد أن يكون الارتباط بينهما وثيقاً، غير أن الاختلاف على الرغم من هذا يظل موجوداً بينهما، بمعنى أن كلا منهما شيء يختلف عن الآخر لا يقوي التداخل بينهما، على أن يجعلهما شيئاً واحداً، فما القرآن إلا التركيب واللفظ، وما القراءات إلا اللفظ ونطقه، والفرق بين هذا وذاك واضح بينٌ»[61].

الاتجاه الثاني: يرى بأن القرآن الكريم والقراءات القرآنية حقيقتان بمعنى واحد:

---

[60] -المصدر السابق، ج: 01، ص: 465.

[61] -المصدر السابق، ج: 01، ص: 465.

وهو رأي الدكتور محمد سالم محيسن[62] رحمه الله في كتابه (القراءات وأثرها في علوم العربية)[63]؛ ويستدل على ذلك بأن القرآن مصدر مرادف للقراءة، والقراءات جمع قراءة، لذلك فهما حقيقتان بمعنى واحد. وأن أحاديث نزول القرآن على الأحرف السبعة تدل دلالة واضحة على أنه لا فرق بينهما، إذ كل منهما وحي منزل[64].

ويمكن مناقشة هذا الاتجاه من وجوه:

الوجه الأول: يبدو أن هذا الرأي استدل للاتفاق اللغوي بينهما، وهذا الأمر لا نزاع فيه، وإنما الحديث عن الحقيقة الاصطلاحية لكل منهما.

والوجه الثاني: أن القراءات على اختلاف أنواعها لا تشمل كلمات القرآن الكريم كله؛ لأنها موجودة في بعض ألفاظه، فكيف يحكم بأنهما حقيقتان متحدتان.

ويمكن الرد على هذا الاعتراض: بأنه التفت لمواطن اختلاف القراءات فقط، فيصح ذلك لو كان المراد بالقراءات هو الألفاظ محل الخلاف بين القراء، فهي لا تشمل كل القرآن، أما القراءات فيراد بها

---

[62] -محمد محمد محمد سالم محيسن، (1349هـ-1422هـ)، ولد بمصر وحفظ القرآن الكريم وهو صغير ثم التحق بالأزهر وتلقى من علمائه العلوم العربية والشرعية والقراءات العشر الصغرى والكبرى، وألف في التوجيه والضبط والعد والرسم وعلوم القرآن المختلفة حتى بلغ عدد مؤلفاته المعروفة أكثر من 62 كتابا. (انظر موقع الشيخ رحمه الله www.mehesen.com)

[63] -وكتابه (في رحاب القرآن).

[64] -القراءات وأثرها في علوم العربية: محمد محيسن، ص: 16-18.

عند الإطلاق روايات القرآن الكريم المشتملة على مواطن الاتفاق والاختلاف فهي بذلك تشمل القرآن كله.

والوجه الثالث: أن تعريف القراءات شامل للمتواتر منها والشاذ، والقراءات المتواترة من القرآن الكريم قطعا، أما القراءات الشاذة فقد أجمعت الأمة على عدم قرآنيتها.

ويبدو أن الصواب هو التفريق بين المتواتر والشاذ في اتحاده بالقرآن الكريم، وكونه معه حقيقة واحدة.

وأما الاتجاه الثالث: فيرى بأن القرآن الكريم والقراءات القرآنية بينهما تشابه، وتغاير، واجتماع، وانفراد، واتحاد، وافتراق: فليسا متغايرين تغايراً كاملاً، كما أنهما ليسا متحدين اتحادا كلياً، بل بينهما ارتباط وثيق كارتباط الجزء بالكل، ويمكن القول بأنهما يتقاطعان في نقطة ويفترقان في أخرى، وهو رأي الدكتور شعبان محمد إسماعيل في كتابه (القراءات أحكامها ومصادرها)[65].

ويظهر لي أن هذا الرأي هو الأرجح والصواب، لأنه يجلي حقيقة المصطلحين، ويجمع بين الأقوال، ومحور الارتكاز في الاتفاق والاختلاف هو في مسألة التواتر والشذوذ في القراءات، فالقراءات تشمل المتواتر والشاذ.

[65] -انظر كتاب: القراءات أحكامها ومصادرها: شعبان محمد إسماعيل، ص: 25.

ووجه الاجتماع والاتفاق والاتحاد والتقاطع الجزئي بين القرآن والقراءات هو في القراءات المتواترة؛ فالقراءة المتواترة هي قرآن في حقيقتها، فلا يمكن جعلهما حقيقتين متغايرتين كليا، وعلى ذلك يحمل قول الدكتور محمد محيسن السابق من أنهما حقيقة واحدة على القراءات المتواترة.

ووجه الانفراد والاختلاف والافتراق بين القرآن والقراءات هو في القراءة الشاذة: فالمتواتر هو المقطوع بقرآنيته، والشاذ غير مقطوع بقرآنيته، فهذا وجه التغاير الجزئي الذي يرد على كونهما حقيقة واحدة.

ويحمل قول الإمام الزركشي رحمه الله من أنهما حقيقتان متغايرتان على إرادة القراءات الشاذة؛ لأن القراءة الشاذة حتى لو ثبتت قراءة حرف منها بسند صحيح لا يعتقد قرآنيتها بل تعتبر من الأخبار الآحاد، والخبر الواحد من أقسام الحديث، والحديث مغاير للقرآن.

وإذا قيل هل هناك فرق بين القرآن والقراءات المتواترة؟ فالجواب يحتمل أمرين يرجعان إلى حقيقة المقصود بالقراءة المتواترة تحديداً هل هو جنس القراءة المتواترة، أم إفراد القراءة المتواترة، أم اختصاص القراءة المتواترة؟

أما الأمر الأول: فهما يتفقان في كونهما وحياً إلهياً، ويفترقان في كون القرآن الكريم أشمل، وأن القراءة المتواترة جزءٌ من القرآن لا كل القرآن.

وهذا يكون في حالتين:

الحالة الأولى: إن أريد بالقراءة المتواترة (اختصاص القراءة المتواترة عن غيرها من القراءات المتواترة) أي: مواطن انفراد القراءة واختلافها عن القراءات الأخرى، فهي-بهذا الاعتبار- جزءٌ من القرآن لا كل القرآن، أي: جزءٌ من أحد رواياته، فضلاً عن أن تكون شاملة لروايات القرآن.

والحالة الثانية: إن أريد بالقراءة المتواترة (إفراد القراءة المتواترة)، أي: الرواية المتواترة الكاملة للقرآن الشاملة لمواطن الاتفاق والاختلاف بين القراء، فهي شاملة للقرآن، لكنها تبقى رواية غير شاملة لمجموع روايات القرآن، فتبقى بهذا المعنى جزءًا من القرآن لا كل القرآن.

وأما الأمر الثاني: فهما يتفقان اتفاقاً كلياً من جميع الوجوه:

وهذا يكون إن أريد بالقراءة المتواترة (جنس القراءة المتواترة) أي: المعنى الشامل لكل القراءات المتواترة، فهما-في هذه الحالة- حقيقة واحدةٌ، لأن مجموع القراءات المتواترة شاملٌ لجميع مواطن الاتفاق والاختلاف في جميع روايات القرآن الكريم، والقرآن هو كل ما نزل من عند الله عز وجل، ونقل بالتواتر، سواءً أكان بوجهٍ أم عدة وجوه. وبناء على ذلك يمكن القول: أن القراءة المتواترة الواحدة هي جزء من القرآن، ومجموع القراءات المتواترة هي القرآن. فما القرآن إلا التركيب واللفظ، وما القراءات إلا اللفظ ونطقه، والفرق بين هذا وذاك واضح بين[66].

❑ ❑ ❑

[66] -انظر: موسوعة علوم القرآن: عبد القادر منصور، ص: 197.

المبحث الثاني : جهود الأمة في خدمة القراءات القرآنية

المطلب الأول: نشأة وتطور علم القراءات القرآنية

1- القراءات القرآنية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم

أ-ارتباط القراءات القرآنية بنزول الوحي

القراءات القرآنية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بنزول القرآن الكريم، وقد نزل القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم في مدة ثلاثة وعشرين عاماً، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتلو ما نزل عليه على أصحابه رضي الله عنهم في الصلاة وفي غيرها، فكانوا يحفظونه، ويعملون به، فتعلموا القرآن الكريم والعمل جميعاً، والأحاديث الصحيحة دلت دلالة واضحة على أن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف، وتلك الأحرف تتمثل في القراءات القرآنية التي نُقلت إلينا نقلاً صحيحاً متواتراً.

لذلك كانت تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم بحروفٍ شتى، وتلقى الصحابة رضي الله عنهم هذه الحروف منه صلى الله عليه وسلم، فمنهم من أخذ القرآن عنه بحرفٍ واحدٍ، ومنهم من أخذ عنه بحرفين، ومنهم من زاد على ذلك، حتى تفرقوا بعد ذلك في الأمصار، وهم على هذا الحال، يقرؤون القرآن بما سمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم بحروفه المختلفة.

ويلزم من ذلك أن سائر القراءات المتواترة قرأ بها النبي صلى الله عليه وسلم وأقرأ عليها، ويكون النبي صلى الله عليه وسلم قد أقرأ بتحقيق الهمزات، وقرأ بتسهيلها، وقرأ بتغييرها، وقرأ بإسقاطها، وقرأ بفتح الألف، والتقليل فيها، والإمالة فيها، وقرأ بالإدغام الصغير والإدغام الكبير... وقرأ كذلك بسائر الفرشيات التي تنسب إلى الأئمة العشرة، إذ ثبت بأسانيدهم المتواترة أنهم تلقوا ذلك كله عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قد قسم هذه الاختيارات إلى وجوه محسومةٍ سبعةٍ أو عشرةٍ، بل ترك لأصحابه الاختيار منها بحسب ما تلقوه، واستقامت عليه ألسنتهم.

ب- تلقي جبريل عليه السلام القرآن الكريم من الله تعالى

اتفق المحققون من العلماء على أن جبريل عليه السلام قد تلقى القرآن الكريم عن الله تعالى، ولكنهم اختلفوا في كيفية هذا الأخذ أو التلقي على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: أن جبريل عليه السلام تلقى القرآن سماعاً من الله عز وجل، ودليل ذلك حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي، أخذ السموات منه رجفة -أو قال رعدة- شديدة خوفاً من الله عزوجل، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صُعقوا وخروا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها، ماذا قال ربنا يا جبريل؟

فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عزوجل».

وكذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان»[67].

والمذهب الثاني: أن جبريل عليه السلام أخذ القرآن الكريم من اللوح المحفوظ[68]؛ ومن أدلة هذا المذهب قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ.فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [69]، وهذا الدليل غير كاف؛ إذ القرآن الكريم كغيره من المغيبات المثبتة في اللوح المحفوظ وليس كونه في اللوح المحفوظ دالاً على أن جبريل عليه السلام قد أخذه منه؛ لأن هذا من الإخبار بالمغيبات التي لا تؤخذ إلا بدليل صريح قطعي الثبوت والدلالة، ولا دليل قطعيا يجزم بأن جبريل عليه السلام قد أخذ القرآن الكريم من اللوح المحفوظ.

والمذهب الثالث: أن معنى القرآن موحى من الله تعالى ولفظه من جبريل عليه السلام أو محمد صلى الله عليه وسلم[70]:

---

[67] –صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب قوله: «إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين»، ح: 4550.

[68] –ومن القائلين به الإمام القسطلاني (923هـ)، انظر: لطائف الإشارات: القسطلاني، ج: 01، ص: 21-22.

[69] –سورة البروج، الآيتان: 21-22.

[70] –ومن القائلين به المستشرق جولد زيهر، انظر: مذاهب التفسير الإسلامي، ص: 50.

وهذا المذهب ليس له دليل لا من نقل ولا من عقل بل هو قول مبني على الكيد للإسلام من قبل أعدائه[71]، ممثلاً في القرآن وإلقاء الشبهات والتشكيك في مصدره الأصلي وهو الله سبحانه وتعالى، وهذا القول معارض بصريح الكتاب العزيز، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[72]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذا لَم تَأتِهِم بِآيَةٍ قالوا لَولَا اجتَبَيتَها قُل إِنَّما أَتَّبِعُ ما يوحى إِلَيَّ مِن رَبّي هذا بَصائِرُ مِن رَبِّكُم وَهُدًى وَرَحمَةٌ لِقَومٍ يُؤمِنونَ﴾[73]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ.لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ.ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ.فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[74]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن أَحَدٌ مِنَ المشرِكينَ استَجارَكَ فَأَجِرهُ حَتّى يَسمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبلِغهُ مَأمَنَهُ ذلِكَ بِأَنَّهُم قَومٌ لا يَعلَمونَ﴾[75]، فالآيات الكريمات كلها نص في أن القرآن الكريم كلام الله عز وجل؛ فليس لجبريل عليه السلام فيه سوى حكايته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإيحائه إليه، وليس للرسول صلى الله عليه وسلم فيه سوى وعيه وحفظه، ثم حكايته وتبليغه، ثم بيانه وتفسيره، ثم تطبيقه وتنفيذه.

---

[71] –انظر كتاب: الاختلاف بين القراءات: أحمد البيلي، ص: 33.

[72] –سورة النمل، الآية: 06.

[73] –سورة الأعراف، الآية: 203.

[74] –سورة الحاقة، الآيات: 44-47.

[75] –سورة التوبة، الآية: 6.

وأما الذي ينزل به جبريل عليه السلام بالمعنى دون اللفظ فهو السنة؛ ولذلك جاز رواية السنة النبوية بالمعنى دون القرآن الكريم[76]؛ لأن جبريل عليه السلام نزل بالسنة وأداها بالمعنى، ولم تجز قراءة القرآن الكريم بالمعنى؛ لأن جبريل عليه السلام أداه باللفظ، ولم يبح له أداؤه بالمعنى، والسر في ذلك أن المقصود منه التعبد بلفظه والإعجاز به، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه، وأن تحت كل حرف منه معاني لا يحاط بها كثرة، فلا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه.

وبهذا لم يبق معنا قول يحتج به سوى القول الأول[77] وهو أن جبريل عليه السلام تلقى القرآن الكريم من الله تعالى، وليس من اللوح المحفوظ لدلالة الكتاب والسنة، فالقرآن الكريم يذكر في أكثر من آية منه أن القرآن كلام الله حقيقة لا مجازاً وأن الرسول صلى الله عليه وسلم تلقاه من الله بواسطة جبريل عليه السلام وجبريل تلقاه عن الله عزوجل.

ج–تلقي الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم من جبريل عليه السلام

وبعد أن استعرضت هذه الحقائق، أقول: إن القرآن الكريم نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفرقا في ثلاث وعشرين سنة على الأرجح؛ ثلاث عشرة سنة بمكة، وعشر بالمدينة المنورة، وهذا يعني أن نزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منذ رسالته إلى قبيل وفاته، وكان ينزل مفرقا

[76] –انظر كتاب القراءات وأحكامها: شعبان محمد إسماعيل،(الفرق بين القرآن والحديث القدسي)، ص: 19-21.

[77] –وهو القول الذي يسلم من الاعتراضات والشبهات التي يطرحها أعداء الإسلام للتشكيك في مصدر القرآن الكريم.

بحسب الحوادث، ومقتضيات الأحوال، تبعاً لحاجة المسلمين إلى التشريع، وذلك لتثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه أيسر على الأمة في الحفظ والفهم، بخلاف ما لو نزل جملة واحدة.

قال الإمام الداني[78] رحمه الله:

نَجَّمَهُ عَلَيْهِ جَبْرَاءِيـــــلُ ... فِي مُدَّةٍ حَتَّى انْقَضَى التَّنْزِيلُ

لَبِثَ فِي إِنْزَالِهِ سِنِينَـــــا ... حِسَابُهَا زَادَ عَلَى العِشْرِينَـا[79]

وقد كان جبريل عليه السلام يهبط بالقرآن الكريم إلى النبي صلى الله عليه وسلم بصور وأساليب متعددة، فتارة يظهر للرسول صلى الله عليه وسلم في صورته الحقيقية الملكية، وتارة يظهر في صورة إنسان يراه الحاضرون ويستمعون إليه، وتارة ينزل خفية فلا يُرى؛ ولكن مع ذلك قد يظهر على الرسول صلى الله عليه وسلم أثر الوحي، فيغط غطيط النائم، ويغيب غيبة، ويستغرق مدة في لقاء الروح الأمين، وقد يتأثر جسمه صلى الله عليه وسلم، حيث يتصبب عرقاً في اليوم الشديد البرد، وقد يكون وقع الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم كوقع الجرس؛ وذلك أشد أنواعه.

---

[78] –عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني نسبة إلى دانية من مدن الأندلس (371هـ-444هـ/ 981-1053م)، الإمام العلامة الحافظ شيخ مشايخ المقرئين، دخل المشرق فحج وزار مصر وعاد إلى بلاده وتوفي بها، له عدة مؤلفات منها: التيسير، المقنع، المحكم، المكتفى وغيرها. (معرفة القراء الكبار، ص: 773، www.addani.ma).

[79] –الأرجوزة المنبهة: أبو عمرو الداني، ص: 86-87.

وربما سمع الصحابة رضي الله عنهم صوتا عند وجه النبي صلى الله عليه وسلم كأنه دوي النحل، لكنهم لا يفقهون كلاماً ولا حديثاً بخلافه صلى الله عليه وسلم فإنه يسمع ويعي ما يوحى إليه، فإذا انجلى عنه الوحي وجد ما أوحي إليه حاضراً في ذاكرته منتقشاً في حافظته، كأنما كتب في قلبه كتابة[80]، ومن الأدلة الشرعية على ما ذكرت من كيفيات نزول الوحي؛ قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى.إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[81].

ومنها حديث عائشة رضي الله عنها: أن الحارث بن هشام[82] سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»، قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً.[83]

---

[80] –انظر مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، ج: 01، ص: 80.

[81] –سورة النجم، الآيتان: 03-04.

[82] –الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي يكنى أبا عبد الرحمن وأمه أم الجلاس أسماء بنت مخرية، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم(الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن حجر العسقلاني، ص: 785-786).

[83] – صحيح البخاري: باب بدأ الوحي، ح: 3068.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلقى القراءات بواسطة جبريل عليه السلام، حيث كان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه ما نزل من القرآن العظيم، وطريقة هذه المدارسة كما جاء في الحديث الصحيح أن كلا منهما يقرأ على الآخر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أقرأني جبريل على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»، وعلى هذا تجيء قراءة عمر بن الخطاب لسورة الفرقان، وقراءة هشام بن حكيم لها، وإلا ما صح أن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لكل منهما في قراءته وقد اختلفا: «كذلك أنزلت»؛ إلا إذا كان جبريل عليه السلام أقرأه مرة بهذا ومرة بهذا.

قال الإمام الداني رحمه الله:

وَكَانَ يَعْرِضُ عَلَى جِبْرِيلَ ... فِي كُلِّ عَامٍ جُمْلَةَ التَّنْزِيـــلِ

فَكَانَ يُقْرِيهِ فِي كُلِّ عرْضَهْ ... بِوَاحِدٍ مِنَ الحُرُوفِ السَّبْعَهْ

حَتَّى إِذَا كَانَ بِقُرْبِ الحِينِ ... عَرَضَهُ عَلَيْهِ مَرَّتَيْـــــــنِ[84]

[84] – الأرجوزة المنبهة: أبو عمرو الداني، ص: 87.

2- القراءات في زمن الصحابة والتابعين والأئمة

أ-تلقي الصحابة رضي الله عنهم القرآن الكريم من الرسول صلى الله عليه وسلم

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرئ أصحابه بما أقرأه جبريل عليه السلام امتثالاً لأمر الله تعالى بذلك كما ورد في نصوص عديدة؛ منها قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [85]، وقوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ [86].

وكان الصحابة رضي الله عنهم على استعداد دائم وحماسة مستمرة وهمة عالية لتلقي القرآن الكريم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والحرص على حفظه وفهمه والعمل به مع كل نزول، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجازوهن حتى يعرف معانيهـــن والعمل بهن»، وعن أبي عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه قال: «حدثنا الذين كانوا يُقرؤوننا القرآن-كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب-أنهم كانوا يقْترئون من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل».

[85] -سورة المائدة، الآية: 67.

[86] -سورة الإسراء، الآية: 106.

وكان الاعتماد في ذلك على حفظه في الصدور لا على حفظه في السطور، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾[87]، وهذا مما شرف الله به هذا الكتاب وأهله، قال ابن الجزري رحمه الله: «وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب، ولا يقرؤونه كله إلا نظراً لا عن ظهر قلب»[88].

قال الشاطبي[89] رحمه الله:

وَلَمْ يَزَلْ حِفْظُهُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي عُلَى حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ مُبْتَدَرَا[90]

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستمع إلى الحاذقين من الصحابة في قراءة القرآن الكريم، بل وفوق ذلك يشهد لهم ويرغب الناس في تلقي القرآن عنهم، وبهذا ندرك سر اشتهار هؤلاء بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإقبال الطلاب عليهم ليتلقوا عنهم القرآن والقراءات، فقلما تجد كتاباً أو إسناداً لقراءة مقرئ من القراء إلا وتجدهم في نهاية الإسناد حتى كأنهم هم الذين أخذوا القرآن والقراءات عن الرسول صلى الله عليه وسلم دون غيرهم.

---

[87] – سورة العنكبوت، الآية: 49.

[88] – النشر، ج: 01، ص: 06.

[89] –القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني أبو محمد الشاطبي (538هـ-590هـ/1144-1194م)، أمام القراء ولد بشاطبة في الأندلس وتوفي بمصر، كان عالما بالحديث والتفسير واللغة، من مؤلفاته حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع وشرح اللمع لابن جني وغيرهما. (انظر: الإمام الشاطبي سيد القراء: إبراهيم محمد الجرمي. ومعرفة القراء الكبار، ص: 1110).

[90] –عقيلة أتراب القصائد: القاسم بن فيره الشاطبي، ص: 03.

ب- تلقي الصحابة رضي الله عنهم القرآن الكريم بعضهم من بعض

أما الصحابة الذين اشتهروا بإقراء الصحابة والتابعين فهم كثيرون ولقد ذكر الإمام شمس الدين الذهبي[91] رحمه الله في كتابه (**معرفة القراء الكبار**) أسماء من اشتهروا بذلك وعد منهم سبعة، وهم: عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وأبو الدرداء رضي الله عنهم أجمعين ثم قال بعد ذكرهم: «فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأُخذ عنهم عرضاً وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة، وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة ولكن لم تتصل بنا قراءتهم فلهذا اقتصرت على هؤلاء السبعة رضي الله عنهم»[92].

ومن أشهر من تتلمذ على هؤلاء من الصحابة والتابعين:

- عثمان بن عفان: وقرأ عليه المغيرة بن أبي شهاب المخزومي.
- علي بن أبي طالب: وقرأ عليه أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو الأسود الدؤلي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى.

---

[91] -شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن عثمان قايماز الذهبي (673هـ-748هـ/ 1275-1347م)، تركماني الأصل، محدث ومؤرخ الإسلام، طلب الحديث وله ثماني عشرة سنة، فسمع الكثير ورحل وعني بهذا الشأن وخدمه إلى أن رسخت فيه قدمه، وتصانيفه كثيرة تقرب من المائة، منها: تاريخ الإسلام، سير أعلام النبلاء، طبقات الحفاظ، طبقات القراء، مختصر تهذيب الكمال. (انظر: عقيدة الإمام الذهبي: سليمان بن صالح الخراشي).

[92] -معرفة القراء الكبار، ج: 01، ص: 32.

- أبي بن كعب: وقرأ عليه أبو هريرة، وابن عباس، وعبد الله بن السائب.
- عبد الله بن مسعود: وقرأ عليه الأسود بن يزيد النخعي، وعلقمة ابن قيس، ومسروق بن الأجدع، وأبو عبد الرحمن السلمي.
- زيد بن ثابت: وقرأ عليه أبو هريرة، وابن عباس، وابن عمر، وأنس ابن مالك.
- أبو موسى الأشعري: وقرأ عليه سعيد بن المسيب، وحطان الرقاشي، وأبو رجاء العُطاردي.

وقد جمع الشيخ عبد العزيز الزمزمي رحمه الله الرواة والحفاظ الذين من الصحابة والتابعين الذين اشتهروا بحفظ القرآن الكريم في الأبيات التالية:

عَليٌّ، عُثْمـــــــانُ، أُبِيٌّ، زَيْدُ ... ولابنِ مَسعُودٍ بِهذا سَعْـــــــــدُ

كذا أَبُو زَيْدٍ، أَبو الدَّرْدا كَـــذَا ... مُعـــــــــــاذٌ بنُ جَبَلٍ، وأَخَذَا

عَنْهُمْ أَبُـــــــو هُرَيْرَةٍ مَعَ ابْنِ ... عَبَّاسٍ، ابـــــــنُ سَائِبٍ، والمغْنِي

بِذَيْنِ عَبْدُ اللهِ ثُمَّ مَنْ شُهِـــــرْ ... مِـــــــنْ تَابِعِيٍّ فالَّذِي مِنْهُمْ ذُكِرْ

يَزِيْدُ أَيْ مَـــــــنْ أَبُهُ القَعْقَاعُ ... والأَعْرَجُ بنُ هُرْمُزٍ قَدْ شَاعُـــــــوا

مُجَاهِدٌ، عَطَـــا، سَعِيْدٌ، عِكْرِمَةْ ... والحَسَنُ، الأَسْـــــوَدُ، زِرٌّ، عَلْقَمَةْ

كذاكَ مَسْرُوقٌ، كـــــذا عَبِيْدَةْ ... رُجُـــــــــــوعُ سَبْعةٍ لَهُمْ لا بُدَّهْ

3- مرحلة الأئمة وتدوين القراءات القرآنية

أ- القراء من طبقة التابعين وتابعيهم

كان يقرئ القرآن بالمدينة المنورة ابن المسيب، وعروة، وسالم، وعمر بن عبد العزيز، وسليمان وعطاء ابنا يسار، ومعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القاري، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وابن شهاب الزهري، ومسلم بن جندب، وزيد بن أسلم.

وكان يقرئ بمكة المكرمة: عبيد بن عمير؛ وعطاء بن أبي رباح؛ وطاووس؛ ومجاهد؛ وعكرمة وابن أبي مليكة، واشتهر بالكوفة والبصرة والشام بإقراء القرآن أناس كثيرون من التابعين رحمهم الله.

ثم تجرد البعض ممن جاء بعدهم وعنوا بضبط القراءة أتم عناية حتى صاروا أئمة يُقتدى بهم ويُرحل إليهم.

فكان بالمدينة: أبو جعفر يزيد بن القعقاع، ثم شيبة بن ناصح، ثم نافع بن أبي نعيم.

وكان بمكة: عبد الله بن كثير، وحميد بن قيس الأعرج، ومحمد بم محيصن.

وكان بالكوفة: يحي بن وثاب، وعاصم بن أبي النجود، وسليمان الأعمش، ثم حمزة ثم الكسائي.

وكان بالبصرة: عبد الله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمرو، وأبو عمرو بن العلاء، وعاصم الجحدري؛ ثم يعقوب الحضرمي.

وكان بالشام: عبد الله بن عامر، وعطية بن قيس الكلابي، وإسماعيل بن عبد الله ابن المهاجر، ثم يحيى بن الحارث الذماري، ثم شريح بن يزيد الحضرمي.

ب–القراءات في زمن الأئمة العشرة

انتشر القراء في الأمصار الإسلامية مع الفتوح، وامتداد آثار الدعوة في المشرق والمغرب، وتعددت الروايات للحروف التي قرأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكثر أهل البدع والأهواء، وظهر الشذوذ في القراءات، فتجرد قوم للقراءة والأخذ، واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية حتى صاروا أئمة يقتدى بهم في ذلك، ويُرحل إليهم ويؤخذ عنهم، وأجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول، ولم يختلفوا عليهم، فنسبت إليهم.

قال الإمام ابن الجزري رحمه الله: «ونعتقد أن معنى إضافة كل حرف من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم؛ إنما هو من حيث إنه كان أضبط له، وأكثر قراءة، وإقراءً به، وملازمة له، وميلاً إليه لا غير ذلك، وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة ورواتهم المراد بها: أن ذلك القارئ وذلك الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به فآثره على غيره، وداوم عليه ولزمه حتى اشتهر، وعرف به، وقصد فيه، وأخذ عنه، فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء، وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم، لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد»[93].

[93] –النشر، ج: 1، ص: 223.

ثم جاءت بعد ذلك مرحلة الضبط والتقنين ممثلة في عمل ابن مجاهد رحمه الله وتسبيعه السبعة، وقد لاقى هذا العمل قبولاً عند جمهرة علماء القراءات، ثم أضيف الثلاثة إلى السبع فأصبح أئمة القراءات المتواترة عشرة وهم على هذا الترتيب حسب وفياتهم:

- **القراء السبعة:**

2-عبد الله بن كثير[94] (120هـ) 6- نافع[95] (169هـ)

3-عاصم[96] (127هـ) 7- الكسائي[97] (189هـ)

4-أبو عمرو[98] (154هـ)

[94] -أبو معبد العطار الداري إمام أهل مكة في القراءة، روى عن عدد من الصحابة، منهم: عبد الله بن الزبير وأنس بن مالك وأبو أيوب الأنصاري، وروى قراءته أبو الحسن البزي أحمد بن محمد وقنبل أبو عمر محمد بن عبد الرحمن (معرفة القراء الكبار، ج: 1، ص: 86، والنشر، ج: 1، ص: 120، وغاية النهاية، ج: 1، ص: 443).

[95] -نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رُوَيْم الليثي، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة المنورة أخذ عن طائفة من التابعين منهم الزهري وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وأبو جعفر القارئ، واشتهر من رواته عيسى بن مينا الملقب بقالون وعثمان بن سعيد الملقب بورش (معرفة القراء الكبار، ج: 1، ص: 107، والنشر، ج: 1، ص: 112، وغاية النهاية، ج: 1، ص: 330).

[96] -عاصم بن بهدلة أبي النجود الكوفي أبو بكر إمام أهل الكوفة في القراءة، أخذ عن زر بن حبيش وأبي عبد الرحمن السلمي، وروى قراءته حفص بن سليمان وأبو بكر شعبة بن عياش (معرفة القراء الكبار، ج: 1، ص: 88، والنشر، ج: 1، ص: 172، وغاية النهاية، ج: 1، ص: 535).

[97] -أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة، أخذ عن حمزة وعيسى بن عمرو الخليل، وروى قراءته أبو الحارث الليث بن خالد البغدادي وحفص بن عمر الدوري (معرفة القراء الكبار، ج: 1، ص: 120، والنشر، ج: 1، ص: 155، وغاية النهاية، ج: 1، ص: 346).

[98] -أبو عمرو زبَّان بن العلاء التميمي المازني إمام أهل البصرة، سمع أنس بن مالك وقرأ على الحسن البصري وسعيد بن جبير، وروى قراءته حفص الدوري وصالح بن زياد أبو شعيب السوسي (معرفة القراء الكبار: ج: 1، ص: 100، والنشر، ج: 1، ص: 134، وغاية النهاية ج: 1، ص: 288).

- **الثلاثة المتمون للعشرة:**

8- أبو جعفر[99] (130هـ)

9- يعقوب[100] (205هـ)

10- خلف[101] (229هـ)

وقد جمعهم الإمام ابن الجزري رحمه الله في الأبيات التالية:

وَمِنْهُمُ عَشْرٌ شُمُوسٌ ظَهَرَا ضَيَاؤُهُمْ وَفِي الأَنَامِ انْتَشَرَا

حَتَّى اسْتَمَدَّ نُوْرُ كُلِّ بَدْرِ مِنْهُمْ وَعَنْهُمْ كُلُّ نَجْمٍ دُرِّي

وَهَا هُمُو يَذْكُرْهُمُو بَيَانِي كُلُّ إِمَامٍ عَنْهُ رَاوِيَانِ

فَنَافِعٌ بِطَيْبَةٍ قَدْ حَظِيَا فَعَنْهُ قَالُونٌ وَوَرْشٌ رَوَيَا

وَابْنُ كَثِيرٍ مَكَّةٌ لَهُ بَلَدْ بَزِّ وَقُنْبُلٌ لهُ عَلَى سَنَدْ

---

[99] -أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني المخزومي، تابعي عرض القرآن على عبد الله بن عباس وأبي هريرة، وروى عنه ابن جماز وعيسى بن وردان (معرفة القراء الكبار، ج: 1، ص: 72، والنشر، ج: 1، ص: 178، غاية النهاية، ج:2، ص: 383).

[100] -يعقوب بن إسحاق أبو محمد الحضرمي البصري أخذ عن سلام الطويل ومهدي بن ميمون والكسائي وحمزة، وروى عنه رويس وروح بن عبد المؤمن (معرفة القراء الكبار، ج: 1، ص: 157، والنشر، ج: 1، ص: 186، وغاية النهاية، ج: 2، ص: 386).

[101] -خلف بن هشام أبو محمد الأسدي، أخذ عن سليم بن عيسى وإسحاق المسيبي، وروى عنه إسحاق الوراق وإدريس (معرفة القراء الكبار، ج: 1، ص: 208، والنشر، ج: 1، 188، وغاية النهاية، ج: 2، ص: 272).

ثُمَّ أَبُوعَمْرٍو فَيَحْيَ عَنْـــهُ	وَنقَلَ الدُّورِي وَسُوسٍ مِنْهُ
ثُمَّ ابْنُ عَامِرِ الدِّمشْقِي بِسَنَدْ	عَنْهُ هِشَامٌ وابْنُ ذَكْوَانَ وَرَدْ
ثلاَثَةٌ مِنْ كُوفَةٍ فَعَاصِـــــمُ	فَعَنْهُ شُعْبَةٌ وَحَفْصٌ قَائِـمُ
وَحَمْزَةٌ عَنْهُ سُلَيْمٌ فَخَلَـــــفْ	مِنْهُ وَخَلاَّدٌ كِلاهُمَا اغْتَـرَفْ
ثمَّ الكِسَائِيُّ الفَتَى عَلِـــيُّ	عَنْهُ أَبُو الْحَارِثِ والــدُّورِيُّ
ثمَّ أَبُو جَعْفَرٍ الحَبْرُ الرِّضَــى	فَعَنْهُ عِيسَى وابْنُ جَمَّازٍ مَضَى
تَاسِعُهُمْ يَعْقُوبُ وَهْوَ الحَضْرِمِي	لَهُ رُوَيْسٌ ثُمَّ رَوْحٌ يَنْتَمِـــــى
وَالْعَاشِرُ البَزَّارُ وَهْوَ خَلَـــفُ	إِسْحَاقُ مَعْ إِدْرِيسَ عَنْهُ يُعْرَفُ[102]

كل هؤلاء المذكورين ممن اشتهرت إمامته وطال عمره في الإقراء وارتحل الناس إليه من البدان[103]، قال الفضل بن حسن الطبرسي رحمه الله (ت 548هـ): وإنما اجتمع الناس على قراءة هؤلاء واقتدوا بهم لسببين:

أحدهما: أنهم تجردوا لقراءة القرآن الكريم، واشتدت بذلك عنايتهم مع كثرة علمهم ومن كان قبلهم أو في زمنهم ممن نسب إلى القراءة من العلماء لم يتجردوا لذلك تجردهم، وكان الغالب على أولئك الفقه أو الحديث أو غير ذلك من العلوم.

[102] –طيبة النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص: 34.

[103] –انظر كتاب: الإبانة، ص: 47-48.

والآخر: أن قراءتهم وجدت مسندة لفظاً أو سماعاً حرفاً حرفاً من أول القرآن إلى آخره، مع ما عرف من فضائلهم وكثرة علمهم بوجوه القراءات[104].

ج–تدوين القراءات القرآنية

بدأ التأليف والتدوين في علم القراءات في أوائل القرن الثالث الهجري، وقد اختلف المؤرخون في أول من ألف في علم القراءات على أقوال؛ أشهرها:

القول الأول: أول من دون في علم القراءات هو الإمام عبيدٍ القاسم بن سلام، وهو رأي ابن الجزري في كتابه النشر؛ قال رحمه الله: «لما كانت المئة الثالثة واتسع الخرق، وقل الضبط، وكان علم الكتاب والسنة أوفر ما كان في ذلك العصر، تصدى بعض الأئمة لضبط القراءة، فكان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب واحد أبو عبيدٍ القاسم بن سلام، وجعلهم فيما أحسب خمسة وعشرين قارئا مع هؤلاء السبعة»[105].

والقول الثاني: أول من نظم كتاباً في القراءات السبع هو الحسين بن عثمان بن ثابت البغدادي الضرير، وهذا رأي حاجي خليفة في كشف الظنون.

[104] –انظر القراءات القرآنية: عبد الهادي الفضل، ص: 34.

[105] –النشر، ج: 01، ص: 34.

والقول الثالث: أول من ألف في القراءات هو أبو حاتم السجستاني سهل ابن محمد في كتابه (من مفاخر التراث عند البصريين)، وهذا رأي ابن الجزري في كتابه (غاية النهاية في أسماء رجال القراءات أولي الرواية والدراية)؛ حيث قال رحمه الله حين ترجم له: «أحسبه أول من صنف في القراءات»[106].

والقول الرابع: أول من ألف في القراءات هو يحي بن يعمر، وهو قول ابن عطية صاحب المحرر الوجيز، وجمع من المعاصرين، منهم: الأستاذ فؤاد سزكين في كتابه (تاريخ التراث العربي)، والدكتور عبد الهادي الفضلي في كتابه (القراءات القرآنية، تاريخ وتعريف)، والدكتور شعبان محمد إسماعيل في كتابه (القراءات، أحكامها ومصادرها).

ثم اتسعت حركة التدوين والتأليف في القراءات القرآنية، فكتب ابن مجاهد كتابه السبعة (كتاب القراءات الصغير)، وله كتاب القراءات الكبير (كتاب القراءات الشاذة) وأفرد لكل إمام من الأئمة السبعة كتاباً مستقلاً[107]، وكتب إسماعيل بن إسحاق المالكي المتوفى سنة 310هـ كتاباً في القراءات سماه (الجامع) جمع فيه عدداً من القراءات[108].

---

[106] –غاية النهاية، ج:01، ص: 320، مع أنه ذكر في النشر بأن أول إمام معتبر ألف في القراءات هو أبو عبيد القاسم بن سلام.

[107] –كتاب السبعة: مجاهد، ص: 17.

[108] – النشر، ج: 01، ص: 34.

وممن ألف في القراءات أحمد بن جبير المتوفى سنة 358هـ ألف كتاباً ضمنه قراءة أئمة الأمصار الخمسة: مكة والمدينة والبصرة والكوفة والشام[109].

ومنهم الإمام محمد بن أحمد الداجوني المتوفى سنة 334هـ ألف كتاباً سماه (القراءات الثمانية) جمع فيه قراءات الأئمة السبعة وأضاف إليهم قراءة أبي جعفر.

وعلى هذا النحو تتابع التأليف في القراءات القرآنية وتكاثر ما بين منظوم ومنثور ومطول ومختصر، كما تنوعت اتجاهاته، فهناك مؤلفات في القراءات وأسانيدها والأصول والفرش، وهناك مؤلفات في طبقات القراء، وهناك مؤلفات في الاحتجاج للقراءات[110].

المطلب الثاني: أقسام القراءات القرآنية

1- أقسام القراءات القرآنية من حيث القبول والرد

تنقسم القراءات من حيث القبول والرد إلى قسمين: قراءة مقبولة، وقراءة مردودة.

[109] - غاية النهاية، ج: 1، ص: 42.

[110] - ومن أراد أن يتتبع مؤلفات القراءات منذ بدايتها حتى القرون الأخيرة فعليه بالمراجع التالية: الفهرست لابن النديم-وفيات الأعيان لابن خلكان-الوافي بالوفيات للصفدي-بغية الوعاة للسيوطي-معرفة القراء الكبار على الطبقات والأمصار للذهبي-غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري.

أ–القراءة المقبولة:

أما القراءة المقبولة فهي كل قراءة صح سندها، ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، ووافقت أحد أوجه اللغة العربية.

وقد حرص علماء القراءات على وضع ضوابط ومقاييس للقراءة المقبولة[111] ليميزوا بهذه الضوابط هذا النوع من القراءة عن غيره، ومرت هذه المقاييس بمراحل مختلفة تطورت فيها وفق متطلبات علم القراءات وملابساته، وأقدم مقياس وقفت عليه هو مقياس ابن مجاهد ثم تلاه ابن خالويه ثم مكي بن أبي طالب ثم الكواشي، وأخيراً مقياس ابن الجزري الذي استقر عليه العرف القرائي حتى اليوم.

وأذكر هنا تلكم المقاييس على وجه الاختصار كما يلي:

مقياس ابن مجاهد المتوفى سنة 324هـ، وهو:

- أن يكون القارئ مجمعاً على قراءته من قبل أهل مصره.
- أن يكون إجماع أهل مصره على قراءته قائماً على أساس من توفره على العلم بالقراءة واللغة أصالة وعمقاً.

[111] – وأول من تكلم في ضوابط القراءات المقبولة؛ ابن مجاهد (324هـ) ثم تلاه ابن خالويه (ت 370هـ)، ومكي بن أبي طالب (ت 437هـ)، وأبو شامة (ت 665هـ)، والكواشي (ت 680هـ)، وأخيراً ابن الجزري (ت 833هـ)، وقد استقر الأمر من بعده على الضوابط التي وضعها حتى اليوم.

مقياس ابن خالويه المتوفى سنة 370هـ، وهو:

- مطابقة القراءة للرسم
- موافقة القراءة للعربية
- توارث نقل القراءة

مقياس مكي بن أبي طالب المتوفى سنة 437هـ، وهو:

- قوة وجه القراءة في العربية
- مطابقة القراءة للرسم
- اجتماع العامة عليها

مقياس الكواشي المتوفى سنة 680هـ، وهو:

- صحة السند
- موافقة العربية
- مطابقة الرسم

مقياس ابن الجزري المتوفى سنة 833هـ، وهو:

- صحة السند
- موافقة العربية مطلقاً

- مطابقة الرسم ولو تقديراً

وبعد الموازنة بين هذه المقاييس المذكورة خلصتُ إلى النتيجة التالية، وهي: أن أركان القراءة المتواترة، هي: صحة السند ومطابقة الرسم وموافقة العربية، وكما قال ابن الجزري رحمه الله في منجد المقرئين: «كل قراءة وافقت العربية مطلقاً، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً، وتواتر نقلها؛ هذه القراءة المتواترة المقطوع بها».

وقال رحمه الله:

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْـوِ وَكَانَ لَلرَّسْمِ احْتِمَالاً يَحْوِي

وَصَحَّ إِسْنَاداً هُوَ الْقُرْآنُ فَهَذِهِ الثَّلاَثَةُ الأَرْكَـــــانُ

وَحَيْثُمَا يَخْتَلَّ رُكْنٌ أَثْبِتْ شُذُوذَهُ لَوْ أَنَّهُ فِي السَّبْعَــةِ[112]

ونلحظ أن هذا الكلام يشتمل على ثلاثة ضوابط، يتوقف على توفرها جميعاً قبول القراءة:

الضابط الأول: موافقة اللغة العربية

فمن شروط قبول القراءة موافقتها لأحد الأوجه العربية، سواء أكان هذا الوجه فصيحاً أم أفصح، مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه.

[112] –طيبة النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص: 34.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾[113]؛ فكلمة (بارئكم) قرئت بكسر الهمز، وهي قراءة ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي، وهذا الوجه هو المشهور في العربية، وقرئت (بارْئكم) بإسكان الهمزة، أو باختلاس الحركة فيها وهي قراءة أبي عمرو من رواية الدوري عنه، وهذا الوجه أقل شهرة من الأول، وبناء على هذا الضابط فكلتا القرائتين صحيحة ومقبولة.

ومثاله قراءة حمزة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [114]، بجر الأرحام عطفاً على الضمير المتصل المجرور (به)، وهذا جائز على مذهب الكوفيين.

والضابط الثاني: موافقة الرسم العثماني

فيكفي لتحقيق هذا الشرط أن تكون القراءة ثابتة في بعض المصاحف العثمانية دون البعض الآخر، كقراءة ابن عامر: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾[115] من غير واو في سورة البقرة، و﴿وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾[116] بزيادة الباء في الاسمين؛ فإن ذلك ثابت في المصحف الشامي، فلو لم تكن القراءة موافقة لأحد المصاحف لكانت شاذة.

---

[113] –سورة البقرة، الآية : 54.

[114] –سورة النساء، الآية : 01.

[115] –سورة البقرة، الآية: 116.

[116] –سورة فاطر، الآية: 25.

ولا يشترط أن تكون الموافقة صريحة، بل يكفي أن تحصل الموافقة ولو تقديراً، إذْ يحتملها الخط احتمالاً، كما في ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[117] فإنها كُتبت من غير ألف في جميع المصاحف، فقراءة الحذف توافق الرسم تحقيقاً، وقراءة الألف توافقه تقديراً، لحذفها في الخط اختصاراً.

والضابط الثالث: صحة السند

وهو أهم ما علق عليه العلماء صحة القراءة فلا بد أولا من ثبوت النقل ثم ينظر في توافر الشروط الأخرى؛ فمنهم من اشترط التواتر، ومنهم من اشترط التواتر أو الشهرة أو كونه آحداً، والذي يظهر لي أن القول بعدم اشتراط التواتر هو الصحيح، وهو اختيار الأئمة: مكي بن أبي طالب، وأبي عمرو الداني، وابن الجزري، وأبي شامة المقدسي، وإبراهيم بن عمر الجعبري، وأبي العباس المهدوي.

قال ابن الجزري رحمه الله في كتابه النشر: «كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواءٌ كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة، أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرح بذلك الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن

[117] –سورة الفاتحة، الآية: 04.

سعيد الداني، ونص عليه في غير موضع الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب، وكذلك الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي، وحققه الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه»[118].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «وقد شرط بعض المتأخرين التواتر في هذا الركن، ولم يكتف فيه بصحة السند، وزعم أن القرآن لايثبت إلا بالتواتر، وإن ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت به قرآن، وهذا ما لا يخفى ما فيه، فإن التواتر إذا ثبت لا يُحتاج فيه إلى الركنين الأخرين من الرسم وغيره إذْ ما ثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن النبي صلى الله عليه وسلم وجب قبوله وقطع بكونه قرآناً، سواء وافق الرسم أم خالفه، وإذا اشترطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم، وقد كنت قبل أجنح إلى هذا القول[119]، ثم ظهر فساده وموافقة أئمة السلف والخلف»[120].

والخلاصة أنه إذا افتقد واحد من هذه الضوابط الثلاثة في القراءة فاحكم عليها بأنها شاذة أو ضعيفة أو باطلة سواء كانت مروية عن القراء السبعة أو عمن هو أجل منهم، عن واحد أو عن سبعة آلاف من القراء فلا تجوز القراءة بشيء منها، وسبب ذلك أن العلماء لم يجدوا عند استقراءهم القراءات

---

[118] -النشر، ج: 01، ص: 09.

[119] -اشترط ابن الجزري التواتر لقبول القراءة في كتابه (منجد المقرئين، ص:91)، مخالفا لما اشترطه في كتابه النشر.

[120] -النشر، ج: 01، ص: 13.

قراءة متواترة تخالف الخط العثماني أو اللغة العربية، فلو بلغتنا قراءة من القراء وصح أحد أسانيدها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكنها كانت تخالف خط المصحف أو اللغة العربية فالحكم عليها أنها شاذة لعدم توفر حد التواتر في كل طبقة من رواتها.

وهذا الضابط هو المعتمد عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، فقد نص عليه مكي بن أبي طالب وأبو عمرو عثمان بن سعيد الداني وموفق الدين الكواشي، وأبو محمد إسماعيل بن إبراهيم الهروي، وأبو العباس أحمد بن عمار المهدوي، وأبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة... وهذا مو مذهب السلف إذ لم يؤثر عن أحد منهم ما يخالفه[121].

وأنواع القراءة المقبولة ثلاثة، وهي:

1-القراءات المتواترة

2-القراءات المشهورة

3-القراءات الآحادية الموافقة للعربية والتي صح سندها، وليس فيها علة أو شذوذ وخالفت الرسم.

وحكمها أن القراءات المتواترة والمشهورة: قرآن باتفاق، يُقرأ بها في الصلاة ويُتعبد بها، ويتمثل فيها الإعجاز والتحدي، ويكفر جاحدها.

[121] -انظر كتاب مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ص: 166-168.

وأما القراءات الآحادية الموافقة للعربية؛ وصح سندها، وليس فيها علة، أو شذوذ وخالفت الرسم، فهذه مقبولة ولكن لا يقرأ بها لكونها آحاداً، وأنها مخالفة لما قد أُجمع عليه، وما لم يقطع على صحته لا يجوز القراءة به ولا يكفر من جحده.

ب–القراءة المردودة:

وهي كل قراءة اختل فيها أحد ضوابط القراءة المقبولة التي سبق الحديث عنها. وضوابطها هي عكس ضوابط القراءة المقبولة، وهي:

ضابط السند: فكل قراءة كانت غير صحيحة السند فهي قراءة مردودة لعدم توافر شرط الصحة فيها، ومن الأمثلة على هذا النوع من القراءات؛ قراءة أنس بن مالك (مَلكَ) بدل ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[122].

وضابط المتن: فكل قراءة خالفت رسم المصاحف العثمانية، أو خالفت أوجه العربية، أو كان معناها معارضاً لإحدى القراءات المقبولة، فهي مردودة، ومن أمثلة هذا النوع من القراءات قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: (إن كانت إلا زَقْيَةً واحدة) بدل ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾[123].

[122] –سورة الفاتحة، الآية: 04.

[123] –سورة يس: الآية: 29.

وضابط اللغة: فكل قراءة خالفت أوجه اللغة العربية فهي قراءة مردودة، ومن أمثلة ما خالف أوجه العربية، ما رواه ابن بكار عن أيوب عن يحي عن ابن عامر من فتح ياء (أدريَ أقريب) في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾[124].

ويمكن بعد هذا العرض الموجز عن ضوابط القراءة المردودة أن أذكر الأقسام التي تدخل تحتها، وهي: القراءة الآحادية التي لا وجه لها في العربية، والقراءة الشاذة، والقراءة المدرجة، والقراءة الموضوعة، وسيأتي تعريف هذه الأنواع والتمثيل عليها بإذن الله تعالى.

أما حكم القراءة المردودة فإنها لا تعد قرآناً، ولا يقرأ بها في الصلاة أو في غيرها تعبداً على الرأي الصحيح، ويجوز قبولها على رأي جمهور العلماء في تفسير النصوص واستنباط الأحكام والعمل بمدلولها إذا كانت مقبولة من حيث السند، ولكن كان ردها من جهة المتن، ويجوز قبولها أيضاً في القضايا اللغوية فهي تعد أو تستعمل شواهد يصح استنباط القواعد اللغوية منها.

2- أقسام القراءات من حيث السند

تنقسم القراءات بهذا الاعتبار إلى ستة أقسام:

[124] -سورة الأنبياء، الآية: 109.

أولاً: القراءات المتواترة:

والتواتر في اللغة: هو التتابع مع التنبيه على وجود فترة أو فجوة بين الشيئين المتتابعين.

أما في اصطلاح القراء: فالمتواتر من القراءات ما نقله جماعة من بداية السند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بشرط أن يأمن تواطؤ هذه الجماعة على الكذب في أي موضع من مواضع السند كما يشترط أن يكون النقل تاماً أي لفظاً ومعنى بخلاف الحديث النبوي الذي تجوز روايته بالمعنى فقط[125].

ثانياً: القراءات المشهورة

والشهرة في اللغة: هي الظهور والوضوح، والمشهورة هي الظاهرة الواضحة، وهي اسم مفعول مشتق من مـــــادة (ش هـ ر)، ومنه قولنا فلان من الشهرة بمكان أي أنه رجل كالعَلم في الوضوح[126].

أما في اصطلاح القراء: فهي القراءة التي صح سندها، ولم تبلغ درجة التواتر، ووافقت الرسم والعربية، واشتهرت عند القراء فلم يعدوها من الغلط أو الشذوذ.

[125] -مصطلحات القراءات: إبراهيم الهلالي، ص: 148-149-150.

[126] -لسان العرب: ابن منظور، مادة (ش هـ ر)، ج: 04، ص: 431.

ثالثاً: القراءات الآحادية

والآحاد في اللغة: جمع أحد، وهي مشتقة من مادة (و ح د) بمعى الوحدة والانفراد[127]. أما في اصطلاح القراء: فهي القراءة التي صح سندها، وخالفت رسم المصحف أو العربية، أو كليهما ولم تشتهر الاشتهار المذكور سابقاً.

رابعاً: القراءات الشاذة

والشذوذ في اللغة: مشتق من مادة (ش ذ ذ) وهو الانفراد والندرة، وما جاء على خلاف الأصل، ومنه قولهم: شذ الرجل أي انفرد عن أصحابه، وقولهم: شذ عنهم أي انفرد عن الجمهور[128].

أما في اصطلاح القراء: فهي القراءة التي انفرد بها القارئ عن العامة أو ما خالف فيها أحد أركان القراءة الصحيحة[129].

خامساً: القراءات المدرجة

والإدراج في اللغة: مشتق من كلمة (د ر ج) بمعنى الدخول والتضمين، ومنه قولهم: أدرجت الشيء في الشيء أي أدخلته فيه، وضمنته إياه[130].

---

[127] -لسان العرب: ابن منظور، مادة (و ح د)، ج: 03، ص: 446-447.

[128] -لسان العرب: ابن منظور، مادة (ش ذ ذ)، ج: 03، ص: 494-495.

[129] -مصطلحات القراءات: إبراهيم الهلالي، ص: 191.

[130] -لسان العرب: ابن منظور، مادة (د ر ج)، ج: 02، ص: 266-267.

أما في اصطلاح القراء: فهي العبارة التي زيدت بين الكلمات القرآنية على وجه التفسير.

سادساً: القراءات الموضوعة

والوضع في اللغة: كلمة مشتقة من كلمة (و ض ع)، وهي تعني الاختلاف ومنه قولهم: رواية موضوعة أو مختلقة، وقولهم: قراءة موضوعة أي مختلقة[131].

أما في اصطلاح القراء: هي القراءة التي نسبت إلى قائلها من غير أصل، أو هي المكذوبة المختلقة المصنوعة المنسوبة إلى قائلها افتراء.

3- أقسام القراءات القرآنية من حيث اتحاد المعنى وتعدده

تنقسم القراءات من ناحية اتحاد المعنى وتعدده إلى قسمين:

الأول: القراءات المتحدة المعنى: وهي القراءات التي اختلف لفظها واتفق معناها، ويدخل في هذا النوع القراءات المختلفة في الأصول؛ كالاختلاف في المد، وتخفيف الهمزات والإظهار والإدغام وغير ذلك من الأصول، ويدخل فيه أيضاً القراءات المختلفة في الفرش أحياناً.

[131] -لسان العرب: ابن منظور، مادة (و ض ع)، ج: 08، ص: 396.

ومن أمثلة الاختلاف في الأصول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[132] فقرئت (يؤمنون) بالهمز، وقرئت بالإبدال، ونحو قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [133] فقرئت بإسكان ميم الجمع، وقرئت بصلتها أيضاً.

ومن أمثلة الاختلاف في الفرش قوله تعالى: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ﴾[134]، قرأ حمزة (أسْرى) بفتح الهمزة وسكون السين من غير ألف، وأما القراءة الأولى فهي قراءة الباقين من العشرة بضم الهمزة وألف بعد السين.

والثاني: القراءات المتعددة المعنى: وهي القراءات التي اختلف لفظها ومعناها أيضًا، واختلاف المعاني في هذا النوع هو من باب اختلاف التنوع لا من باب اختلاف التضاد؛ لأن اختلاف التضاد منفي عن القرآن الكريم بنصه الصريح قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[135].

---

[132] –سورة البقرة، الآية: 03.

[133] –سورة البقرة، الآية: 03.

[134] –سورة البقرة، الآية: 85.

[135] –سورة النساء، الآية: 82.

وهذا النوع لا يوجد إلا في الفرش، ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾[136]، قرئت (يصُدون) بضم الصاد، وهي قراءة نافع وابن عامر والكسائي، وقرئت بالكسر وهي قراءة الباقين من العشرة؛ فالقراءة الأولى بمعنى: يصدون غيرهم عن الإيمان، والقراءة الثانية بمعنى صدودهم في أنفسهم، وكلا المعنيين حاصل منهم.

وكما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلوا لِلَّهِ أَندادًا لِيُضِلّوا عَن سَبيلِهِ﴾[137]، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (ليَضلوا) بفتح الياء أي ليضلوا هم؛ أي يصيرون ضُلالا، وحجتهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبيلِهِ﴾[138]، وقرأ الباقون من السبعة (ليُضلوا) بضم الياء، أي ليُضلوا غيرهم، ولكن معنى القراءة الثانية أبلغ؛ لأنه قد يضل في نفسه ولا يضل غيره، وأما القراءة الثانية فتفيد أنه ضال مضل: أي أنهم ضالون لشركهم مضلون غيرهم.

المطلب الثالث: القراءات والأحرف السبعة

1. أحاديث الأحرف السبعة

تواترت الروايات الواردة في نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف، وقد روى حديث الأحرف السبعة جمعٌ من الصحابة رضي الله عنهم يفوق عددهم العشرين صحابياً، منهم: أُبي بن كعب وأكثر

[136] –سورة الزخرف، الآية: 57.

[137] –سورة إبراهيم، الآية: 30.

[138] –سورة النحل، الآية: 125.

الروايات عنه، وأنس، وحذيفة، وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب، وابن عباس، وابن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعمرو ابن العاص، ومعاذ بن جبل، أبو سعيد الخُدري، وأبو بكرة، وهشام ابن حكيم، وأبو هريرة رضي الله عنهم أجمعين.

وقد عددهم الإمام السيوطي في الإتقان، وابن الجزري في النشر، ونص على تواتره جمع من العلماء، منهم أبو عبيد القاسم بن سلام، والإمام أبو عمرو الداني، والإمام ابن القاصح[139].

وسأذكر بعضاً من الروايات المشهورة لحديث الأحرف السبعة:

- حديث اختلاف عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم رضي الله عنهما في سورة الفرقان، وقد مر معنا.
- وحديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أقرأني جبريل على حروف فراجعته، فلم أزل أستزيده[140] ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف».

[139] –انظر: الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها: حسن ضياء الدين عنز، البحث الأول: أحاديث إنزال القرآن على سبعة أحرف، ص: 57 وما بعدها.

[140] –أستزيده أي: أطلب من جبريل أن يطلب من الله تعالى الزيادة على الحرف تخفيفاً وتوسعة على الأمة.

- وحديث أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند (أضاة بني غِفَار)[141] فأتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تَقرأ أمتكَ القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا.
- وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كنت في المسجد، فدخل رجل يصلي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر، فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرآ، فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني، ضرب في صدري، ففضت عرقاً وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فَرَقاً، فقال لي: «يا أبي، أُرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هون على

[141] –أضاة بني غفار: الأضاة هو مستنقع الماء كالغدير، وجمعه أضا كحصاة وحصا، وقيل بالمد والهمزة، مثل إناء وهو موضع بالمدينة النبوية ينسب إلى بني غفار؛ لأنهم نزلوا عنده.

أمتي، فرد إلي الثانية اقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إلي الثالثة اقرأه على سبعة أحرف، فلك بكل ردة رددتكما مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق كلهم، حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلم»[142].

- وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل، فقال: «يا جبريل، إني بعثت إلى أمة أميين: منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط، قال: يا محمد، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف»[143].
- وعن عثمان رضي الله عنه أنه صعد يوماً على المنبر للخطبة، فقال: أُذكر الله رجلا سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف، كلهن شاف كاف، لما قام فقاموا حتى لم يحصوا، فشهدوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، كلهن شاف كاف»، فقال عثمان: وأنا أشهد معهم.
- وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف، المراء في القرآن كفر-ثلاث مرات- فما عرفتم منه فاعملوا، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه»[144].

---

[142] -صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، ح: 820.

[143] -سنن الترمذي، أبواب القراءات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف، ح: 2944.

[144] -مسند أحمد بن حنبل، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ح: 7976.

- وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رجلاً قرأ آية من القرآن، فقال له عمرو: إنما هي كذا وكذا، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأي ذلك قرأتم فقد أحسنتم، ولا تَمَارَوا فيه فإن المراء فيه كفر أو آية الكفر».
- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، كلها شاف كاف».
- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «أنزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف، كلها شاف كاف».

2. معنى الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها

أ-معنى الأحرف في اللغة

الحرف في اللغة: طرف الشيء وشفيره وحده الذي ينتهي إليه أو جانب الشيء وناحيته، ومن أمثلة الإطلاقات اللغوية للفظ الحرف:

- حرف الدين: وورد في الآية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾[145]؛ أي: على طرف الدين وهو علامة على القلق وعدم الثبات.

[145] -سورة الحج، الآية: 11.

ولذلك وصفه الله بعد ذلك بقولـــه: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[146].

قال الإمام الداني رحمه الله: «ومن الناس من يعبد الله على النعمة تصيبه، والخير يناله: من تثمير المال وعافية البدن وإعطاء السؤال، ويطمئن إلى ذلك ما دامت له هذه الأمور واستقامت له الأحوال. فإن تغيرت حاله وامتحنه الله تعالى بالشدة في عيشه والضرِّ في بدنه والفقر في ماله، تَرَكَ عبادةَ ربه وكفر به، فهذا عبد الله سبحانه وتعالى على وجه واحد ومذهبٍ واحدٍ، وذلك معنى الحرف»[147].

- ومنه حرف الهجاء؛ لأنه حد انقطاع الصوت وغايته وطرفه الذي ينتهي إليه[148].
- ومنه حرف السفينة؛ أي: طرفها، وحرف السيف؛ أي: طرفه، وحرف الجبل؛ أي: أعلاه المحدد أو ما نتأ في جنبه.
- ومنه حرف اللغة وحرف اللهجة وحرف القراءة؛ لأن كلا منها يعد طرفاً وجانباً من جوانب النطق والأداء اللغوي أو القرائي.

---

[146] –سورة الحج، الآية: 11.

[147] –الأحرف السبعة للقرآن: أبو عمرو الداني، ص: 27.

[148] –قال ابن منظور في لسان العرب: حرف: الحرف من حروف الهجاء معروف، واحد حروف التهجي. الحرف: الأداة التي تسمى الرابطة، لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل، كعن وعلى، ونحوهما. والحرف في الأصل: الطرف والجانب، وبه سُمي الحرف من حروف الهجاء. (انظر لسان العرب: ابن منظور، مادة (ح ر ف)، ج: 09، ص: 41).

ب–أقوال العلماء في المراد من الأحرف السبعة

اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة، وتشعبت أقوالهم، وتعددت حتى بلغت في بعض الأقوال أربعين قولا، منها ما يصلح للاعتبار والنظر، ومنها أقوال قد قالها قائلوها من غير أن يكون لهم سند معتبر، قال القرطبي رحمه الله: «وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً..» [149]، وقال السيوطي رحمه الله: «اختُلف في معنى الحديث على نحو أربعين قولاً» [150].

ولما كان هذا الموضوع في غاية الدقة والأهمية فقد استرعى انتباه فحول العلماء وأئمة القراء والمحققين، فتوفروا على بحثه ودراسته وقد استشكله كثير منهم، فقال الإمام المحقق محمد بن الجزري رحمه الله عن حديث الأحرف السبعة: «ما زلتُ أستشكلُ هذا الحديث وأُفكرُ فيه وأُمعنُ النظر من نَيِّفٍ وثلاثين سنةً، حتى فتح اللهُ عليَّ بما يمكنُ أن يكون صواباً، إن شاء الله» [151].

وجاءت كتابات المعاصرين في هذا الموضوع مضطربةً متباعدةً؛ لوعورة مسالكه، وهذا ما جعل العلامة عبد العظيم الزرقاني رحمه الله يستهل الحديث عنه بقوله: «هذا مبحث طريف وشائق، غير أنه مخيف وشائك؛ أما طرافته وشوقه، فلأنه يرينا مظهراً من مظاهر رحمة الله وتخفيفه على عباده، وتيسيره لكتابه على كافة القبائل العربية، بل على جميع شعوب الأمة الإسلامية، من كل جيل وقبيل، حتى ينطقوا به

[149] –الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 01، ص: 42.

[150] –الإتقان، ج: 01، ص: 48.

[151] –النشر، ج: 01، ص: 19.

لّينة ألسنتهم سهلة لهجاتهم، برغم ما بينهم من اختلاف في اللغات وتنوع في الخصائص والميزات... وأما مخافة هذا المبحث وشوكه، فلأنه كَثُر فيه القيل والقال؛ إلى حدٍ كاد يطمس أنوار الحقيقة، حتى استعصى فهمه على بعض العلماء ولاذ بالفرار منه، وقال إنه مشكل. وحتى اضطر جماعة من كبار المحققين أنْ يفردوه بالتأليف قديماً وحديثاً... »[152].

ومن الذين اهتموا ببيان المراد بالأحرف السبعة بالإضافة لابن الجزري رحمه الله:

- أبو عبيد القاسم بن سلام[153] في كتابه غريب الحديث.
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري[154] في تفسيره المشهور.
- مكي بن أبي طالب القيسي[155] في كتابه الإبانة عن معاني القراءات.
- أبو عمرو الداني في كتابه الأحرف السبعة للقرآن.

---

[152] –مناهل العرفان: عبد العظيم الزرقاني، ج: 01، ص: 130-131.

[153] –القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي الخرساني البغدادي أبو عبيد (157هـ-224هـ/ 774-838م)، من كبار علماء الحديث والأدب والفقه، ولد بهراة وتعلم بها، ورحل إلى بغداد ومصر، وحج فتوفي بمكة، من كتبه: فضائل القرآن والأمثال وغيرهما. (انظر ترجمة مكي بن أبي طالب: محمد المتنوسي على موقع: www.addani.ma)

[154] –محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (224هـ-310هـ/ 839-923م)، إمام المفسرين ولد بطبرستان وبدأ في طلب العلم ثم رحل إلى بغداد واستقر فيها، من مؤلفاته: جامع البيان، المنتخب، تهذيب الآثار، تاريخ الرسل والملوك وغيرها. (انظر: الدر الثمين، ص: 91. والأعلام: ج: 6، ص: 69).

[155] –أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني الأندلسي القرطبي المالكي (335هـ-437هـ/ 966-1045م)، إمام علامة محقق عارف أستاذ القراء والمجودين، من مؤلفاته: مشكل إعراب القرآن والإبانة عن معاني القراءات والهداية إلى بلوغ النهاية وغيرها. (معرفة القراء الكبار، ص: 751).

- شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة[156] في كتابه المرشد الوجيز.
- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن.
- جلال الدين السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن.

إلى غير ذلك من المفسرين والكتاب في علوم القرآن الكريم قديما وحديثا، كما سأذكر ذلك في ثنايا هذا البحث.

وسأعرض أهم هذه الأقوال وأناقشها، وأرجح منها ما تدل عليه نصوص الأحاديث النبوية السالفة، وسأذكر هذه الأقول حسب رتبتها، الأضعف فالأقوى حتى أصل إلى الراجح منها بإذن الله تعالى.

القسم الأول: الأقوال التي لا دليل عليها

وأورد فيه باختصار الأقوال التي لا يصح لها الاستدلال بشيء، ثم أُجمل الرد عليها جميعاً:

[156] -أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (599هـ-665هـ/ 1202-1267م)، مؤرخ ومحدث وباحث، أصله من القدس ومولده في دمشق وبها منشأه ووفاته، من مؤلفاته: إبراز المعاني من حرز الأماني والباعث على إنكار البدع والحوادث والمرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز وغيرها. (انظر الأعلام: ج: 3، ص: 299).

القول الأول: إن المراد بالحديث سبعة أشياء: المطلق والمقيد، والعام والخاص، والنص والمؤول، والناسخ والمنسوخ، والمجمل والمفسر، والاستثناء وأقسامه، حكاه أبو المعالي[157] بسند له عن أئمة الفقهاء.

والقول الثاني: حكاه عن أهل اللغة؛ أن المراد الحذف والصلة، والتقديم والتأخير، والقلب والاستعارة، والتكرار والكناية، والحقيقة والمجاز، والمجمل والمفسر، والظاهر والغريب.

والقول الثالث: حكاه عن النحاة؛ أنها التذكير والتأنيث، والشرط والجزاء، والتصريف والإعراب، والأقسام وجوابها، والجمع والتفريق، والتصغير والتعظيم، واختلافُ الأدوات فيما يختلف فيها بمعنى وما لا يختلف في الأداء واللفظ جميعاً.

والقول الرابع: حُكي عن بعض الصوفية أن المراد بالأحرف سبعة أنواع من المعاملات والمبادلات وهي: الزهد والقناعة مع اليقين، والحزم والخدمة مع الحياء، والكرم والفتوة مع الفقر، والمجاهدة والمراقبة مع الخوف، والرجاء والتضرع والاستغفار مع الرضا، والشكر والصبر مع المحاسبة، والمحبة والشوق مع المشاهدة.

---

[157] -عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني أبو المعالي الملقب بإمام الحرمين (419هـ-478هـ/ 1028-1085م)، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي، ولد في جوين (من نواحي نيسابور) ورحل إلى بغداد فمكة ثم ذهب إلى المدينة فأفتى ودرس، له مصنفات كثيرة، منها: الورقات، الاجتهاد، التلخيص في أصول الفقه، البرهان في أصول الفقه. (وفيات الأعيان، ج: 3، ص: 85).

والقول الخامس: أن المراد بالأحرف سبعة علوم اشتمل عليها القرآن: علم الإثبات والإيجاد[158]، وعلم التوحيد والتنزيه[159]، وعلم صفات الذات[160]، وعلم صفات الفعل[161]، وعلم صفات العفو والعذاب[162]، وعلم الحشر والحساب[163]، وعلم النبوات والإمامات[164].

وفي الرد على هذه الأقوال، أقول: إنها لا تستند إلى دليل شرعي يبين أنها المراد من الأحرف السبعة، ولم يقدم أصحاب هذه الأقوال بحثاً علمياً واضحاً في الوصول إليها، وإنما نزل كل منهم الأحرف على ما يطابق اتجاهه العلمي. ثم إن تحديد الأحرف بما ذكروا يتنافى مع أجل حكم تنزيل القرآن على سبعة أحرف، فالرسول صلى الله عليه وسلم قد طلب التهوين والتخفيف على أمته ليتمكن كافة أفرادها من تلاوة القرآن، وتحديد الأحرف السبعة بما ذكروا لا يؤدي إلى التخفيف عن الأمة والتوسعة عليها في تلاوة القرآن الكريم.

158 – كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (سورة آل عمران، الآية: 190).

159 –كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (سورة الإخلاص، الآية: 01).

160 –كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ (سورة المنافقون، الآية: 08).

161 –كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (سورة النساء، الآية: 36).

162 –كقوله تعالى: ﴿نَبِّئ عِبادي أَنِّي أَنَا الغَفورُ الرَّحيمُ. وَأَنَّ عَذابي هُوَ العَذابُ الأَليمُ﴾ (سورة الحجر، الآية: 49-50).

163 –كقوله تعالى: ﴿اقرَأ كِتابَكَ كَفى بِنَفسِكَ اليَومَ عَلَيكَ حَسيبًا﴾ (سورة الإسراء، الآية: 14).

164 –كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (سورة النساء، الآية: 59).

بالإضافة إلى أن بعض الآراء التي ذهبوا إليها متشابهة؛ متداخل بعضها في بعض؛ مما يتعذر معه اعتبار الكثير منها أقوالاً مستقلة.

القسم الثاني: الأقوال التي لها شبهة دليل

وسأذكر في هذا القسم من الأقوال ما له شبهة دليل سواء أكان الاستدلال له بالحديث أو القراءات المأثورة أو اللغة:

القول الأول: ذهب أبو جعفر محمد بن سعدان النحوي: إلى أن حديث الأحرف السبعة مشكل لا يعرف له معنى، وليس يدل على حكم ما؛ يدل على ذلك أن الحرف يصدق لغة على أربعة معان[165]، فهو مشترك لفظي لا يُعرف معناه المقصود.

ويُرد على هذا القول: بأن مجرد كون لفظ (الحرف) مشتركاً لفظياً لا يلزمه الإشكال الصارف عن إدراك المعنى المقصود، لأن المشترك اللفظي يترجح أحدُ معانيه بقرينة لفظية أو حالية، ولقد قامت القرائن هنا تُعين أحد المعاني، وتمنع ما عداه، فلا تصح إرادةُ (الكلمة) بالحرف للقرينة الحالية وهي كون القرآن مؤلفاً من كثير من الكلمات وليس من سبع فقط، كما لا تصح إرادة (حرف الهجاء)

[165] -(1-تسمي العرب القصيدة بأسرها كلمة، وتسمي هذه الكلمة المنظومة حرفاً. 2-والحرف يقع على كل حرف من حروف الهجاء. 3-كما يصدق الحرف لغة على المعنى. 4-ويصدق أيضاً على الجهة).

لأنه مركب من جميع الأحرف الهجائية لا من سبعة فقط، ولا تصح أيضاً إرادة (المعنى) لأن معاني القرآن الكريم كثيرة جداً تتجاوز السبعة.

ويظهر لي كذلك أنه لا يصح اعتبار لفظ (الحرف) متشابهاً؛ لعدم غموضه بحيث لا يفهم منه شيء؛ كما في فواتح السور مثلاً، كما أنه لا يستحيل إرادة واحد من معانيه الموضوعة له في اللغة وبذلك يخرج عن كونه متشابهاً.

ولقد تواردت أحاديثُ السبعة أحرف بدلالات واضحة لا لَبْسَ فيها، إذ أصدر الرسول صلى الله عليه وسلم حكمه في خصومة المختلفين في تلاوة القرآن الكريم، بقوله: «إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف»، أما وقد حلت بهذا القول مشكلة وقُضي به في خصومة؛ قضاءً أنهى النزاع، واستأصل دواعي الخلاف والجدال، فهل يعقل أن يكون هذا القول متشابهاً لا يُدرى معناه ولا يؤخذ منه حكم؟.

والقول الثاني: وهو قول القاضي عياض[166] رحمه الله ومن تبعه، ويرى أصحاب هذا القول: أن المراد بالسبعة في الحديث التيسير والتسهيل والثقة وليس المقصود بها حقيقة العدد، يدل على ذلك: أن

[166] –عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي أبو الفضل (476هـ-544هـ/ 1083-1149م)، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، ولي قضاء سبتة –ومولده فيها–، وتوفي بمراكش. من تصانيفه: الشفا بتعريف حقوق المصطفى وترتيب المدارك وغيرهما. (انظر: التعريف بالقاضي عياض: محمد عياض)

لفظ السبعة يطلق في اللغة ويراد به الكثرة في الآحاد، كما يطلق السبعون في العشرات، والسبعمائة في المئين، ولا يراد بها العدد المعين[167].

ويُرد على هذا القول بالأحاديث التي ذكرتها سابقاً (في المطلب الأول: أحاديث الأحرف السبعة)؛ إذ تضافرت وتعاضدت في الدلالة على أن المراد بالسبعة حقيقة العدد منحصراً فيها.

والقول الثالث: أن المراد بالأحرف السبعة في الحديث: سبعةُ وجوه تنحصر في كيفية النطق بالتلاوة؛ من إدغام وإظهار، وتفخيم وترقيق، وإمالة وإشباع؛ ومد وقصر، وتشديد وتخفيف، وتليين وتحقيق.

ويُجاب على ذلك: أن جميع الوجوه المذكورة ترجع إلى نوع واحد وهو اختلاف اللهجات، ويكون تفسير حديث الأحرف السبعة به قاصراً عن شمول أنواع القراءات التي مردها إلى اختلاف الألفاظ بالإبدال أو التقديم والتأخير أو النقص والزيادة.

القسم الثالث: الأقوال التي لها دليل في الجملة

وسأذكر في هذا القسم من الأقوال ما له دليل في الجملة، ثم أناقش هذه الأقوال، وأبين بالدليل الراجح من المرجوح منها.

---

[167] –وجنح إلى هذا الرأي محمد جمال الدين القاسمي في مقدمة تفسيره "محاسن التأويل" وعزاه إلى صاحب الإتقان بعبارة تُوهم أنه اعتمده . ونحى المرحوم مصطفى صادق الرافعي هذا المنحى (انظر إعجاز القرآن: مصطفى صادق الرافعي)، وتلقف المستشرقون هذا الرأي بالتأييد الحار، وافترضوه دليلاً على أن قضايا القرآن عائمة لا ترتكز على أساس مكين (انظر مذاهب التفسير الإسلامي: جولد تسهر).

القول الأول: فسر جماعة من العلماء الأحرف السبعة بأنها سبعة أوجه من اللغات والقراءات أُنزل القرآن عليها، ولأصحاب هذه الأقوال اجتهادات مختلفة في تحديد هذه الأوجه.

- قول أبي حاتم السجستاني[168]: يرى أبو حاتم السجستاني أن الأحرف السبعة هي الأوجه التي تتفاوت بها لغات العرب وعدتها سبعة طبقاً لما جاء في الحديث:

الوجه الأول: إبدال لفظ بلفظ آخر بمنزلته[169]، والثاني: إبدال حرف بحرف[170]، والثالث: تقديم وتأخير[171] (إما في الكلمة وإما في الحرف)، والرابع: زيادة حرف أو نقصانه[172]، والخامس: اختلاف

---

168 -أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني (ت 248هـ/ 862م)، من كبار علماء اللغة والشعر، من أهل البصرة كان المبرد يلازم القراءة عليه، له نيف وثلاثون كتاباً. (الأعلام: ج: 3، ص: 143).

169 -كقوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (سورة الجمعة، الآية: 09)، وقد قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه (فامضوا إلى ذكر الله). وقال تعالى: ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ (سورة القارعة، الآية: 05)، وقرأ ابن مسعود (كالصوف المنفوش).

170 -كقوله تعالى: ﴿الصِّرَاطَ﴾ قرأت بالصاد والسين.

171 -كقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ (سورة البقرة، الآية: 37) على أن الفعل لآدم وقرأ بنصب (آدمَ) ورفع (كلماتٌ) على أن الكلمات هي التي تلقته.

172 -كقوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ (سورة الحاقة، الآية: 28-29)، وقوله تعالى: فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ (سورة هود، الآية: 109).

حركات البناء[173]، والسادس: اختلاف الإعراب[174]، والسابع: هو إشباع الصوت بالتفخيم والإظهار[175].

- قول ابن قتيبة[176] والباقلاني[177] وغيرهما: ذهب هؤلاء الأئمة إلى أن الأحرف السبعة سبعة أوجه:

الوجه الأول: الاختلاف في القراءة في التقديم والتأخير[178]، والثاني: أن يكون الاختلاف في القراءتين بالزيادة والنقصان[179]، والثالث: أن يكون الاختلاف في القراءة اختلافاً يزيل صورة اللفظ ومعناه[180]، والرابع: أن يكون الاختلاف في القراءتين اختلافاً في حروف الكلمة بما يغير من معناها ولفظها من

173 –نحو: ﴿يحسِب﴾ و﴿يحسَبُ﴾ (قرأت بالكسر وبالفتح)، ونحو إشمام بعضهم الضمة في قوله: وإذا قيل وغيض وغيرهما.

174 –كقوله تعالى: ﴿ما هذا بَشَرًا﴾ (سورة يوسف، الآية: 31)

175 –كقوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ﴾ (سورة آل عمران، الآية: 72) بإدغام التاء في الطاء.

176 –أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (213هـ–276هـ/ 828–889م)، عالم وفقيه وأديب وناقد ولغوي، ويعد من أعلام القرن الثالث للهجرة، ولد بالكوفة ثم انتقل إلى بغداد حيث استقر علماء البصرة والكوفة فأخذ عنهم الحديث والتفسير والفقه واللغة والنحو والكلام والأدب والتاريخ، مؤلفاته متعددة وتشمل موضوعاتها المعارف الدينية والتاريخية واللغوية والأدبية، منها: تأويل مشكل القرآن، تأويل مختلف الحديث، كتاب الاختلاف في اللفظ، وغيرها. (وفيات الأعيان، ج: 3، ص: 31. والأعلام، ج: 1، ص: 156).

177 –محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (338هـ–403هـ/ 950–1013م)، فقيه بارع ومحدث حجة، ومتكلم على مذهب أهل السنة والجماعة وطريقة الأشعري، انتهت إليه رئاسة المالكية بالعراق في عصره، توفي ببغداد، من مؤلفاته: إعجاز القرآن الانتصار للقرآن وغيرهما. (الأعلام، ج: 6، ص: 176).

178 –كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ (سورة ق، الآية: 19)، وقد قرئ (وجاءت سكرة الحق بالموت).

179 –كقوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ (سورة يس، الآية: 35)، قرأت (وما عملت أيديهم) بدون هاء.

180 –كقوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ (سورة الواقعة، الآية: 29)، قرأ (وطلع منضود) بالعين.

السماع ولا يغير صورتها في الكتاب[181]، والخامس: أن يكون الاختلاف بين القراءتين اختلافاً في بناء الكلمة وصورتها بما لا يزيلها في الكتاب ولا يغير معناها[182]، والسادس: أن يكون الاختلاف بين القراءتين بما يغير صورتها ولا يغير معناها[183]، والسابع: أن يكون الاختلاف بين القراءتين للاختلاف في الإعراب للكلمة وحركة بنائها يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب[184].

- قول أبي الفضل الرازي رحمه الله[185]: لكل حرف من الأحرف السبعة المنزلة جنس ذو نوع من الاختلاف:

أحدهما: اختلاف أوزان الأسماء من الواحد والتثنية والجموع والتذكير والمبالغة وغيرها[186]، والثاني: اختلاف تصريف الأفعال وما يُسند إليه نحو الماضي والمستقبل والأمر، وأن يسند إلى المذكر والمؤنث والمتكلم والمخاطب والفاعل والمفعول به[187].

181 –كقوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ (سورة البقرة، الآية: 259) قرأ (ننشرها) من غير إعجام.

182 –كقوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ (سورة سبأ، الآية: 17) قرأ (وهل يجازى إلا الكفور) بالياء.

183 –كقوله تعالى: ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ (سورة القارعة، الآية 5) قرأت (كالصوف المنفوش).

184 –كقوله تعالى: ﴿فَأَتَوا عَلى قَومٍ يَعكُفونَ﴾ (سورة الأعراف، الآية: 138)، قرأ (يعكِفون) بالكسر.

185 –أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، ملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (544هـ–606هـ/ 1150–1210م)، ولد في الري بطبرستان وأخذ العلم عن كبار علماء عصره ومنهم والده حتى برع في علوم شتى واشتهر، فتوافد عليه الطلاب من كل مكان، كان عالماً في التفسير وعلم الكلام والفلسفة وعلم الأصول، ترك مؤلفات كثيرة تدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه أبرزها تفسيره الكبير المعروف بمفاتيح الغيب. (الأعلام، ج: 6، ص: 313).

186 –كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (سورة المعارج، الآية: 32)، وقرئ بالإفراد (لأمانتهم).

187 –كقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ (سورة سبأ، الآية: 19)، وقرئ برفع (رب) وجعل (بعد) فعلاً ماضياً.

والثالث: وجوه الإعراب[188]، والرابع: الزيادة والنقص[189]، والخامس: التقديم والتأخير[190]، والسادس: القلب والإبدال في كلمة بأخرى أو أحرف بأخر[191]، والسابع: اختلاف اللغات[192].

- قول محمد بن الجزري في بيان المراد بحديث أنزل القرآن على سبعة أحرف:

قال رحمه الله في النشر: لازلتُ أستشكل هذا الحديث وأفكر فيه، وأمعن النظر من نيف وثلاثين سنة، حتى فتح الله علي بما يمكن أن يكون صواباً إن شاء الله، ذلك أني تتبعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها، وذلك:

أولاً: الاختلاف في الحركات بلا تغير في المعنى والصورة، نحو: (يحسب) بوجهين.

ثانيا: الاختلاف في الحركات بتغير المعنى فقط، نحو: رفع (آدم) ونصب (كلمات) وبالعكس.

ثالثاً: الاختلاف في الحروف بتغير المعنى فقط، نحو: ننجيك وينجيك.

رابعاً: الاختلاف في الحروف بتغير الصورة لا المعنى، نحو: بصطة وبسطة.

خامساً: الاختلاف في الحروف بتغير الصورة والمعنى، نحو: فامضوا وفاسعوا.

188 –كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ (سورة البقرة، الآية: 282)، قرئ بفتح الراء وضمها.

189 –كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (سورة الليل، الآية: 03)، وقرئ (والذكر والأنثى).

190 –كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ (سورة ق، الآية: 19)، وقرئ (وجاءت سكرة الحق بالموت).

191 –كقوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ (سورة البقرة، الآية: 260)، وقرئ (ننشرها) بالراء.

192 –كقوله تعالى: ﴿وَهَل أَتَاكَ حَدِيثُ موسى﴾ (سورة طه، الآية: 09)، تقرأ بالفتح والإمالة (أتى وموسى).

سادساً: الاختلاف في التقديم والتأخير، نحو: فيقتُلون ويُقتلون.

سابعاً: الاختلاف في الزيادة والنقصان، نحو: أوصى ووصى.

وقد تكونت هذه الأقوال في عصور مختلفة، فأولها رأي أبي حاتم السجستاني، وثانيهما رأي عبد الله مسلم بن قتيبة، وقد جاء القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في القرن الرابع فأيد ما ذهب إليه ابن قتيبة؛ وقد تتلمذ على ابن أبي حاتم السجستاني، ويبدو لي أنه اطلع على رأيه في الأحرف السبعة، ثم انتفع منه بصياغة الأوجه التي حددها على النهج الذي يرتضيه ويرجو إصابته للحق، وثالثهما رأي الرازي الذي جاء بعد ابن قتيبة واستفاد من قوله، ورابعهما قول محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري.

ويستدل على أن الأحرف السبعة إنما هي الأوجه السبعة بما يلي:

- أن تأويل كلمة الحرف بالوجه موافق لما نزل به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [193]، ولأن يفسر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يفسر به كتاب الله تعالى أولى من تفسيره بما سواه.

[193] –سورة الحج، الآية: 11.

- أُخذت هذه الحروف عن استقراءٍ لما أُثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من القراءات، فهذا يدل على أنها هي المقصودة، لأنها استنبطت من اختلاف القراءات المأثورة، ولأن الاستقراء نفسه دليل يُؤخذ به إذا استجمع شروطه.
- يدل على قوة هذا التأويل ورجحانه قولهم: حرف أبي وحرف ابن مسعود، فالوجه الذي قرأ عليه أُبي رضي الله عنه سمي حرفاً، والوجه الذي قرأ عليه ابن مسعود رضي الله عنه سمي حرفاً، فمن قرأ قراءة عبد الله رضي الله عنه فقد قرأ بحرفه، ومن قرأ قراءة أُبي فقد قرأ بحرفه، ومن قرأ قراءة زيد فقد قرأ بحرفه[194].

3. منزلة القراءات من الأحرف السبعة

وَهِم بعض الناس في فهم المراد بالأحرف الواردة في أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف، وظن أنها قراءات الأئمة السبعة[195]، ولقد كان مبعث هذا التوهم أنه لما صنف ابن مجاهد كتاب السبعة في القراءات، واقتصر على سبع قراءات من غير تعمد منه لعدد السبعة.

فالقراءات السبعة اختيرت حسب شروط معينة، لا على أن كلا منها حرف من الأحرف السبعة، ولا على أنها وحدها القراءات المتواترة، فالعشر متواترة أيضاً.

---

[194] -تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، ص: 34-35.

[195] – وهم: نافع وابن كثير وأبو عمرو البصري وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي.

وقد نقل القرطبي[196] رحمه الله عن غير واحد من العلماء أنهم كرهوا ما فعله ابن مجاهدٍ، فقال: «ولذلك كره كثير من الأئمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء، وخطؤوه في ذلك، وقالوا: ألا اقتصر على دون هذا العدد، أو زاده، أو بين مراده؛ ليخلص من لا يعلم من هذه الشبهة»[197].

وقال أبو شامة رحمه الله: «ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أُريدت في الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل»[198].

وقال مكي بن أبي طالب رحمه الله: «من ظن أن قراءة هؤلاء القراء-كنافع وعاصم-هي الأحرف السبعة التي في الحديث فقط غَلَطَ غلطاً عظيماً»[199].

والخلاصة أن القراءات السبع المشهورة هي جزء من الأحرف السبعة وليست هي الأحرف السبعة.

---

[196] -أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (600هـ-671هـ/ 1204-1273م)، فقيه مفسر عالم باللغة ولد في مدينة قرطبة وقد رحل بعد سقوطها إلى الاسكندرية ثم إلى صعيد مصر حيث استقر فيه، وقد كان رحمه له عالماً كبيراً منقطعاً إلى العلم منصرفاً عن الدنيا، فترك ثروة علمية تقدر بثلاثة عشر كتابا ما بين مطبوع ومخطوط، أبرزها تفسيره الكبير الجامع لأحكام القرآن الكريم. (انظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير: مشهور آل سلمان).

[197] -الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ص: 46.

[198] -الإتقان، ج: 01، ص: 250.

[199] -الإتقان، ج: 01، ص: 251.

المبحث الثالث: صلة القراءات القرآنية بفهم القرآن الكريم وتدبره

المطلب الأول: مكانة علم القراءات القرآنية

علم القراءات القرآنية من أشرف العلوم الشرعية لتعلقه بكلام رب العالمين من حيث صيانة القرآن الكريم عن التحريف والتغيير، ومعرفة ما يقرأ به كل من أئمة القراءة، مع ثمرات كثيرة وفوائد عديدة سأتحدث عنها في المطلب الثاني من هذا المبحث بإذن الله.

وتعلم هذا العلم الجليل وتعليمه فرض كفاية على الأمة، فإن لم يكن من يصلح له إلا واحد تعين، وإن كان جماعة يحصل المقصود ببعضهم، فإن امتنعوا كلهم أثموا، وإن قام به بعضهم سقط الحرج عن الباقين، وإن طلب من أحدهم وامتنع فأظهر الوجهين أنه لا يأثم لكن يكره له ذلك إن لم يكن عذر[200]، وتظهر منزلة هذا العلم الجليل ومكانته أكثر من خلال الوقوف على العلوم النافعة الأخرى التي تتعلق به وتندرج في مباحثه ومسائله، أذكر منها على سبيل التمثيل:

- **علم القراء**: وهو علم يتناول الترجمة لمن تصدوا للقراءة، وكانوا مرجعاً لغيرهم وتتلمذ عليهم سواهم منذ عصر الصحابة رضي الله عنه حتى القرن العاشر الهجري، وهذا العلم يتوفر على دراسة أسانيد كل قراءة وتواترها، والرواة الذين نقلوا هذه القراءة عن القارئ الذي عرف بها ونسبت إليه.

[200] –انظر كتاب: لطائف الإشارات لفنون القراءات: أبو بكر القسطلاني، ص: 171.

- **علم رسم المصحف**: وهو علم يتناول الصورة الخطية التي ارتضاها عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكتب بها المصاحف التي وزعت على الأمصار الإسلامية، وكانت خالية من النقط والشكل، وأمر أهل كل مصر أن يقيموا مصحفهم على المصحف المبعوث إليهم فأصبحت قراءة كل قطر تابعة لرسم مصحفهم. فكان هذا الرسم ضابطاً للقراءات جميعاً، كما عدت موافقته أساساً من أسس قبولها، لا سيما وأن من كتبوا المصاحف لعثمان رضي الله عنه كانوا من خيرة الصحابة وخيرة القراء والحفاظ، وأصبحت دراستنا لعلم رسم المصحف وسيلة من الوسائل المعينة على إدراك أبعاد هذا العلم العظيم.
- **علم توجيه القراءات والاحتجاج لها**: وهو علم يتناول الاحتجاج النحوي والصرفي واللغوي للقراءات القرآنية، وقد اشتغل به عدد كبير من العلماء منذ أوائل القرن الرابع الهجري، على أنه في القرن الثاني والثالث استشهد النحويون بالقراءات خلال عرضهم للمسائل النحوية، ومن الجائز أن يكون هناك كتب ألفت في الاحتجاج للقراءات لكن لم تصل إلينا، وأما أول من ألف في الاحتجاج فهو أبو بكر بن السراج، فقد ذكر ابن النديم في الفهرست أنه له كتاب سماه (احتجاج القراءة)، كما ذكر أن القارئ النحوي أبا طاهر عبد الواحد البزار له كتاب: (الفصل بين أبي عمرو والكسائي)[201]، ومنهم محمد بن الحسن الأنصاري ألف كتاب السبعة بعللها، ومنهم أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم العطار ذكر له ابن النديم عدداً من

[201] –الفهرست لابن النديم، ص: 49.

الكتب في اللغة والنحو والقراءات منها (احتجاج القراءات) وذلك بعد وفاة ابن مجاهد واشتهار تسبيعه، ثم ألف أبو علي الفارسي كتابه المشهور (الحجة في علل القراءات السبع)[202]، ومنها كتاب الحجة لابن خالويه، وألف مكي بن أبي طالب كتابه الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها.

- **علم أصول القراءات:** ويتناول الأصول المطردة في القراءات من الوقف والابتداء والإمالة والفتح والهمز والتسهيل والتفخيم والترقيق ونحوها، والفرش ويتناول الكلمات غير المطردة والتي تناقلتها الروايات بأسانيدها الصحيحة.

والمتأمل فيما دون القدماء من مؤلفات في القراءات يجد منها ما يتحدث في هذه الجوانب كلها[203]، ومنها ما هو مقصور على جانب معين فقط[204].

- **علم التجويد:** ويتناول دراسة أصول الأداء القرآني من مخارج الحروف وصفاتها وأحكام النون الساكنة والتنوين وأحكام الميم الساكنة وأحكام المد، وموضوعاته هذه قد تأتي تبعاً لموضوعات أخرى في القراءات شأن الفروع السابقة وأحياناً يفرد لها مؤلفات خاصة.

---

[202] –ويرى صاحب كشف الظنون أن هذا الكتاب شرح لكتاب القراءات السبع لابن مجاهد (انظر كشف الظنون، ج 02، ص: 1448).

[203] –نحو كتاب (النشر) لابن الجزري فقد تناول هذه العلوم كلها.

[204] –نحو كتب الاحتجاج للقراءات كالحجة والكشف، ونحو غاية النهاية فقد خصصه ابن الجزري لطبقات القراء، ونحو الكتب التي ألفت في المصاحف واختلافها (راجع الفهرست لابن النديم، ص: 54).

المطلب الثاني: فوائد تعدد القراءات القرآنية

ومن فوائد القراءات القرآنية أذكر ما يلي:

الفائدة الأولى: إعظام أجور أمة محمد صلى الله عليه وسلم من حيث إنهم يُفرِغون جُهدَهم ليبلغوا قصدهم في تتبع معاني تلك القراءات، واستنباط الأحكام من دلالة كل قراءة، واستخراج أسرارها وخَفِيِّ إشاراتها والكشف عن توجيهها ومعناها.

الفائدة الثانية: التسهيل والتخفيف على أمة القرآن الكريم، فقد كان المسلمون الأوائل يَنْضوون تحت قبائل متعددة بينها اختلاف في اللهجات ونبرات الأصوات وطريقة الأداء، وكان العربي الذي تعلم من قبيلته لهجة معينة يصعُبُ عليه تجاوزُها والانتقال إلى غيرها، ومن هنا تأتي هذه القراءات طريقاً يُسَهِّل على الأمة فهم القرآن وتلاوته، وتيسير تدبره وفقهه، وهذا من أجل حكم إنزال القرآن الكريم على سبعة أحرف، يقول مكي بن أبي طالب رحمه الله في كتابه الكشف: «وكانت لغات من أنزل عليهم القرآن مختلفة ولسان كل صاحب لغة لا يقدر على رده إلى لغة أخرى إلا بعد تكلف ومئونة شديدة، فيسر الله عليهم أن أنزل كتابه على سبع لغات متفرقات في القرآن بمعان متفقة ومختلفة ليقرأ

كل قوم على لغتهم على ما يسهل عليهم من لغة غيرهم، وعلى ما جرت عادتهم بالهمز وقوم بالتخفيف وقوم بالفتح وقوم بالإمالة، وكذلك الإعراب واختلافه في لغتهم»[205].

الفائدة الثالثة: القرآن الكريم معجز إذ قرئ بأي قراءة من القراءات العشر المتواترة، ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدد تلك الوجوه، ولا ريب أن ذلك دليل ساطع على صدق محمد صلى الله عليه وسلم؛ فليس في مقدور أحد من البشر تأليف كلام على هذه الصفة مهما كان أوتي حظاً عظيماً في البلاغة والبيان.

الفائدة الرابعة: بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم؛ إذ لم ينزل كتابُ غيرهم من الأمم إلا على وجه واحد، وظهور سر الله تعالى في توليه حفظ كتابه العزيز وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتمييز.

قال الإمام الداني رحمه الله:

جَاءَ بِهَا عن ربِّهِ جبريـلُ ... وَقَالَ: قدْ خُصَّ بها التَّنزِلُ

فَاقْرَأْ بِها أنتَ وكُلُّ أُمَّتِكْ ... فإنَّها تَوْسِعَةٌ فِي سُنَّتِكْ

وَكُلُّهَا مُسْتَحْسَنٌ وكَافِءِ ... وَكُلُّهَا لمبْتَغِيهَا شَافِءِ[206]

[205] -الكشف، ج: 01، ص: 231.

[206] -الأرجوزة المنبهة: أبو عمرو الداني، ص: 91.

الفائدة الخامسة: أن بعض الألفاظ تأتي على سبيل الإجمال في قراءة ثم يفصَّل هذا الإجمال في قراءة ثانية، وقد تستكمل هذه القراءة الثانية المعنى الذي قامت بأدائه القراءة الأولى، وفي ذلك برهان على سمو بلاغة القرآن الكريم ومنزلته في الإيجاز؛ إذ يترتب على ذلك سعة الوعاء المعنوي للآية، فتحمل معاني عدة متآخية كما تدعم أحكاماً متعددة تفهم من الآية. ومع الاختلاف والتنوع في وجوه القراءات في جانب اللفظ والمعنى لم يتطرق إلى كتاب الله تضادٌّ أو تناقضٌ، بل كله يصدق بعضه بعضاً ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد، وفي ذلك برهان على صدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ ليس في مُكنة أحد من البشر أن يأتي ببيان على شاكلة البيان القرآني من حيث تعدد الدلالات للكلمة الواحدة عند اختلاف لفظي طفيف فيها.

الفائدة السادسة: ما تشمل عليه القراءات العشر المتواترة من أوجه البلاغة والبيان والإعجاز والإيجاز، إذ كل قراءة بمنزلة الآية، فكان تنوع اللفظ بكلمة يقوم مقام آيات، ولو جُعلت دلالة كل لفظة آيةً على حدَتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل، فقدر الله عز وجل أن تشتمل آيات القرآن على معانٍ غزيرة في عدد معين منها، وذلك عن طريق احتمال الكلمة نفسها لمعان مختلفة عند وُرود التغيير فيها وَفْقَ مراد الوحي.

الفائدة السابعة: تعدد القراءات القرآنية سند لقواعد مختلفة نحوية وتصريفية مثل قراءة حمزة لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾[207] بجر كلمة (الأرحام) فاستشهد بها من قال بجواز العطف على المجرور دون إعادة الجار، ومنها قراءات تفسر معنى لغوياً في قراءة أخرى مثل قراءة ابن مسعود: (وتكون الجبال كالصوف المنفوش) فإنها مفسرة للقراءة الأخرى.

ومنها ما يكون حجة في قضية من قضايا العقيدة تأييداً لأهل الحق ودفعاً لأهل الزيغ وذلك كقراءة (رأيت نعيماً ومِلكاً كبيراً) بفتح الميم وكسر اللام، وهي قراءة ابن كثير وغيره، وهي دليل واضح على رؤية الله عز وجل في الدار الآخرة.

الفائدة الثامنة: ما يكون لبيان حكم شرعي مجمع عليه، مثل قراءة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: (وله أخ أو أخت من أم)-وهي قراءة شاذة- ، فإن هذه القراءة بينت أن المراد بالإخوة هنا الإخوة لأم، وهذا حكم مجمع عليه بين الفقهاء.

[207] -سورة النساء، الآية : 01.

ومنها ما يكون مرجحاً لحكم اختلف فيه كقراءة (أو تحرير رقبة مؤمنة) بزيادة (مؤمنة)-وهي قراءة شاذة- في كفارة اليمين في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[208]، فكان زيادة لفظ (مؤمنة) في بعض الروايات ترجيح لاشتراط الإيمان في الرقبة المعتقة كما ذهب إليه الشافعي رحمه الله.

ومنها ما يكون للجمع بين حكمين مختلفين مثل (يطهرن) بالتخفيف والتشديد، من قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[209]، فقد قرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر (يطهرن) بفتح الطاء والهاء مع التشديد فيهما مضارع (تطهر) أي اغتسل والأصل (يتطهرن) فأدغمت التاء في الطاء. وقرأ الباقون (يطهرن) بسكون الطاء وضم الهاء مخففة مضارع (طهر) يقال طهرت المرأة إذا شفيت من الحيض. فالأولى الجمع بين المعنيين وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع دم حيضها وتطهر بالاغتسال.

---

[208] -سورة المائدة، الآية: 89.

[209] -سورة البقرة، الآية: 222.

ومنها ما يكون لإيضاح حكم يقتضي الظاهر خلافه كقراءة (فامضوا إلى ذكر الله)-وهي قراءة شاذة-، فإن قراءة (فاسعوا) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[210] يقتضي ظاهرها المشي السريع، وليس كذلك، فكانت القراءة الأخرى موضحة لذلك.

ومنها ما يكون لأجل اختلاف حكمين شرعيين كقراءة (وأرجلكم) بالخفض والنصب في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[211]، فقد قرأ نافع وبن عامر وحفص والكسائي ويعقوب بنصب اللام عطفاً على (أيديكم) فيكون حكمها الغسل كالوجه. وقرأ الباقون بخفض اللام عطفا على (برءوسكم) لفظاً ومعنى، والخفض يقتضي فرض المسح والنصب يقتضي فرض الغسل، وكيفية الجمع بينهما أن يجعل المسح للابس الخف والغسل لغيره.

[210] -سورة الجمعة، الآية: 09.

[211] -سورة المائدة، الآية: 06.

المطلب الثالث: صلة القراءات القرآنية بفهم القرآن الكريم وتدبره

يتصل فهم القرآن الكريم وتدبره بالقراءات القرآنية من جهتين:

أما الأولى فهي من جهة اختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات ؛ كمقادير المد والإمالات والتخفيف والتحقيق والجهر والهمس، وهذا له صلة بعلم التجويد وهو الباب الأول لفهم القرآن الكريم وتدبره، وبه كان يبدأ طلب العلم قال أحمد الأشموني رحمه الله عن القرآن الكريم: «فليس المراد حفظ مبناه، بل فهم قارئه معناه، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[212]؛ وقد ذم الله اليهود حيث يقرؤون التوارة من غير فهم فقال: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[213]، فعلى العاقل الأديب والفطن اللبيب؛ أن يربأ بنفسه عن هذه المنزلة الدَّنيَّة ويأخذ بالرتبة السَّنيَّة؛ فيقف على أهم العلوم وآكدها المتوقف عليها فهم الكتاب والسنة»[214].

واللفظ هو روح المعنى؛ فبضعفه يضعف المعنى وبقوته يقوى، وإن دراسة قواعد وأصول النطق الصحيح بحروف القرآن الكريم هي التي تعنى بهذه الألفاظ وتحافظ على قالب المعنى صحيحاً قوياً متيناً سليماً؛ حتى تبقى المعاني في الألفاظ الصحيحة سليمةً قويةً، وبقدر صحة الحامل وسلامته

---

[212] –سورة محمد، الآية: 24.

[213] –سورة البقرة، الآية : 78.

[214] –منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني، ص: 05.

تكون صحة المعاني وسلامتها[215]، فالالتزام بقواعد القراءة وخصوصاً في مخارج الحروف وصفاتها هو الذي يحافظ على عربية القرآن الكريم وفصاحته، وتارك هذه القواعد في قراءة القرآن قد أخرج الألفاظ عن عربيتها وهنا مكمن الخطورة وطريق الخلل في تدبُّر القرآن الكريم وفهمه والتأثر والتأثير به، وقد أسند الإمام الداني رحمه الله خبراً عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه: «سمع رجلاً يقرأ في سورة يوسف ﴿لَيَسجُنُنَّهُ عَتّى حينٍ﴾[216] فقال له عمر: من أقرأكها؟ قال: أقرأنيها ابن مسعود، فكتب عمر إلى ابن مسعود رضي الله عنه: سلام عليك، أما بعد: فإن الله أنزل هذا القرآن فجعله قرآناً عربياً مبيناً، وأنزله بلغة هذا الحي من قريش، فإذا جاءك كتابي هذا فأقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسلام»، قال الإمام أبو عمرو الداني رحمه الله معلقاً: «وهذا الخبر أصلٌ كبير، ومعناه تعليم عمر عبد الله برياضة الألسن، وأمره أن يأخذ من يُقرئه بالتفرقة بين الحروف المتشابهة في اللفظ المتقاربة في المخرج؛ حتى يُؤدِّي القرآن على ما أنزل عليه من القراءات واللغات دون ما يجوز من ذلك من كلام العرب ولغاتها إذا كان مخالفاً لما أنزل عليه القرآن، ألا ترى أن الفرق بين العين والحاء بُحَّة الحاء، ولولا هي لكانت عيناً، وإنما كانت ذات بحة لهمسها وجهر العين؛ فقد ميز عمرُ رضي الله عنه الفرق بينهما، وأمر عبد الله بتتبع ذلك على القارئين، وتخليص بيانه للتالين، فيلزم

---

[215] -قواعد التجويد وأثرها في المعاني والأحكام: أحمد شرشال، ص: 25-26.

[216] -سورة يوسف، الآية : 35.

سائر القراء وجميع أهل الأداء استعمال ذلك وتفقُّده حتى يُلفظ بالحروف على هيئتها، ويُنطق بها على مراتبها»[217].

وعليه فإن القراءة الصحيحة والمنضبطة بقواعد هذا العلم الجليل هي التي تحافظ على فصاحة القرآن الكريم الذي نزل بأفصح لغات العرب، وإذا كانت القراءة عربيةً فصيحةً مُبِينةً كانت أساساً في الوصول للفهم والتدبُّر؛ لأن التدبر مبنيٌ على التلاوة للقرآن الكريم أو سماعه، فإذا كانت التلاوة قراءةً أو سماعاً ليست صحيحة وخارجة عن اللغة العربية التي نزل بها القرآن فكيف يتحقق التدبر؟؛ ولذا فإن صحة القراءة وإتقان تجويدها كما تلقتها الأمة بأسانيدها المتواترة في الأداء الطريق الأول لفهم القرآن الكريم وتدبره والتأثر والتأثير به، وفي الحديث الصحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»[218].

ولا شك أن سلامة النُّطق تزيد الفهم وتعين على التدبر، ومتى ما قرئ القرآن مجوداً مصححا تلذذت الأسماع بتلاوته، وخشعت القلوب عن قراءته وجال الفكر في تدبره، كما قال الإمام عبد الوهاب القرطبي رحمه الله: «فصل فيما يستفاد بتهذيب الألفاظ وما تكون الثمرة الحاصلة عند تقويم اللسان:

---

[217] –كتاب التحديد للإمام الداني: ص: 80-81.

[218] –صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: الماهر بالقرآن، ح: 4937. وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر في القرآن، ح: 798.

اعلم أن المستفاد بذلك حصولُ التدبر لمعاني كتاب الله، والتفكر في غوامضه والتجرد في مقاصده، وتحقيق مراده جل اسمه من ذلك.

قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[219]، وذلك أن الألفاظ إذا جُليت على الأسماع في أحسن معارضها، وأحلى جهات النطق بها، حسب ما بُعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «زينوا القرآن بأصواتكم» كان تلقي القلوب لها وإقبال النفوس عليها، بمقتضى زيادتها في الحلاوة والحسن على ما يبلغ ذلك المبلغ منها، فيحصل حينئذٍ الامتثال لأوامره والانتهاء عن مناهيه، والرغبة في وعده والرهبة من وعيده، والطمع في ترغيبه والانزجار بتخويفه، والتصديق بخبره والحذر من إهماله واستدراجه، إلى غير ذلك من شريف الخلال والإحاطة بمعرفة الحلال والحرام، وتلك فائدة جسيمة، ونعمة لا يُهمِل ارتباطها إلا محرومٌ»[220].

وقال الإمام الغزالي رحمه الله: «وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب؛ فحظ اللسان: تصحيح الحرف بالترتيل، وحظ العقل: تفسير المعاني، وحظ القلب: الاتعاظ والانزجار والائتمار، فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتَّعظ»[221].

---

[219] –سورة ص، الآية: 29.

[220] –الموضح في التجويد: عبد الوهاب القرطبي، ص: 24-25.

[221] –إحياء علوم الدين: محمد الغزالي، ج: 01، ص: 287.

والقراءة الصحيحة تبرز جمال القرآن الصوتي واللغوي والبلاغي، وهذا ما يعين على الفهم والتدبر؛ لأنه يظهر إعجاز هذا القرآن وجمال بلاغته، قال الزرقاني رحمه الله: «ونريد بنظام القرآن الصوتي اتساق القرآن وائتلافه في: حركاته وسكناته، ومداته، وغناته، واتصالاته، وسكتاته، اتساقاً عجيباً، وائتلافاً رائعاً؛ يسترعي الأسماع، ويستهوي النفوس، بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور...، وهذا الجمال الصوتي أو النظام التوقيعي هو أول شيء أحسته الآذان العربية أيام نزول القرآن، ولم تكن عهدت مثله فيما عرفت من منثور الكلام، سواء أكان مرسلاً أم مسجوعاً. ونريد بجمال القرآن اللغوي: تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن في رصف حروفه، وترتيب كلماته ترتيباً دونه كل ترتيب، ونظام تعاطاه الناس في كلامهم...، ومن عجيب أمر هذا الجمال اللغوي، وذاك النظام الصوتي؛ أنهما كما كانا دليل إعجازٍ من ناحيةٍ، كانا سوراً منيعاً لحفظ القرآن من ناحية أخرى، وذلك أن من شأن الجمال اللغوي والنظام الصوتي أن يسترعي الأسماع ويثير الانتباه، ويحرك داعية الإقبال في كل إنسان إلى هذا القرآن الكريم، وبذلك يبقى أبد الدهر سائداً على ألسنة الخلق وفي آذانهم ويعرف بذاته ومزاياه بينهم؛ فلا يجرؤ أحدٌ على تغييره وتبديله مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[222] »[223].

وأما الثانية فهي من جهة اختلاف القراء في حروف الكلمات، وهو على نوعين:

---

[222] –سورة الحجر، الآية : 09.

[223] –مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد الزرقاني، ج: 02، ص: 223-225.

النوع الأول: اختلاف اللفظ والمعنى جميعاً مع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لعدم تضاد اجتماعهما فيه.

النوع الثاني: اختلاف اللفظ والمعنى مع امتناع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لاستحالة اجتماعهما فيه، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد.

فهذه الحال بنوعيها لها مزيد صلة بفهم القرآن الكريم وتدبره أكثر من الأولى، وذلك لأن ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبين المراد عن نظيره في القراءة الأخرى أو يثير معنى غيره، ولأن اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن الكريم يكثر المعاني في الآية الواحدة فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن الكريم[224]، وسأذكر في الباب الثاني من هذه الرسالة بإذن الله أمثلة تبرز أثر اختلاف القراءات القرآنية في فهم الآية وتدبرها، وإنما أعرضت عن ذكر الأمثلة هنا تجنبا للإطالة والتكرار.

❑ ❑ ❑

[224] –انظر التحرير والتنوير: محمد ابن عاشور، ج: 01، من ص: 51 إلى ص: 55.

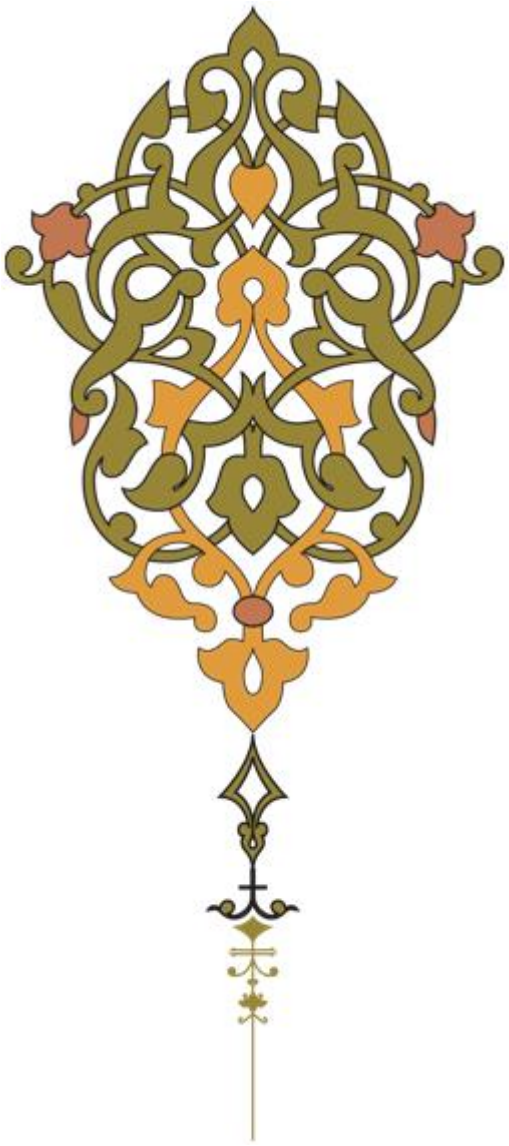

الفصل الثاني

تدبر القرآن الكريم: تأملات ووقفات

المبحث الأول: مفهوم تدبر القرآن الكريم وحقيقته

المطلب الأول: مفهوم تدبر القرآن الكريم وحقيقته

1-مفهوم تدبر القرآن الكريم

أ-التدبر في اللغة: مأخوذ من مادة (دَبَرَ)، قال أبو عبيد رحمه الله: التدابر: المصارمة والهجران، مأخوذ من أن يولي الرجلُ صاحبه دبره وقفاه، ويعرض عنه بوجهه.

وقال ابن فارس رحمه الله: «وهو آخر الشيء، وخلفه خلاف قبله... ودبرت الحديث عن فلان، إذا حدثت به عنه، وفي الحديث: ولا تدابروا، وذلك أن يترك كل واحد منهما الإقبال على صاحبه بوجهه...».[225]

وقال ابن منظور[226] رحمه الله: «دبر الأمر وتدبره أي: نظر في عاقبته، واستدبره، رأى في عاقبته ما لم ير في صدره، وعرف الأمر تدبراً أي بأخرةٍ»، قال جرير:

ولا تتقون الشر حتى يصيبكم ولا تعرفون الأمر إلا تدبرا[227]

---

[225] -معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، ج: 03، ص: 324.

[226] -محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (630هـ-711هـ/ 1232-1311م)، ولد بمصر وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء في طرابلس، وعاد إلى مصر فتوفي فيها، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره، أشهر كتبه: لسان العرب عشرون مجلداً. (الأعلام، ج: 7، ص: 108).

[227] -لسان العرب: ابن منظور، ج: 04، ص: 268.

والتدبير في الأمر: أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته، والتدبر التفكر فيه، وفلان ما يدري قِبال الأمر من دِباره، أي: أوله من آخره، ويقال: فلاناً لو استقبل من أمره ما استدبره لهدي لوجهة أمره، أي لو علم في بدء أمره ما علمه في آخره لاسترشد لأمره، وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت»، فأضاف التدبر إلى شأنه وأمره.

وقال ابن القيم[228] رحمه الله: وتدبر الكلام: «أن ينظر في أوله وآخره، ثم يعيد نظره مرة بعد مرة؛ ولهذا جاء على بناء التفعل كالترجع والتفهم والتبين»[229].

وقال الزبيدي[230] رحمه الله: «التدبر: التفكر أي تحصيل المعرفتين لتحصيل معرفة ثالثة، ويقال عرف الأمر تدبرا، أي بأخرة»[231].

---

[228] -محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين ابن قيم الجوزية (691هـ-751هـ/ 1292-1350م)، مولده ووفاته في دمشق، أُغري بجمع الكتب فجمع منها عدداً عظيماً، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً، وألف تصانيف كثيرة منها: إعلام الموقعين، شفاء العليل، كشف الغطاء، وغيرها. (الأعلام، ج: 6، ص: 56).

[229] -مفتاح دار السعادة: ابن القيم، ج: 01، ص: 183.

[230] -محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي أبو الفيض الملقب بمرتضي (1145هـ-1205هـ/ 1732-1790م)، علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب من كبار المصنفين، أصله من واسط في العراق ومولده بالهند في بلجرام ومنشأه في زبيد باليمن، رحل إلى الحجاز وأقام بمصر وتوفي فيها، من كتبه: تاج العروس في شرح القاموس، عقود الجواهر، كشف اللثام، وغيرها.

[231] -تاج العروس: الزبيدي، ج: 11، ص: 265.

والخلاصة: أنه من خلال النظر في المدلولات السابقة يتبين أن مادة (دَبَرَ) تدور في اللغة حول معان عديدة، أبرزها وأظهرها مايلي:

- مؤخرة الشيء ونهايته
- النظر في عواقب الأمور
- التفكر والتفهم
- التولي والذهاب
- الهجر والمقاطعة

ويظهر لي أن أقرب هذه المعاني لما نحن بصدده؛ المعاني الثلاثة الأُول، والتي يدور أصل المادة فيها حول معنى واحد، وهو: أواخر الأشياء وعواقبها والتفكر فيها.

وعليه فالتدبر لغة يعني: النظر في أواخر الأشياء والتأمل في عواقبها.

ب–التدبر في الاصطلاح:

قبل التعرض للتعريف الاصطلاحي للتدبر، يجدر التنبيه على أمرين اثنين:

الأول: أن مصطلح (التدبر) له مدلولان: مدلول عام: يفيد التفكر في عواقب الأمور كلها، ومدلول خاص يفسر بما يضاف إليه: كتدبر القرآن الكريم...

والثاني: أن اشتقاق (التدبر) من الكلمات الواردة في القرآن الكريم على أصل معناها اللغوي، ولم تنقل إلى اصطلاح شرعي جديد، بل بقيت على أصل استعمالها اللغوي، وعليه فإن تعريف التدبر اصطلاحاً لايبعد كثيراً عن التعريف اللغوي السابق، ومن ثم تقاربت تعاريف العلماء لهذا المصطلح، فمثلا:

عند الزمخشري[232]: «تأمل معانيه، وتبصر ما فيه»[233]، وعند القرطبي: «التفكر فيه وفي معانيه»[234].

وعند الخازن[235]: «تأمل معانيه، وتفكر في حكمه، وتبصر ما فيه من الآيات»[236]، وعند أبي حيان[237]: «التفكر في الآيات، والتأمل الذي يفضي بصاحبه إلى النظر في عواقب الأشياء»[238]،

---

[232] –أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (467هـ-538هـ/ 1074-1143م)، كان إماماً في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم كبير الفضل متفنناً في علوم شتى، ولد بزمخشر من ضواحي خوارزم، وتوفي بقصبة خوازم ليلة عرفة، وكان معتزلي المذهب، من مؤلفاته: الكشاف، أساس البلاغة، المستقصى، وغيرها.

[233] –الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، ج: 01، ص: 571.

[234] –الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 05، ص: 290.

[235] –علاء الدين بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن معروف بالخازن (678هـ-741هـ/ 1280-1341م)، أصله من حلب وولد في بغداد ثم سكن في دمشق وسمع من علمائها، واشتغل بالعلم والتأليف فترك مصنفات كثيرة، منها: تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل.

[236] –لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن، ج: 01، ص: 563.

[237] –محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي الغرناطي (654هـ-745هـ/1256-1344م)، نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه، ولد بمطخشارس (مدينة من حاضرة غرناطة)، تولى تدريس التفسير بالمنصورية والإقراء بجامع الأقمر، من مؤلفاته: البحر المحيط في التفسير، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ارتشاف الضرب، وغيرها.

[238] –البحر المحيط: لأبي حيان، ج: 07، ص: 379.

وعند ابن القيم: «تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله»[239]، وعند السيوطي: «وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكير في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مر بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوذ، أو تنزيه نوه وعظم، أو دعاء تضرع وطلب»[240]، وعند الألوسي[241]: «وأصل التدبر: التأمل في أدبار الأمور وعواقبها ثم استعمل في كل تأمل سواء كان نظراً في حقيقة الشيء وأجزائه أو سوابقه وأسبابه أو لواحقه وأعقابه»[242]، وعند السعدي[243]: «التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه»[244].

---

[239] -مدارج السالكين: ابن القيم، ج: 01، ص: 363.

[240] - الإتقان، ج: 01، ص: 300.

[241] -شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (1217هـ-1270هـ/ 1802-1854م)، فقيه ومفسر ومحدث، ولد في بغداد وتلقى العلوم على شيوخ عصره، تولى منصب الإفتاء وبقي فيه حتى سنة 1263هـ، توفي في بغداد ودفن فيها، من مؤلفاته: تفسيره الكبير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.

[242] -روح المعاني: الآلوسي، ج: 05، ص: 92.

[243] -عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (1307هـ-1376هـ)، ولد في القصيم بالمملكة العربية السعودية، مات والده ولم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، طلب العلم وجد فيه فحفظ القرآن الكريم والمتون فاشتهر أمره وعلت منزلته وكثر تلاميذه، من أبرز مؤلفاته: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. (المجموعة الكاملة لؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: مركز صالح بن صالح الثقافي، ج: 1، ص: 5 وما بعدها).

[244] -تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي، ص: 189.

وعند ابن عاشور[245]: «إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت، وأصله أنه من النظر في دبر الأمر، أي فيما لا يظهر منه للمتأمل بادئ ذي بدء»[246].

ومن خلال هذه التعاريف اللغوية والاصطلاحية وخاصة الواردة في كتب التفسير والمتعلقة بتدبر القرآن الكريم؛ يتبين لي أن مفهوم التدبر في مصادر اللغة يراد به: النظر في عاقبة الأمر ونهايته كما سبق وبينت، وهو جهد ونشاط يقوم به العقل بغية التوصل إلى نتائج الأمور وعواقبها وما تؤول إليه.

ويمكن القول كذلك هو: النظر والتفهم والتفكر في عاقبة ما تئول إليه الأمور التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم والاستفادة من ذلك في إيمان العبد وظهور أثره في جوارحه[247].

وهذا المعنى مسخلص من تتبع معاني التدبر في الشرع، وحاصل في المعاني الاصطلاحية للتدبر، مع تخصيصه بالقرآن الكريم في كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم، والتي لا يخرج فيها التدبر عن المعاني التالية:

1. نظر القلب وجمع الفكر في آيات القرآن الكريم.
2. التأمل الذهني في معاني آيات القرآن الكريم، وأوامره، ونواهيه، ومبادئه، وعواقبه.

[245] -محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (1296هـ-1393هـ/ 1879-1973م)، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ودراسته ووفاته بها، من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، من مصنفاته: مقاصد الشريعة الإسلامية، التحرير والتنوير، الوقف وآثاره في الإسلام. (الأعلام، ج: 6، ص: 173-174).

[246] -التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج: 18، ص: 87.

[247] -تدبر القرآن وأثره في تزكية النفوس: محمد بازمول، ص: 08.

3. إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت إليه.

4. اعتبار العقل بحججه، وتحرك القلب ببشائره وزواجره.

5. تأمل ما تدل عليه الآية أو الآيات مما يفهم من السياق أو تركيب الجمل.

6. معرفة معاني الألفاظ وما يراد بها.

7. الخضوع لأوامره، واليقين بأخباره.

ومن ثم فالتدبر في مجال القرآن الكريم لا يخرج عن معنى النظر أو التأمل القلبي أو العقلي، وجمع الفكر بهما، مع تخصيص النظر العقلي بالجانب الذهني، والنظر القلبي بالجانب الذهني والروحي معا.

فيكون معنى تدبر القرآن الكريم: هو التفكر والتأمل في كلام الله عز وجل لأجل فهمه، وإدراك معانيه وحكمه، والمراد منه[248].

ومن خلال التأمل في المعاني السابقة للتدبر يتبين أن المتدبر لكتاب الله ينبغي أن يتلبس بعدة أمور، منها:

- القراءة نظراً أو حفظاً
- معرفة المعاني والتفسير
- التأمل والتفكر

[248] –هكذا عاشوا مع القرآن: أسماء الرويشد، ص: 13.

- تأثر القلب وخشوعه
- التطبيق وانسياق الجوارح للعمل

2- حقيقة تدبر القرآن الكريم

تكمن حقيقة تدبر القرآن الكريم في الحقائق المرجوة والمقصودة منه؛ وتتمثل في بيان مراد الله تعالى من إنزال القرآن الكريم، وقد تقدمت النصوص في ذلك، والمتتبع للآيات الخاصة بهذا الشأن وأخص بالذكر آيات البيان وآيات التدبر، تتجلى لديه حقيقة التدبر الأساسية التي تكشف لنا عن حكمتين من حِكَم إنزال القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم.

الحكمة الأولى: أن الله عز وجل أنزل القرآن الكريم على نبيه صلى الله عليه وسلم ليبين للناس ما نزل إليهم في هذا الكتاب من الأحكام الشرعية والوعد والوعيد ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلنا إِلَيكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيهِم وَلَعَلَّهُم يَتَفَكَّرونَ﴾[249]، وقال سبحانه: ﴿وَما أَنزَلنا عَلَيكَ الكِتابَ إِلّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اختَلَفوا فيهِ وَهُدًى وَرَحمَةً لِقَومٍ يُؤمِنونَ﴾[250].

[249] -سورة النحل، الآية : 44.

[250] -سورة النحل، الآية: 64.

والحكمة الثانية: التدبر والتفكر في آيات الله والاتعاظ بها والتأمل في أحكامها ومقاصدها والعمل بما جاء فيها، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[251].

وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[252]، إلى غير ذلك من الآيات الكريمات.

وعليه فإن قوله تعالى: ﴿لِّيَدَّبَّرُوا﴾ متعلق بقوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾، والمراد أنزلناه ليدبروا آياته؛ وذلك بغرض استخراج حقائق أسرار التكوين والتشريع...، ومضمون هذه المعاني يشير إلى الغاية والمقصود من إنزال القرآن الكريم وهي تدبر آياته وفهم عباراته، يقول السعدي رحمه الله: «يأمر الله تعالى بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، في مبادئه وعواقبه ولوازمه، ذلك لأن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يُستنتج كل خير وتُستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته، فإنه يُعرِّف بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال، وما تنزّه عنه من صفات النقص، ويعرِّف الطريق الموصل إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرِّف العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب»[253].

---

[251] –سورة ص، الآية: 29.

[252] –سورة النساء، الآية: 82.

[253] –تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن السعدي، ج: 01، ص: 189.

كما أن حقيقة تدبر القرآن الكريم تتضمن بيان وتحديد مظاهر الإعجاز؛ ذلك أن من تدبر القرآن الكريم وجد فيه من وجوه الإعجاز فنوناً ظاهرة وخفية من حيث اللفظ ومن جهة المعنى.

قال تعالى: ﴿الر كِتابٌ أُحكِمَت آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَت مِن لَدُن حَكيمٍ خَبيرٍ﴾[254]، فأحكمت ألفاظه وفصِّلت معانيه أو بالعكس على الخلاف، فكل من لفظه ومعناه فصيح لا يجارى ولا يدانى[255].

كما أن حقيقة تدبر القرآن الكريم تكشف لنا عن الدلالات المعرِّفة بالله تعالى، وسعة رحمته وجزيل فضله وكمال قدرته وعظيم سلطانه وسعة ملكه وتمام ربوبيته...، وأن جميع التدبير في العالم العلوي والسفلي في ماضي الأوقات وحاضرها ومستقبلها بيد الله تعالى ليس لأحد من الأمر شيء، فينتج عن ذلك أنه تعالى هو المعبود وحده الذي لا يستحق أحد من العبودية شيئاً كما لم يستحق من الربوبية شيئاً. وينتج عن ذلك امتلاء القلوب بمعرفة الله تعالى ومحبته وخوفه ورجائه.

المطلب الثاني: التدبر في القرآن الكريم

لاشك أن القرآن الكريم قد أشاد بكل الألفاظ والصيغ التي جاءت في إطار التدبر، بما يفيد الأمر والترغيب فيه بلفظ صريح، وذلك في أربعة مواضع فقط، موضعان لخطاب المنافقين، وموضع لمخاطبة المشركين، والرابع لخطاب عموم المؤمنين، وهذه المواضع على الترتيب، كالآتي:

---

[254] –سورة هود، الآية: 01.

[255] –تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج: 02، ص: 199.

- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[256].

- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [257].
- ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[258].
- ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[259].

ومن ثم سأتناول الحديث عن هذه الآيات في ثلاث وقفات، وفق الترتيب المصحفي، من البدء بالحديث عن المنافقين في آيتيهما، والثانية مع آية خطاب المشركين، والأخيرة مع آية خطاب المؤمنين، مع إبراز أهم معالم الآيات إجمالاً، وبيان أسرارها وبيان تعبيراتها.

1. **آيتا خطاب المنافقين:** كلتا الآيتين وردتا في سياق الحديث عن المنافقين، حيث إن سياق آية سورة النساء ولحاقها في الحديث عن المنافقين، وكشف جرائمهم في الصد عن سبيل الله، ومحاربة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين، فلا جرم هنا أن لفَت الله أنظارهم نحو القرآن الكريم ليتدبروه علهم يهتدون بهداه، ويستضيئون بأنواره، كما أن آية سورة القتال هي الأخرى كذلك سباقها ولحاقها في فضح المنافقين، وبيان كراهيتهم للقتال، وتقطيعهم

256 –سورة النساء، الآية: 82.
257 –سورة محمد، الآية: 24.
258 –سورة المؤمنون، الآية: 68.
259 –سورة ص، الآية : 29.

للأرحام...، فنبههم هنا إلى النظر في القرآن الكريم متدبرين متأملين، علهم أن تشفى صدورهم من داء النفاق الخطير.

ومن الأسرار التعبيرية في الآيتين:

- الاستفهام الإنكاري في قوله تعالى: (أفلا يتدبرون...)؛ لتوبيخهم على عدم التدبر، والتعجب من حالهم في استمرارهم على النفاق مع توفر أسباب الهداية.
- التدبر هنا على صيغة (التفعل)؛ وهذا يفيد عدة فوائد، أهمها: التكلف وبذل الجهد، والتدرج والتمهل، والتكثير والمبالغة وحصول الفعل مرة بعد أخرى مع الصبر والتحمل. وهذه أمور تقتضيها عملية التدبر حتى تؤتي أكلها وثمارها.
- التعبير بالألوهية دون الربوبية (ولو كان من عند غير الله)؛ مناسب للمقام الذي يقتضي الرهبة والمهابة والخوف، دون الربوبية التي تقتضي الإحسان والإنعام والتفضل...
- التعبير بالفعل (وجدوا) دون غيره؛ لأن في دلالته إشارة إلى أن هذا القرآن لو كان من عند غير الله لاتضح للمتدبرين بيسر وسهولة ما فيه من اختلاف وتناقض، لكونهم أرباب البلاغة والبيان.
- التنكير في كلمة (اختلافاً) للعموم ونفي جميع أنواع الاختلاف المعلومة، وأنه على نسق واحد من البلاغة والبيان.

- التقييد بالكثير (اختلافاً كثيراً)؛ للمبالغة في النفي والملازمة، لو كان من عند غير الله للزم أن يكون فيه اختلاف كثير فضلاً عن القليل، لكنه من عند الله فليس فيه اختلاف لا كثير ولا قليل.
- التعبير بقلوب (أم على قلوب أقفالها) بدلاً من أفئدة وما شابهها للدلالة على التقلب والتحول، فما سمي القلب قلباً إلا لتقلبه وتحوله، وتنكير (قلوب) للدلالة على التعميم بإرادة قلوب هؤلاء وقلوب من هم بهذه الصفة.
- في تعريف (أقفالها) بالإضافة إلى الضمير؛ نوع تأكيد، فكأنه أراد أقفالها المختصة بها التي لا تكون لغيرها، وجمع الأقفال للدلالة على تنوعها وتعددها.

2. **آية خطاب المشركين:** والآية واردة في سياق ذم الكافرين؛ لتركهم الإيمان بالله وآياته، وبيان أن سبب ذلك إنما هو الاستكبار، فلما ذكر ذلك ناسب هنا أن ينكر عليهم تركهم التدبر في الآيات علهم يهتدون ويؤمنون.

ومن المعاني التعبيرية في الآية:

- الاستفهام (أفلم...) والغرض منه توبيخهم والتعجب من حالهم في ترك الإيمان مع وضوح الدلائل والبراهين.

- التعبير بأداة النفي (لم) الدالة على نفي الماضي دون الحاضر والمستقبل، وفيه إشارة إلى أن أهل مكة منهم من سيؤمن مستقبلاً.
- الإدغام في (يدبروا) وأصله (يتدبروا) إشارة بأن على المشركين أن ينظروا في أدباره وعواقبه ولو لم يبلغوا في نظرهم الغاية بما أشار إليه الإدغام، وهو تعبير خاطف سريع، ذو نبرة شديدة؛ لأنه خطاب لكفار قريش فيكفيهم هنا أدنى تدبر للوصول للحق، وذلك بخلاف (أفلا يتدبرون)؛ لأنه حديث مع المنافقين، وفيه حث لهم على التدبر والتأمل فيه بروية وطمأنينة.
- التعبير عن القرآن الكريم بـ(القول)، حيث إنه من جنس أقوالهم، وهم أهل الفصاحة والبيان، ولأنهم كانوا يجعلونه في منزلة بقية الأقول التي يستمعون إليها من البشر، فلا يلتفتون لمعانيه، ولا يتأملون في أساليبه ومراميه.

3. **أية خطاب المؤمنين**: لما لفت تعالى الأنظار إلى بعض الآيات الكونية في الآيات السابقة، لفت الأنظار في هذه الآية إلى الآيات التنزيلية، للإشارة إلى أن كلا منها يدل على عظمة الباري سبحانه وتعالى، وأن كتابه هو الحق المبين الذي ينبغي أن تتجه إليه القلوب.

ومن الأسرار التعبيرية في الآية:

- التعبير عن القرآن بـ(الكتاب)، وذلك لأنه يجمع أنواعاً من القصص والآيات والأحكام والأخبار... وتنكير لفظ (الكتاب) لتعظيم شأن القرآن الكريم، كما أنه مفيد للنوعية، أي أنه كتاب من نوع لا نظير له من بين الكتب السماوية أو الوضعية في صفة من الصفات.
- التعبير (أولوا الألباب) فيه تعريض بأن الذين لم يتذكروا بالقرآن ليسوا من أهل العقول، وأن التذكر من شأن المسلمين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

ومن خلال هذه الآيات المباركات تتبين أهمية التدبر بالنسبة للقرآن الكريم، وأنه بمنزلة الروح من الجسد، فإن خلت التلاوة من التدبر كانت جسداً لا روح فيه.

وعلى هذا فإن القارئ حين يتدبر تسري فيه هذه الروح القرآنية فيحيا قلبه، وتسعد نفسه، وينشرح صدره؛ ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[260].

قال ابن القيم رحمه الله في النوع الرابع من أنواع هجر القرآن الكريم: «هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه»[261].

260 –سورة الشورى، الآية: 52.

261 –الفوائد: ابن القيم، ج: 01، ص: 82.

وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[262]، قال ابن كثير رحمه الله: «وترك تدبره وتفهمه من هجرانه»[263]، وروى ابن كثير عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[264]، قال: «والذي نفسي بيده؛ إن حق تلاوته أن يحل حلاله، ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزل الله»[265].

وعن التابعي الجليل الحسن البصري[266] رحمه الله قال: «إن هذا القرآن قد قرأه عبيدٌ وصبيانٌ لا علم لهم بتأويله، ولم يتأولوا الأمر من أوله، قال عز وجل: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[267]، وما تدبر آياته إلا اتباعه، والله يعلم، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول: قد قرأتُ القرآن كله فما أُسقط منه حرفــاً، وقد والله أسقطه كله، مــا ترى القرآن له في خلق ولا عمــل، حتى إن أحدهم ليقــول: إني لأقرأ السورة في نفس واحــد،

262 –سورة الفرقان، الآية: 30.

263 –تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج: 06، ص: 108.

264 –سورة البقرة، الآية: 121.

265 – تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج: 06، ص: 403.

266 –الحسن بن يسار البصري أبو سعيد (21هـ-110هـ/ 642-728م)، تابعي كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء، ولد بالمدينة وشب في كنف علي بن أبي طالب، وتوفي بالبصرة، من مؤلفاته: فضائل مكة. (الأعلام، ج: 2، ص: 226، وانظر: آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه: جمال الدين ابن الجوزي، ص: 23 وما بعدها).

267 –سورة ص، الآية: 29.

والله ما هؤلاء بالقراء ولا الحكماء الورعة، متى كانت القراء تقول مثل هذا؟ لا أكثر الله في الناس مثل هؤلاء»[268].

وتأمل قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[269]: فقاس سبحانه وتعالى من حَمَّلَهُ كتَابهُ ليؤمِنَ به ويتدبرَهُ ويعمل به ويدعو إليه؛ ثم خالف ذلك؛ ولم يحمله إلا على ظهرِ قلبٍ، فقرأه بغير تدبرٍ ولا تفهمٍ ولا اتباع له ولا تحكيم له وعمل بموجبه؛ كحمار على ظهره زامِلةُ أسفارٍ لا يدري ما فيها، وحظُّه منها حملها على ظهره ليس إلا، فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره، فهذا المثلُ وإن كان قد ضرب لليهود؛ فهو متناولٌ من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به، ولم يؤدِّ حقه ولم يرعه حقَّ رعايته[270]. فتدبر القرآن الكريم مقصد أساسي من مقاصد نزوله، فهو السبيل لفهم أحكامه، وهو الطريق لبيان غاياته ومقاصده؛ فلا يفهم القرآن حق الفهم، ولا تُعرف مقاصده وغاياته حق المعرفة؛ إلا بالوقوف عند آياته وتدبرها حق التدبر، لكشف ما وراءها من حكم ومعان.

---

268 -أخلاق حملة القرآن: الآجري، ج: 01، ص: 39.

269 -سورة الجمعة، الآية: 05.

270 -الأمثال في القرآن: ابن القيم، ص: 27.

المطلب الثالث: التدبر في السنة النبوية الشريفة

لا شك أن أعلم الناس بالقرآن الكريم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد تكفل الله سبحانه وتعالى له بحفظه وبيانه؛ قال سبحانه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ.إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ.فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ.ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[271]، وأمرنا سبحانه بالاقتداء به صلى الله عليه وسلم، فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[272]، ومما يُقتدى به ويؤخذ عنه الوحي المنزل من الله، وكيفية تلاوته، وترتيله، وتدبره وفهم معانيه والتعبد به... وعلى البشرية أن تسير على نهجه وتهتدي بهديه وتقتدي به في كل الأمور، وقد كانت للنبي صلى الله عليه وسلم مع تدبر القرآن الكريم أخلاقيات عالية وراقية سجلتها سيرته العطرة وسنته الطاهرة، ومن ذلك: ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «اقرأ علي القرآن»، قلت: آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري»[273].

271 –سورة القيامة، الآيات : 16 إلى 19.

272 –سورة الأحزاب، الآية: 21.

273 –صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره، ح: 4661.

وعن عائشة رضي الله عنها أنه ذُكر لها أن ناساً يقرؤون القرآن في الليل مرة أو مرتين، فقالت: «أولئك قرؤوا ولم يقرؤا، كنت أقوم مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة التمام، فكان سورة البقرة وآل عمران والنساء، فلا يمر بآية فيها تخوف إلا دعا الله واستعاذ، ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه»[274].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «صليت مع النبي ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة، ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة؛ فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع...».

وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم ليلةً بآية يرددها حتى أصبح وهي قول الله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[275]، بها يركع وبها يسجد وبها يدعو، فلما أصبح قال له أبو ذر: يا رسول الله؛ مازلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت؟ تركع بها وتسجد بها وتدعو بها، وقد علمك الله القرآن كله، لو فعل هذا بعضنا لوجدنا عليه، قال: «إني سألتُ ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها، وهي نائلةٌ إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئاً».

274 –مسند أحمد بن حنبل، مسند الأنصار، الملحق المستدرك من مسند الأنصار، ح: 23468.

275 –سورة المائدة، الآية : 118.

وفي السنة الشريفة ما لايحصى كثرةً من كنوز التدبر العملي؛ ابتداء من سيد الخلق وحبيب الحق صلى الله عليه وسلم، ومروراً بصحابته البررة رضي الله عنهم أجمعين، وانتهاء بالسلف الصالح من التابعين وتابعيهم بإحسان، وسأضرب صفحاً هنا عن ذكر الآثار التي سيتم سردها متفرقة في ثنايا هذا البحث إيثاراً للاختصار وعدم الإملال بالتكرار[276].

❑ ❑ ❑

[276] –انظر كتاب هكذا عاشوا مع القرآن: أسماء الرويشد، (الفصل الأول: من قصص الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح في تدبر القرآن الكريم)، ص: 53 وما بعدها.

المبحث الثاني: علاقة التدبر بالمصطلحات القرآنية الأخرى

المطلب الأول: العلاقة بين التدبر والتفسير

التفسير مأخوذ من (الفَسْر) ويعني: البيان والكشف والوضوح، يقال: فسر الشيء يفسِره بالكسر، ويفسُره بالضم فسراً، وفسره: أبانه، وبه جاء القرآن الكريم؛ ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[277] أي : بياناً وتفصيلاً، وعلى هذا فمادة التفسير تدور حول معنى (التوضيح والبيان والشرح والإيضاح).

هذا ويعرف التفسير بأنه: «علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه»[278]، أو هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن الكريم وما يستفاد منها باختصار أو توسع[279].

وبهذا يمكن بيان العلاقة بين التدبر والتفسير فيما يلي:

- ورد لفظ التفسير مرة واحدة في القرآن الكريم، بينما ورد لفظ التدبر أربع مرات، في موضع منها بالأمر الصريح للدلة على وجوب التدبر، بخلاف التفسير فإنه ليس كذلك.

277 –سورة الفرقان، الآية: 33.

278 –البرهان، ج: 01، ص: 13.

279 –التحرير والتنوير: محمد ابن عاشور، ج: 01، ص: 11.

- المقصود الأصلي للتفسير بيـــان معاني كلام الله تعـالى، ومقصود التدبـــر الاتعاظ والاعتبـار والتأثـــر.
- التفسير أصل للتدبر وسابق عليه، فلا يحصل تدبر من غير معرفة المعنى، فهما متلازمان حيث إن التفسير كشف للمعنى والتدبر تأمل في أدبار الآيات وعواقبها، وعليه فالتفسير وسيلة والتدبر غاية.
- التدبر أعم من التفسير، حيث يشترط للمفسر شروطاً وعلوماً لابد من تحصيلها، أما التدبر فخوطب به الجميع، كل حسب طاقته، لكن ينبغي أن ينضبط بالضوابط ليكون في أعلى درجات الصحة والقبول كما سأبين في أنواع التدبر وقواعده بإذن الله.

والأصل أن مرحلة التدبر تأتي بعد الفهم إذ لا يمكن أن يطلب منك تدبر كلام لا تعقله، وهذا يعني أنه لا يوجد في القرآن الكريم ما لا يفهم معناه مطلقاً، وأن التدبر يكون فيما يتعلق بالتفسير؛ أي أنه يتعلق بالمعنى المعلوم.

المطلب الثاني: العلاقة بين التدبر والتأويل

التأويـــل[280] مأخوذ من الأوْل وهو الرجوع، يقال: آل الشيء يؤول أولا ومآلا: رجع، وأول إليه الشيء رجعه، وأُلت عن الشيء ارتددت عنه، ويقـــال أيضاً: تأوله: فسره، قـال سبحانه: ﴿ بَل كَذَّبوا بِما لَم يُحيطوا بِعِلمِهِ وَلَمّا يَأتِهِم تَأويلُهُ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذينَ مِن قَبلِهِم فَانظُر كَيفَ كانَ عاقِبَةُ الظّالِمينَ﴾[281] أي: لم يكن معهم علم تفسيره[282]؛ وبهذا يتبين أن التأويل يأتي في اللغة على معنيين:

أولهما: الرجوع إلى المآل والمصير

وثانيهما: التفسير

والتأويل بمعناه الأول يجتمع مع التدبر في دلالة المآل والعاقبة والمصير، ويفترق عنه في الآتي:

- التدبر أعم من التأويل؛ وذلك لأن التدبر يتعلق بجميع القرآن الكريم محكمه ومتشابهه، وأما التأويل فيتعلق في القرآن بأمرين: المتشابهات التي لا يعلمها إلا الله؛ مثل الغيبيات...، والمتشابهات التي تحتمل أكثر من دلالة؛ لخفاء في اللفظ أو المعنى أو هما معاً، وهذا هو محل النظر دون الأول.

---

[280] –ورد (التأويل) في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، وبثلاث صيغ مختلفة، وهذا يدل على ثراء المادة قرآنيا (انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ص: 97، (أول)).

[281] –سورة يونس، الآية: 39.

[282] –لسان العرب: ابن منظور، مادة: (أول)، ج: 11، ص: 32.

- نطاق التدبر أوسع لمخاطبة الجميع، وعليه فالمتدبرون أكثر من المتأولين.
- التأويل قسمان: مذموم ومحمود، فالمذموم هو الذي يتبع صاحبه الآيات المتشابهة، ويفسرها على هواه، والمحمود هو الذي يُعنى أصحابه بالمتشابهات التي تحتمل أكثر من معنى لخفاء في اللفظ أو المعنى أو هما معاً، فيتبعونه بغرض فهمه وتفسيره...، وهذا التأويل المحمود يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتدبر، فمن لا يتدبر الآية بقلبه لن يفهم المراد منها، ولن يستطيع رد المتشابه إلى المحكم.

المطلب الثالث: العلاقة بين التدبر والتفكر

التفكر[283]: التأمل، يقال: فَكَرَ في الأمر فكراً أي: أعمل العقل فيه، ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى المجهول، وفكر في المشكلة (بالتشديد): أعمل عقله فيها ليتوصل إلى حلها.

فالتفكر يعني: إعمال العقل وتأمله في أمر ما ليُتوصل به إلى نتيجة ما، أو حل مشكلة معينة، ويمكن حصر العلاقة بين التدبر والتفكر في الآتي:

- التفكر أعم من التدبر؛ وذلك لأن متعلقه أوسع وأشمل من متعلق التدبر، حيث يكون التفكر في الآيات التنزيلية والكونية والأنفسية، أما التدبر فمتعلقه الآيات التنزيلية دون غيرها.

[283] –ورد (التفكر) في القرآن الكريم في ثمانية عشر موضعاً وبصيغ مختلفة (المعجم المفهرس، ص: 525 (ف ك ر)).

- التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب.
- التدبر يتجاوز الحاضر إلى المستقبل؛ لأنه يعني النظر العقلي إلى عواقب الأمور، والتفكر جولان الفكر في الأمر الذي تكون له صورة عقلية عن طريق الدليل.
- الغالب على آيات التفكر مخاطبة أقوام بأعيانهم وهم المتفكرون خاصة، حيث تكررت جملة (لقوم يتفكرون) في ثمانية مواطن من آيات التفكر، فضلاً عن أربعة أخرى بصيغة الخطاب من مجموع ثمانية عشر موضعاً في القرآن الكريم، وهذا يدل على أن التفكر يخاطب به فئة مخصوصة غالباً، وهذا بخلاف التدبر فهو عام خوطب به الجميع كما مر.

المطلب الرابع: العلاقة بين التدبر والتأمل

التأمل[284]: هو التثبت، يقال: تأملت الشيء: أي: نظرت إليه مستثبتاً له، ويقال: تأمل الرجل، أي: تثبت في الأمر وتحقق منه. وبهذا يكون التأويل هو: تدقيق النظر في الأمور بغرض التثبت والتحقق، أو الاتعاظ والتذكر، ويمكن إجمال العلاقة بين التدبر والتأمل في الآتي:

- التأمل قد يحدث بالبصر وحده، أو بالبصر يعقبه التفكر، أما التدبر فيكون بالبصيرة وحدها؛ حيث إنه من أعمال القلوب.

[284] –لم ترد صيغة التأمل في القرآن الكريم ولا مشتقاتها إلا لفظتي: (الأمل) ووردت في موضع واحد من سورة الحجر (الآية: 3)، ولفظة (أملا) ووردت في موضع واحد من سورة الكهف (الآية: 46).

- التدبر من أعمال القلب ولا يشترط فيه الاستمرار، بخلاف التأمل فهو يحتاج إلى طول وقت وتأن وتثبت في الأمور.
- التأمل أعم من التدبر، فالتأمل جمع الفكر للوقوف المعاني، بخلاف التدبر فهو الفكر الواصل إلى أواخر دلالات الكلام وأدبارها.

❑ ❑ ❑

المبحث الثالث: أهمية تدبر القرآن الكريم وقواعده ووسائله

المطلب الأول: أهمية تدبر القرآن الكريم وأنواعه

1-أهمية تدبر القرآن الكريم

سبق وتحدثت عن الآيات الآمرة بتدبر القرآن الكريم، والتي يقول فيها الإمام ابن كثير رحمه الله: «يقول الله تعالى آمراً عباده بتدبر القرآن وناهياً لهم عن الإعراض عنه وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[285]»[286].

ولقد بين الله عز وجل أن الغاية والقصد من نزول القرآن الكريم هو العمل به والالتزام بتعاليمه وأحكامه، وتحصيل هذه الأمور يكون بتدبر القرآن وفهم معانيه، ولذا جاء الحث على تدبر القرآن وأنه من أفضل الأعمال وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها المقصود، وكما أننا متعبدون بقراءة ألفاظ القرآن صحيحة وإقامة حروفه على النحو الذي يرضيه سبحانه، فكذلك متعبدون بفهم القرآن والعمل به وتطبيقه في كل شؤون الحياة.

---

[285] -سورة محمد، الآية : 24.

[286] -تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج: 04، ص: 78.

والقرآن الكريم لم ينزل لمجرد التلاوة اللفظية فحسب بل كذلك من أجل فهم معانيه وتدبر آياته والعمل بما فيه، قال سبحانه: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[287]، ومن المتقرر في الأذهان أن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بالقرآن الكريم تلاوة وفهماً وتدبراً وتطبيقاً كما سبق وبينت، والواجب على الأمة أن تسير على نهجه وتهتدي بهديه وتقتدي به في كل الأمور، ولكي نتأثر بالقرآن ونتدبره فينبغي لنا أن نقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم في كيفية تعامله مع القرآن الكريم، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده فيها كما تعلمون أنتم القرآن»، ثم قال: «لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه، ينثره نثر الدقل»[288].

وإن الناظر في نصوص الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة يجد أن تدبر القرآن وتفهمه وتعلمه والعمل به أمر ثابت عندهم، وهو لابد منه للمسلمين في كل زمان ومكان.

---

[287] –سورة البقرة، الآية : 129.

[288] – رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الإيمان، باب الإيمان، ح: 101.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن المشتغلين بذلك هم خير الناس، قال صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[289].

وحتى يحصل المسلم هذه الخيرية لا بد أن تتوافر فيه ثلاثة أمور:

- التلاوة الصحيحة
- الفهم الصحيح
- التطبيق السليم

كما أن للتدبر آثاراً عظيمةً تعود على المتدبر بالنفع في دنياه وأخراه؛ كحصول مزيد العلم والإيمان واليقين، واستجلاب الخشوع وخشية الله ورقة القلب، وحصول محبة الله تعالى، وأخذ العظة والعبرة، والعمل بالآيات المتدبرة؛ لتتحقق السعادة الحقيقية من هذه التلاوة التدبرية، وغير ذلك من الآثار.

قال ابن القيم رحمه الله: «ليس شيءٌ أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تُطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغايتمها ووثمراتهما، ومآل أهلهما، تَتُلُّ في يده مفاتيحَ كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتُثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه وتوطد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة، والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، وتبصره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله،

[289] –صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ح: 5027.

وتعرفه ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله، وما يحبه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتها، وتعرفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصححاتها وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم، وأحوالهم وسيماهم، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه، وافتراقهم فيما يفترقون فيه»[290].

وقال الإمام الآجري[291] رحمه الله في سياق الحديث عن آيات التدبر: «ألا ترون رحمكم الله إلى مولاكم الكريم كيف يحث خلقه على أن يتدبروا كلامه، ومن تدبر كلامه عرف الرب عز وجل، وعرف عظيم سلطانه وقدرته، وعرف عظيم تفضله على المؤمنين، وعرف ما عليه من فرض عبادته، فألزم نفسه الواجب، فحذر مما حذره مولاه الكريم، ورغب فيما رغبه فيه، ومن كانت هذه صفته عند تلاوة القرآن وعند استماعه من غيره كان القرآن له شفاء، فاستغنى بلا مال، وعز بلا عشيرة، وأنس بما يستوحش منه غيره، وكان همه عند التلاوة السورة إذا افتتحها: متى أتعظ بما أتلوه، ولم يكن مراده متى أختم السورة؛ وإنما مراده متى أعقل من الله الخطاب؟ متى أزدجر؟ متى أعتبر؟ لأن تلاوته للقرآن عبادة، والعبادة لا تكون بغفلة، والله الموفق»[292].

---

[290] –مدارج السالكين: ابن القيم، ج: 01، ص: 450.

[291] –محمد بن الحسين بن عبد الله أبو بكر الآجري البغدادي (360هـ/ 970م)، فقيه شافعي محدث، نسبته إلى آجر من قرى بغداد ولد فيها، وحدث ببغداد قبل سنة 330هـ ثم انتقل إلى مكة وتوفي فيها، له تصانيف كثيرة، منها: أخلاق حملة القرآن، أخبار عمر بن عبد العزيز، أخلاق العلماء.

[292] –أخلاق حملة القرآن: الآجري، ص: 04-05.

ويلاحظ في هذا الكلام أن المقصود بالتدبر ليس مجرد العملية العقلية، أو مجرد التلاوة، بدون أن يظهر أثر ذلك في القلب بزيادة الإيمان وما يلازمه من العمل الصالح في الجوارح.

قال الإمام الغزالي[293] رحمه الله في العمل السابع من أعمال الباطن في التلاوة: «التخصيص؛ وهو أن يقدّر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن، فإن سمع أمراً أو نهياً قدّر أنه المنهي والمأمور، وإن سمع وعداً أو وعيداً فكمثل ذلك، وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود وإنما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج إليه، فما من قصة في القرآن إلا وسياقها لفائدة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وأمته. ولذلك قال تعالى: ﴿ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[294]، فليقدّر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله تعالى. وكيف لا يقدّر هذا والقرآن ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله خاصة، بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين. ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب، فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾[295]،

---

[293] –محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد (450هـ-505هـ/ 1058-1111م)، حجة الإسلام فيلسوف متصوف، مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس بخرسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر وعاد إلى بلدته، نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزالة من قرى طوس (لمن قال بالتخفيف)، من كتبه: إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، الاقتصاد في الاعتقاد.

[294] – سورة هود، الآية : 120.

[295] –سورة البقرة، الآية : 231.

وقال عز وجل: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[296]، وإذا قصد الخطاب جميع الناس فقد قصد لآحاد، فهذا القارئ الواحد مقصود فما له ولسائر الناس فليقدّر أنه المقصود»[297].

2- أنواع تدبر القرآن الكريم

سبقت وأشرت إلى أن التفسير أصل للتدبر وسابق عليه، فلا يحصل تدبر من غير معرفة المعنى، فهما متلازمان حيث إن التفسير كشف للمعنى والتدبر تأمل في أدبار الآيات وعواقبها، وعليه فالتفسير وسيلة والتدبر غاية.

والأصل أن مرحلة التدبر تأتي بعد الفهم إذ لا يمكن أن يطلب منك تدبر كلام لا تعقله، وهذا يعني أنه لا يوجد في القرآن الكريم ما لا يفهم معناه مطلقاً، وأن التدبر يكون فيما يتعلق بالتفسير؛ أي أنه يتعلق بالمعنى المعلوم.

وبهذا يمكن تقسيم التدبر إلى أنواع بناء على تقسيم ابن عباس رضي الله للقرآن الكريم من حيث بيان معناه، قال: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره».

وقد جعلها الإمام الطبري رحمه الله في مقدمة تفسيره على ثلاثة أقسام هكذا:

---

[296] -سورة آل عمران، الآية: 138.

[297] -إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، 337.

- قسم لا سبيل للوصول إليه: وهو ما استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه، وهو ما سوف يأتي في آخر الزمان، مثل وقت خروج الدابة ووقت طلوع الشمس من مغربها ووقت نزول عيسى عليه السلام ووقت قيام الساعة وغير ذلك.
- قسم خص الله نبيه صلى الله عليه وسلم بعلم تأويله، ووجب على الأمة جميعاً الأخذ بهذا التفسير النبوي الكريم، وذلك مثل بيانه العملي للمقصود من آيات الصلاة والصيام والزكاة والحج، وتوضيحه للصحابة ما خفي عليهم من معاني القرآن الكريم وأحكامه.
- ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن الكريم، وهم العرب الفصحاء، وهو بيان معاني القرآن الكريم ووجوه إعرابه[298].

ومن خلال المطالعة والبحث وبناء على ما سبق تبين لي أن التدبر كذلك على ثلاثة أنواع، وهي:

النوع الأول: تدبر العامة، وهو الوقوف عند الآيات مع الفهم العام لها والتبصر بما اشتملت عليه من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد، والانتفاع بها تذكراً واتباعاً.

وصورة ذلك أن يقرأ القرآن ويقف مع آياته متأملاً في وعده ووعيده وأمره ونهيه...، فيزداد بها إيمانه وخشيته.

[298] -انظر مقدمة تفسير الطبري، ج: 01، ص: 92.

والنوع الثاني: تدبر العلماء، وهو الوقوف عند الآيات مع الفهم لمعناها ودلالاتها، والتبصر بمقاصدها وهداياتها، والانتفاع بها إيماناً وعملاً.

وصورة ذلك أن يقف مع آيات القرآن بإمعان النظر وإعمال العقل في مقاصدها ومعانيها ودلالاتها، وينتفع به علماً وفهماً وخشية.

والنوع الثالث: تدبر العلماء الربانيين، وهو الوقوف عند الآيات مع الفهم لمعناها ودلالاتها ومقاصدها وهداياتها، والتبصر بما اشتملت عليه من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد، والانتفاع بها علماً وإيماناً وعملاً.

وصورة ذلك حال السلف الصالح في تعاملهم مع القرآن الكريم وهو التدبر الأمثل.

المطلب الثاني: قواعد تدبر القرآن الكريم

لا ريب أن فهم كتاب الله الفهم السليم هو غاية كل مسلم، وهو الثمرة العلمية من تدبره، كما أن الثمرة العملية هي الالتزام بأحكامه وتوجيهاته إيماناً وعملاً ودعوة[299].

[299] –انظر كتاب: كيف نتعامل مع القرآن العظيم: يوسف القرضاوي، ص: 219.

وقد وضع العلماء للناظر في القرآن الكريم قواعد لا يتجاوزها، حتى يكون نظره صواباً واستنباطه صحيحاً وفهمه سليما وتدبره مقبولاً، ولما تعذر علي ذكر جميع هذه القواعد والعلوم في هذا المطلب لطولها وعدم اتساع المقام لتفصيلها، فقد اقتصرت منها على ما تبين لي تعلقه الشديد بهذه الرسالة[300].

[300] – من أهم العلوم التي يحتاجها الناظر في القرآن الكريم، ما يلي: 1– فقه اللغة: لأنه به يمكن أن يشرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها، ويستطيع أن يعرف معاني الكلمات الغريبة في القرآن الكريم، ويكون في هذه المعرفة ملتزما باللغة ومقاييسها وفقهها. 2– علم النحو والصرف: لأن المعنى يختلف بحسب اشتقاق الكلمة القرآنية أو وجوه تصريفها، كما يختلف باختلاف وجوه الإعراب وتوجيه تلك الوجوه. 3– علوم البلاغة: حتى يقف على طرفٍ من بلاغة القرآن الكريم ووجوه إعجازه، ومظاهر بيانه وجماله وأساليب أدائه وألوان تأثيره. 4–علم القراءات: لأن القراءات توقيفية وهي كلام الله تعالى، ومنها يعرف وجوه القراءات وتوجيهها، وبيان اختلاف المعنى والأحكام على كل قراءة. 5– علم أصول الدين: حيث يعرف أساسيات العقيدة وخصائص التصور الإسلامي والألوهية والعبودية، ويعرف الإيمان وأركانه والإنسان ووظيفته والحياة ومعناها، والكون وغايته، والغيب وحقيقته، واليوم الآخر وقدومه. 6– علم أصول الفقه: ليعرف كيف يستنبط الأحكام والأدلة من القرآن الكريم، وكيف يتعامل مع أساليب الخطاب القرآني، ووجوه التكليف فيه وطرق عرض أحكامه. 7– علم أسباب النزول: ليعرف الجو الذي نزلت فيه الآيات والحالة التي تعاملت معها، والمشكلة التي عالجتها والخطأ الذي قومته. 8– علم الناسخ والمنسوخ: حتى لا يقع التناقض في فهم الأحكام التي تشير إليها الآيات. 9– علم التاريخ: ليطلع على أخبار السابقين، ويحسن التعامل مع قصص القرآن الكريم واستخراج السنن الثابتة في الحياة البشرية. 10– علم الحديث: ليطلع على تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم، باعتبار السنة موضحة للقرآن الكريم ومفسرة له ومبينة لأحكامه ومكملة لتوجيهاته. 11– علم السيرة النبوية: لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الترجمة العملية للقرآن الكريم، حيث كان خلقه القرآن الكريم –كما بينت عائشة رضي الله عنها– ولذلك نعتبر سيرته وحياته العامة والخاصة هي أصدق تفسير للقرآن الكريم، والمظهر العملي الواقعي لتوجيهاته وأحكامه. وغيرها من العلوم... انظر كتاب: تصويبات في فهم بعض الآيات: صلاح الخالدي، ص: 23–25. وكتاب التفسير والمفسرون: محمد الذهبي.

القاعدة الأولى: البحث في دلالات الصور البلاغية

إن البحث عن الوجوه والصور البلاغية التي اشتملت عليها الآيات القرآنية واستجلاء غرض الإبداع البلاغي والاعجاز البياني من استعمالها تمنح للمتدبر ملكة الذوق البياني الرفيع والإحساس بمواطن الجمال الفني في القرآن الكريم.

ومن أمثلة ذلك قول الله عز وجل: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَت أَودِيَةٌ بِقَدَرِها﴾[301].

فالصورة البلاغية في هذه الآية الكريمة هي الإسناد المجازي؛ إذ أسند السيلان إلى الوادي مع أن المراد سيلان الماء فيه، والغرض من ذلك إعطاء السامع صورة تشعر على سبيل التخيل أن الوادي فعلاً يسير، وهذه الصورة قد تحدث في وهم الإنسان أو في تخيلاته حينما يشاهد فعلاً هدير الماء الكثير المتدفق الذي يملأ الوادي[302].

[301] –سورة الرعد، الآية: 17.

[302] –قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل: عبد الرحمن حنبكة الميداني، ص: 150.

وعلى المتدبر أن يكون على علم كافٍ بقواعد اللغة العربية نحوها وصرفها...[303]؛ لأن فهم معاني الآيات وتدبرها لايتم على وجه صحيح دون العلم الكافي بهذه القواعد، فالجملة العربية بناء كلامي يعتمد على أركان:

الركن الأول: مادة الكلمة وما تدل عليه من معنى بحسب الاستعمال العربي لها، ومرجع هذا معاجم اللغة واستعمالات العرب في نثرهم وشعرهم.

الركن الثاني: صيغة الكلمة وما تدل عليه من دلالات زائدة على المعنى العام الذي تدل عليه الكلمة، والمرجع لمعرفة دلالات الصيغ علم الصرف وبعض قواعد النحو.

الركن الثالث: تركيب الكلام العربي القائم على التقديم والتأخير، فضلاً عن أن قواعد الكلام العربي تقضي بوجوب مراعاة شروط التقديم والتأخير بين بعض عناصر الجملة العربية، فإن كثيراً من دلالات الجملة العربية تستفاد من تقديم بعض عناصرها أو تأخيره.

303 –قال محمد ابن عاشور رحمه الله: «أما العربية فالمراد منها معرفة مقاصد العرب من كلامهم وأدب لغتهم سواء حصلت تلك المعرفة بالسجية والسليقة؛ كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم، أم حصلت بالتلقي والتعلم كالمعرفة الحاصلة للمولدين الذين شافهوا بقية العرب ومارسوهم، والمولدين الذين درسوا علوم اللسان ودونوها...، ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي: متن اللغة والتصريف والنحو والمعاني والبيان. ومن وراء ذلك استعمال العرب المتتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم...» التحرير والتنوير، ج: 1، ص: 18.

الركن الرابع: الإعراب القائم على تغيير الحركات أو ما ينوب منابها في أواخر الكلمة العربية، وهذا عرضة للتغيير وفق موقع الكلمة في دلالة الجملة العربية، والمرجع لمعرفة قواعد إعراب الكلمة العربية هو علم النحو[304].

كما أن من المعاني ما يدل عليها النص دلالة مباشرة منصوصاً عليها في اللفظ، ومنها معانٍ تستفاد لزوماً، ويقتضيها النص دون أن يكون فيه ألفاظ خاصة تدل عليه.

فعلى المتدبر أن يعمل ذكاءه ويمعن النظر في دلالات الآيات بما فيها من تلويح أو تلميح أو تعريض أو كناية أو غير ذلك. وهذه عملية من عمليات الاستنباط الذي اختص الله به المتدبرين من أهل العلم، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا.وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[305].

[304] – انظر قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل: عبد الرحمن حنبكة الميداني، ص: 151 وما بعدها.

[305] –سورة النساء، الآية: 82-83.

القاعدة الثانية: البحث في معاني الكلمات القرآنية

إن فهم معنى الكلمة القرآنية من أهم العناصر الأساسية لتدبر كتاب الله عز وجل، فمن دون فهم معنى الكلمات القرآنية الواردة في النص الذي يراد تدبره وفهم دلالاته، يتعذر الوصول إلى فهمٍ صحيح متعمقٍ لكامل النص، فعلى متدبر كتاب الله بتعمق أن يبحث في معاني الكلمات الواردة فيه بحثاً علمياً لغوياً، بالرجوع إلى أمهات المعاجم اللغوية، وبالتبصر في مختلف معاني الكلمة واستعمالاتها الحقيقية والمجازية في لغة العرب إبان نزول القرآن الكريم، وبالنظر فيما ورد من تفسير مأثور والتقيد به إذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وبالنظر فيما قاله أهل التفسير في معنى الكلمة وفي تفسير المراد منها، ثم يأتي بعد ذلك التبصر الدقيق بمعنى النص القرآني بشكل عام مع ملاحظة سياقه في السورة، ويحسن مع ذلك النظر في مختلف المواطن التي استعملت فيها الكلمة في القرآن الكريم، فهو قد يكشف للمتدبر الدلالات الأساسية للكلمة في الاستعمال القرآني، هل دلالتها تدور حول المعنى اللغوي أو حول المعنى الاصطلاحي الشرعي، ومع الحقيقة أو مع المجاز أو متنوعة، مع اعتماد دلالات الكلمة في عصر نزول القرآن الكريم، لا وفق ما تطورت إليه بعد ذلك في العصور الإسلامية، ولا وفق المصطلحات التي تمت بعد عصر التنزيل، كمصطلحات الفقهاء أو غيرهم.

ومن الأمور المهمة أيضاً تتبع لمعاني اللغوية للكلمة القرآنية أو المادة اللغوية لها، فكم يقع بعض المتدبرين في الخطأ لأنه يغفل عن هذا الأمر الأساسي المهم، فقد تستعمل المادة في نص بمعنى وتستعمل في نص آخر بمعنى آخر. كما روى مالك في الموطأ عن عروة ابن الزبير قال: «قلت لعائشة وأنا يومئذ حديث السن: أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[306]، فما على الرجل شيء أن لا يطوف بهما، فقالت عائشة: كلا لو كان كما تقول، لكانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، إنما نزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يُهلون لمناةَ الطاغية، وكانت مناة حذو قُدَيْدٍ، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله عن ذلك، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ الآية». فبينت له ابتداء طريقة استعمال العرب لو كان المعنى كما وهمه عروة، ثم بينت له مثار شبهته الناشئة عن قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ الذي ظاهره رفع الجناح عن الساعي الذي يصدق بالإباحة دون الوجوب[307].

والناظر في كلمات القرآن يمكنه جعلها على ثلاث مراتب[308]:

المرتبة الأولى: كلمات مشهورة واضحة المعنى والدلالة، مثل: الناس، الشمس، البحر، الشجر، ...

---

[306] – سورة البقرة، الآية: 158.

[307] –التحرير والتنوير: محمد ابن عاشور، ص: ج: 01، ص: 23.

[308] –المراحل الثمان لطالب فهم القرآن: عصام العويد، ص: 57.

المرتبة الثانية: كلمات متداولة واضحة المعنى الظاهر، لكن من يتأمل هذه الكلمات في كتب التفسير ودواوين اللغة؛ سيجد أنها تنطوي على عدد من المعاني البديعة، التي لم تخطر له على بال، وهي معاني صحيحة دلَّ عليها السياق، وقد جاء التصريح بها أو التلميح عنها في كتب التفسير بالمأثور، لكن لعدم احتمال هذه المعاني أصالةً في خاطره؛ فإن الناظر في تفسير السلف لا يتأمل هذه المعاني في كلامهم، بل قد يُنكر على المحققين من المتأخرين الخوض في هذه المسائل، ومن جهل شيئاً عاداه.

ومن أمثلة هذه الكلمات: تؤزهم، الصمد، التغابن، رفرف، عبقري، أحقاباً، كالدهان، كشطت، ...

المرتبة الثالثة: كلمات غامضة بالنسبة لكثير من الناس، لا يُدرك معناها إلا بمراجعة كتب التفسير واللغة، مثل: انكدرت، مقمحون، زرابي، الوتين، حمئة، الترائب، زنيم، أبّا، قضبا، أمشاج، سائحات،...

وعلى المتدبر أن ينظر في القراءات القرآنية الواردة في الكلمة الواحدة، وما قاله أهل اللغة والتفسير في ذلك، فمن شأن تتبع القراءات الواردة في الكلمة أن يكشف الدلالات الأساسية للكمة في الاستعمال القرآني أو يضيف معنى جديد أو يرجح فهماً على آخر كما سيأتي معنا في الباب الثاني من هذا البحث بإذن الله.

القاعدة الثالثة: معرفة دلالة حروف المعاني

فالقرآن العظيم كلام الله عز وجل تكلم به حقيقة على ما يليق بجلال قدره وعظيم سلطانه، وهذا الكلام منه جل وعلا نزل بلسان عربي مبين، قال سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ.عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ.بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[309]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُم تَعقِلونَ﴾[310]، وقال سبحانه: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[311]، وقال سبحانه: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾[312]، فكانت قواعد العربية طريقاً لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم[313].

والحروف في هذا اللسان العربي على نوعين:

النوع الأول: حروف مباني؛ أي يبنى منها الكلام، وهي ليست لها معنى في نفسها، ولكن لها دلالة بعد التركيب، مثل: الميم من محمد، والعين من سعد، والراء من ربيع ونحو ذلك، ولا علاقة لذلك بهذا المبحث.

---

[309] -سورة الشعراء، الآيات: 193-194-195.

[310] -سورة يوسف، الآية: 02.

[311] -سورة فصلت، الآية : 03.

[312] -سورة الأحقاف، الآية: 12.

[313] -انظر تفسير: التحرير والتنوير: محمد ابن عاشور، ج: 01، ص: 18.

النوع الثاني: حروف المعاني؛ وهي التي تربط بين الكلمات لتعطي دلالة معينة يقصدها المتحدث، مثل: دلالة حرف (الباء) على الاستعانة في كلمة (بسم الله)، ودلالة حرف (اللام) على التعليل في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا﴾[314]، ودلالة حرف (على) على الظرفية في قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ﴾[315]، وهذا المبحث له علاقة كبيرة بموضوع رسالتي.

فحروف المباني تتكون منها الكلمات، وهذه الكلمات يُربط بينها بحروف المعاني فتتكون الجمل، والجمل مع بعضها تتكون منها الآيات. وكلمات القرآن العظيم إن فُهم معناها ودلالتها، بقي معرفة دلالة حروف المعاني التي تربط بينها، ومعرفة دلالة هذه الحروف له سر عجيب في فهم معاني القرآن فهماً دقيقاً واسعاً[316].

القاعدة الرابعة: مراعاة أنواع الاختلاف في القراءات

والاختلاف في القراءات ثلاثة أنواع:

النوع الأول: اختلاف اللفظ والمعنى واحد

[314] –سورة الصف، الآية : 08.

[315] –سورة القصص، الآية : 15.

[316] –المراحل الثمان لطالب فهم القرآن: عصام العويد، ص: 67.

ومثال هذا النوع اختلافهم في قراءة (الصراط) فمنهم من قرأ بالصاد ومنهم من قرأ بالسين (السراط) ومنهم من قرأ بالزاي (الزراط)، وكذا اختلافهم في: (عليهِم، عليهُم) بضم الهاء مع إسكان الميم، وبكسر الهاء مع ضم الهاء وإسكانها، ونحو ذلك البيانُ والإدغامُ والمد والقصر والفتح والإمالة وتحقيق الهمز وتخفيفه، وشبهه مما يطلق عليه أنه لغات فقط[317].

والنوع الثاني: اختلاف اللفظ والمعنى مع جواز اجتماعهما في شيء واحد

ومثال ذلك اختلافهم في قراءة ﴿مالك يوم الدين﴾ بألف، و﴿ملك يوم الدين﴾ بغير ألف، لأن المراد بهاتين القراءتين جميعاً هو الله سبحانه وتعالى؛ وذلك أنه تعالى مالك يوم الدين ومِلكهُ، فقد اجتمع له الوصفان جميعاً، فأخبر تعالى بذلك في القراءتين.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾[318] بالضاد، و﴿بظنين﴾ بالظاء؛ لأن المراد بهاتين القراءتين جميعاً هو النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه كان غيرَ ظنين على الغيب أي غيرَ متهم فيما أخبر به عن الله تعالى، وغير ضنين به أي غير بخيل بتعليم ما علمه الله وأنزل إليه، فقد انتفى عنه الأمران جميعاً، فأخبر الله تعالى عنه بهما في القراءتين.

[317] –الأحرف السبعة للقرآن، أبو عمر الداني، ص: 48.

[318] –سورة التكوير، الآية: 24.

وفي قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[319] بتخفيف الذال وبتشديدها؛ لأن المراد بهاتين القراءتين جميعاً هم المنافقون، وذلك أنهم كانوا يكذبون في إخبارهم، وبكذِّبون النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من عند الله تعالى، فالأمران جميعاً مجتمعان لهم، فأخبر الله تعالى بذلك عنهم وأعلمنا أنه معذبهم بهما.

وفي قوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾[320] بالراء والزاي؛ لأن المراد بهاتين القراءتين جميعاً هي العظام، وذلك أن الله تعالى أنشَرَها أي أحياه، وأَنْشزَها أي رفع بعضها إلى بعض حتى الْتَأَمَتْ، فأخبر سبحانه أنه جمع لها هذين الأمرين من إحيائها بعد الممات ورفع بعضها إلى بعض لتلتئم، فضمَّن تعالى المعنيين في القراءتين تنبهاً على عظيم قدرته.

والنوع الثالث: اختلاف اللفظ والمعنى مع امتناع اجتماعهما في شيء واحد، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد:

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ.وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾[321] فقرئ: (يعذِّب، يعذَّب) و(يوثِق، يوثَق) ولكل قراءة توجيه يختلف عن الأخرى.

---

[319] –سورة البقرة، الآية: 10.

[320] –سورة البقرة، الآية: 259.

[321] –سورة الفجر، الآية: 25-26.

وقوله تعالى: ﴿وَظَنّوا أَنَّهُم قَد كُذِّبوا﴾[322] بالتشديد؛ لأن المعنى وتيقن الرسلُ أن قومهم قد كذبوهم. وقراءة من قرأ ﴿قَد كُذِبوا﴾ بالتخفيف؛ لأن المعنى وتوهم المرسَلُ إليهم أن الرسلَ قد كَذَبوهم فيما أخبروهم به من أنهم لم يؤمنوا بهم نزل العذا بهم.

فالظن في القراءة الأولى يقين، والضمير الأول للرسل والثاني للمرسَل إليهم، والظن في القراءة الثانية شك، والضمير الأول للمرسَل إليهم والثاني للرسل.

وكذلك ما ورد من هذا النوع من اختلاف القراءتين، التي لا يصح أن يجتمعا في شيء واحد، هذه سبيلُه؛ لأن كل قراءة منهما بمنزلة آية قائمة بنفسها، لا يصح أن تجتمع مع آية أخرى تخالفها في شيء واحد.[323]

وبعد عرض هذه الأنواع يمكن استنتاج الضوابط التالية:

- القراءتان في الآية-إذا ظهر تعارضهما-لهما حكم الآيتين وصارت بمثابة اختلاف التنوع.
- القراءات إذا لم يظهر تعارضها وعادت إلى ذات واحدة فهي زيادة في الحكم لهذه الذات بهذه القراءات.
- القراءات يبين بعضها بعضا.

[322] -سورة يوسف، الآية: 110.

[323] -الأحرف السبعة للقرآن الكريم: أبو عمرو الداني، ص: 50.

ولا يخفى ما بين هذه الضوابط من التداخل وإنما فصلتها قصد التنويع وهي تندرج تحت الكلام السابق، سيأتي في الباب الثاني من هذه الرسالة ما يثري هذه القواعد ويبين أن القراءات القرآنية تزيد المعاني وتوضح الفهم وتوصل إلى التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل.

المطلب الثالث: وسائل تدبر القرآن الكريم

إن الغاية والقصد من نزول القرآن الكريم هو التدبر فيه والتفكر في معانيه؛ إذ أنه مفتاح للعلوم والمعارف وحث للنفس نحو الخير، ولقد ركز سلفنا الصالح في تدبر القرآن الكريم على الجانب العملي، فعرفوا مقاصده ومراده ووقفوا عند آياته واستنبطوا أحكامه، ولا يمكن تحقيق التدبر المطلوب إلا بواسطة وسائل عديدة، أذكر منها على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر:

الوسيلة الأولى: الترتيل وحضور القلب عند التلاوة

وقد أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه بترتيل القرآن الكريم فقال: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾[324]، فكانت طريقته في التلاوة أنه يرتل القرآن الكريم كما أمره الله عز وجل؛ قالت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها: «ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في سُبحته قاعداً، حتى كان قبل وافته بعام، فكان يصلي في سُبحته قاعداً، وكان يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول

[324] –سورة المزمل، الآية : 04.

منها»[325]، وعن أنس رضي الله عنه، أنه سئل عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «كان يمده مداً، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، يمد ببسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم»[326]، وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها سئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: «كان يقطع قراءته آية آية: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ.مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾»، وعن ابن عباس رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾[327]، كان رسول الله إذا نزل جبريل بالوحي، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه[328].

فالترتيل وإخراج كل حرف من مخرجه دون تداخل بين الحروف يوضح معنى الآية، ويفتح باب الفهم والتأمل والتدبر، ومن ثم تقع الموقع المناسب فيتأثر بها القارئ والمستمع، قال الإمام الغزالي رحمه الله: «والمقصود من القراءة التدبر، ولذلك سنّ لأن الترتيل فيه الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن»[329].

ولهذا ذهب علماء القراءة والأداء إلى أن القراءة بالترتيل واجبة.

---

325 –صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جواز النافلة قاعداً وقائماً، ح: 733.

326 –صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة، ح: 5046.

327 –سورة القيامة، الآية : 16.

328 –صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب قوله: «فإذا قرأناه فاتبع قرآنه»، ح: 4929.

329 –إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، ص: 333.

قال ابن الجزري رحمه الله في المقدمة:

وَالأَخْذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتْمٌ لازِمُ ... مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ الْقُرآنَ آثِمُ

لأَنَّهُ بِهِ الإِلَهُ أَنْـــــــزَلاَ ... وَهَكَذَا مِنْهُ إِلَيْنَا وَصَــلاَ

وَهُوَ أَيْضًا حِلْيَةُ التِّــلاَوَةِ ... وَزِيْنَـةُ الأَدَاءِ وَالْقِـــــرَاءَةِ[330]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة. والذي يقرأ القرآن يتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»[331].

وإنما له أجران لأنه يؤجر على القراءة ذاتها، ويؤجر على ما يعانيه من الشدة والتتعتع والمشقة، وفي هذا دليل على مزيد حرصه على القراءة وقوة رغبته فيها، رغم مشقتها عليها[332]. وذلك لأن الأناة والإتقان في القراءة تتيح الفرصة للتأمل والتدبر، وهو الغاية المنشودة من القراءة.

[330] –المقدمة الجزرية: ابن الجزري، ص: 03.

[331] –صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر في القرآن، ح: 798.

[332] –كيف نتعامل مع القرآن العظيم: يوسف القرضاوي، ص: 156.

الوسيلة الثانية: تحسين الصوت والتغني بالقرآن الكريم

من أسباب تدبر القرآن الكريم التي أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم تحسن الصوت بالقرآن الكريم، قال صلى الله عيه وسلم: «زينوا القرآن بأصواتكم»[333]، وقال صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»[334]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به»[335].

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستمع إلى الصحابة الذين يحسنون أصواتهم بالقرآن الكريم، ويوصي بالقراءة عليهم والتلقي منهم، فقد استمع إلى قراءة أبي موسى، فقال له: «لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود»[336]، وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بقراءة القرآن على عبد الله بن مسعود لحسن صوته وجودة قراءته، فقال صلى الله عليه وسلم: «من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»[337].

---

[333] –سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة، ح: 1468، سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في حسن الصوت بالقرآن، ح: 1342.

[334] –صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: «وأسروا قولكم أو اجهروا به»، ح: 7544.

[335] –سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب الوتر، باب استحباب الترتيل في القراءة، ح: 1471.

[336] –صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، ح: 793.

[337] –سنن ابن ماجه، المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ح: 138.

ومن آداب التلاوة المتفق عليها: تحسين الصوت بالقراءة، فالقرآن -بلا ريب- حسن، بل هو في غاية الحسن في ذاته، ولكن الصوت الحسن يزيده حسناً، فيأخذ بشغاف القلوب، ويهز المشاعر هزاً[338].

الوسيلة الثالثة: اختيار الوقت المناسب للقراءة التدبرية

لكي يتأثر القلب بالقرآن الكريم ويُحسن تدبره؛ لابد من اختيار الوقت المناسب للتدبر، وأجمل وقت الليل، وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقيام الليل وترتيل القرآن الكريم فيه؛ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ.قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا.نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا.أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا.إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا.إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾[339]، وذلك لفراغ القلب عن سائر الأشغال التي يتعلق بها في النهار؛ ولهذا كان دأب الصالحين قيام الليل ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[340]، وقد أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتهجد بالقرآن الكريم فقال سبحانه: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا.وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[341]؛ وهذا الوقت أدعى للتدبر؛ لأنه أجمع للقلب، وأصفى للذهن.

---

338 -كيف نتعامل مع القرآن العظيم: يوسف القرضاوي، ص: 160.

339 -سورة المزمل، الآيات : 01-06.

340 -سورة السجدة، الآية : 16.

341 -سورة الإسراء، الآية : 78-79.

قال الإمام النووي[342] رحمه الله في التبيان: «فصل: في الأوقات المختارة للقراءة؛ اعلم أن أفضل القراءة ما كان في الصلاة، ومذهب الشافعي وغيره أن تطويل القيام في الصلاة أفضل من تطويل السجود، وأما القراءة في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل، والنصف الأخير من الليل أفضل من النصف الأول، والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة، وأما القراءة في النهار فأفضلها بعد صلاة الصبح، ولا كراهة في القراءة في وقت من الأوقات لمعنى فيه»[343].

الوسيلة الرابعة: التفاعـــل العملـــي

ومن عوامل التدبر أن يتجاوب القارئ مع القرآن الذي يتلوه، ويتفاعل بعقله وقلبه مع التلاوة، بأن يكون في حالة حضور ويقظة واستجابة لا حالة غيبة وغفلة وإعراض. وصفة ذلك: أن يشتغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي ويعتقد قبول ذلك. فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مر بآية رحمة استبشر وسأل، أو آية عذاب أشفق وتعوذ، أو آية تنزيه نزه وعظم، أو آية دعاء تضرع وطلب.

---

[342] –محيي الدين أبو زكريا يحي بن شرف الحوراني الشافعي النووي (631هـ-676هـ/ 1234-1278م)، كان إماماً بارعاً حافظاً أتقن علوماً شتى، ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية، من مؤلفاته: تهذيب الأسماء واللغات، المنهاج في شرح مسلم، التقريب والتيسير في مصطلح الحديث. (الأعلام، ج: 8، ص: 149).

[343] –التبيان في آداب حملة القرآن: يحي النووي، ص: 86.

قال حذيفة رضي الله عنه: «صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، فافتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ...»[344]، ومن ذلك ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول (آمين) بعد قوله تعالى ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[345]، ومن ذلك البكاء عند سماع القرآن؛ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : «(اقرأ علي القرآن)، قلت: آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: (نعم، فقرأت سورة النساء حتى أتيت لهذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[346]، قال: حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان»[347].

قال الإمام النووي رحمه الله: «ويستحب للقارئ إذا مر بآية رحمة أن يسأل الله تعالى من فضله وإذا مر بآية عذاب أن يستعيذ بالله من الشر أو من العذاب أو يقول: «اللهم إني أسألك العافية

---

[344]–صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، ح: 793.

[345] –سورة الفاتحة، الآية: 07.

[346] –سورة النساء، الآية: 41.

[347] –صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب قول المقرئ للقارئ حسبك، ح: 5050.

أو أسألك المعافاة من كل مكروه» أو نحو ذلك، وإذا مر بآية تنزيه الله تعالى نزه فقال: سبحانه وتعالى، أو تبارك وتعالى أو جلت عظمة ربنا»[348].

الوسيلة الخامسة: الرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة

وذلك لمعرفة المعنى الإجمالي للآيات، والنظر إلى أقوال أهل العلم الواردة فيها، فقد حوت تلك الكتب كثيراً من تفاسير السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم، فالرجوع إليها عون على تدبر آيات الكتاب وفهمه الفهم السليم.

كما أن معرفة أسباب النزول تعدُّ من الأمور المهمة في تدبر القرآن الكريم؛ لأن نزول كثير من الآيات قد ارتبط بمناسبات ووقائع معينة، ومن المهم أن تفهم الآيات في ضوئها ليسهل تنزيلها على الواقع الحالي للمسلم. بالإضافة إلى المطالعة في الكتب المتخصصة في التدبر لأنها تُطلع قارئها على تجارب سابقيه، وتحفزُ همته للحاق بركبهم وتعطيه خلاصة ذلك.

الوسيلة السادسة: ربط الآيـات القرآنية بالواقـع

وذلك بالتفاعل مع كل آية واستشعار القارئ للقرآن أو المستمع له أنه المقصود بالخطاب، وأن كل خطاب في القرآن موجه إليه، وذلك بالنظر في المواعظ التي يذكرها والقصص التي يحكيها، وكيف أن الله أهلك أمماً كثيرة لما كذبوا وأعرضوا، وأن هذا المصير ينتظر كل من أعرض عن الله وكفر برسله،

[348]–التبيان في أدب حملة القرآن: يحي النووي، ص: 56.

مهما كانوا في قوة وعزة، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما قال المفسرون، وهي قاعدة مهمة حيث إن ما كان سبباً في نزول بعض آيات القرآن الكريم لا يقتصر على الحادثة فقط، وإنما تقاس عليه كل الحوادث المشابهة.

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم خير مثال للمؤمنين، فحينما يقرؤون القرآن كانوا يستعملون فيه ذهنهم وفهمهم، ويدركون أنهم المقصودون بالخطاب، وإن وقفة مع بعض أحوالهم يتبين بها ما كانوا عليه من حسن التعامل مع القرآن الكريم، فمن ذلك ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذينَ آمَنوا وَلَم يَلبِسوا إيمانَهُم بِظُلمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الأَمنُ وَهُم مُهتَدونَ﴾[349]، شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[350]»[351].

[349] –سورة الأنعام، الآية: 82.

[350] –سورة لقمان، الآية: 13.

[351] –صحيح البخاري، باب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين، ح 2542.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فأرعِها سمعك، فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه»[352]. وهذا لكونهم أخذوا القرآن للفهم والعمل، وأن كل ما فيه خطاب لكل من سمعه وبلغه، وليس المخاطب فيه قوم دون آخرين.

الوسيلة السابعة: العناية بتوجيه القراءات القرآنية

من المعلوم أن القراءات منها المتواتر والشاذ كما سبق وبينت، وقد دون العلماء هذه القراءات وحفظوا أسانيدها بحيث لا يمكن زيادة شيء على المتواتر أو النقص منه.

وظهر علم يتعلق بهذه القراءات وهو توجيه القراءات ويسمى علل القراءات أو الاحتجاج للقراءات، والمراد بهذا العلم بيان وجه القراءة في الأثر والعربية والمعنى ومعرفة الفروق بين القراءات المختلفة، وليس يعني هذا أن القراءات محتاجة إلى توثيق بل هي حجة كما ابن جني: «والقرآن يتخير له ولا يتخير عليه»[353].

والمراد هنا ما يتعلق بالمعنى؛ لأنه هو المؤثر في الفهم والتدبر، حيث يختلف المعنى باختلاف القراءة، وهذا يندرج تحت بيان القرآن بالقرآن، وقد وقفت على مجموعة من الكتب التي اعتنت بتوجيه القراءات، أذكر منها من كتب المتقدمين:

---

[352] –تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج: 03، ص: 487.

[353] –المحتسب: ابن جني، ج:01، ص: 53.

- الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ت 370هـ).
- معاني القراءات لأبي منصور الأزهر (ت 370هـ).
- الحجة للقراءات السبعة لأبي علي الفارسي (ت 377هـ).
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لأبي الفتح عثمان بني جني (ت 392هـ).
- الكشف عن وجوه القراءات السبعة وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب (ت 437).
- حجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن بن زنجلة (القرن الخامس).

ومن كتب المتأخرين:

- طلائع البشر في توجيه القراءات العشر لمحمد الصادق القمحاوي
- القراءات الشاذة وتوجيهها في لغة العرب لعبد الفتاح القاضي
- المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة لمحمد سالم محيسن.

وأما كتب التفسير، فالمطولات منها لا تخلو من توجيه القراءات؛ كتفسير ابن جرير الطبري وتفسير ابن عطية والقرطبي وأبي حيان والرازي والشنقيطي والطاهر بن عاشور وغيرهم.

❑ ❑ ❑

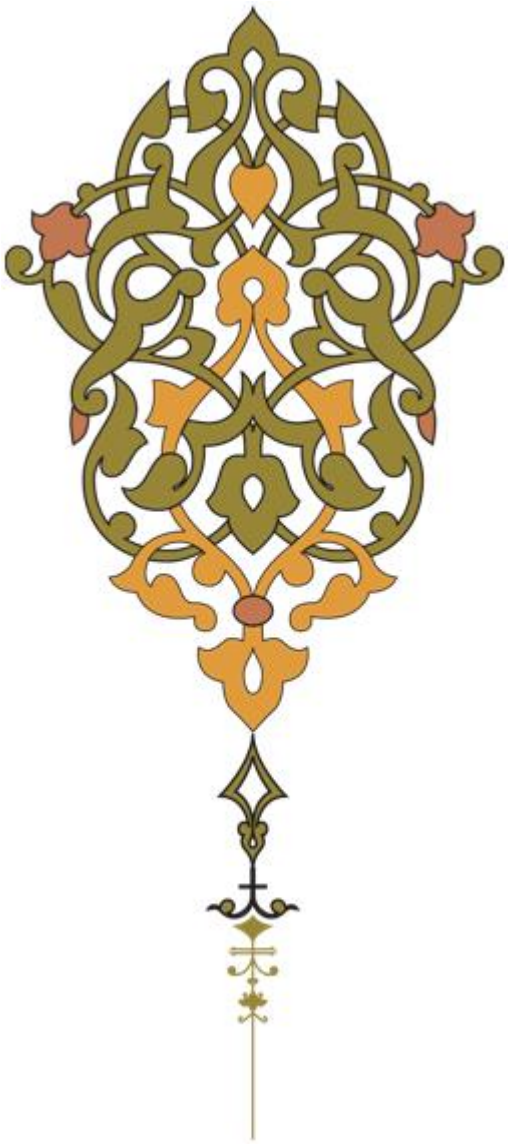

الباب الثاني

أثر القراءات القرآنية

في فهم القرآن الكريم وتدبره

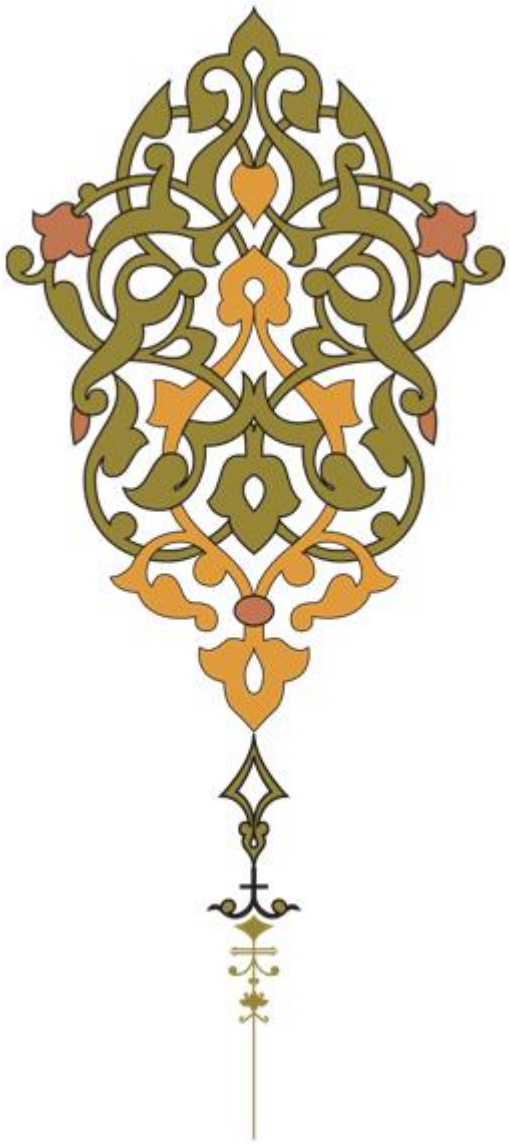

الفصل الأول

أثر القراءات في فهم القرآن الكريم وتدبره

من جهة اللغة والأسلوب

المبحث الأول: أثر القراءات المتعلقة بالالتفات والإجمال

المطلب الأول: القراءات المتعلقة بالالتفات

الالتفات لغة: التحول والانصراف من جهة إلى أخرى، يقال التفت عن الشيء: تحول وانصرف عنه، والتفت إليه إذا أراد وجهة نحوه.

وفي اصطلاح علماء البلاغة: هو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، من التكلم أو الخطاب أو الغيبة، إلى واحد من هذه الصيغ بعد التعبير بالأول.

قال السكاكي[354] رحمه الله: هو التعبير عن المعنى بطريق مخالف لمقتضى الظاهر من الطرق الثلاثة المتقدمة، سواء سبقه تعبير بطريق أخرى من هذه الطرق أو لا، كما في قول الشاعر: (إلهي عبدك العاصي أتاكا) فهذا التفات عند السكاكي لأنه تعبير عن المعنى بما يخالف مقتضى الظاهر، إذ مقتضاه أن يعبر بضمير التكلم لأن المقام له فيقال: (أنا العاصي) فالتعبير بالاسم الظاهر هنا مخالف لما يقتضيه ظاهر المقام، ولا يعتبر عند الجمهور لعدم وجود تعبير سابق عليه كما هو الشرط عندهم.

فالالتفات عند الجمهور حينئذ أخص منه عند السكاكي، فكل التفات عند الجمهور التفات عند السكاكي ولا عكس. وشرط الالتفات أمران:

[354] -يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب سراج الدين (555هـ-626هـ/ 1160-1229م)، عالم بالعربية والأدب، مولده ووفاته بخوارزم، من كتبه: مفتاح العلوم، رسالة في علم المناظرة.

الأول: أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى المنتقل عنه.

الثاني: أن يكون في جملتين، صرح به صاحب الكشاف وغيره.

وللالتفات فوائد كثير، أذكر منها:

تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجر، والملال، لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد، هذه فائدته العامة ويختص كل موضع بنكت ولطائف باختلاف محله.

قال صاحب الطراز[355]: «الالتفات من أجلِّ علوم البلاغة، وهو أمير جنودها، والواسطة في قلائدها وعقودها، ومعناه العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول، والانتقال من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القلوب عند السامع، وأكثر لنشاطه، وأعظم في إصغائه»[356].

وهذه الفوائد عامة للالتفات في جميع صوره، أما الفوائد الخاصة فتتعين في كل صورة حسب ما يقتضيه المقام.

---

[355] -يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلوي الطالبي (669هـ-745هـ/ 1270-1344م)، من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم في اليمن، ولد في صنعاء وأظهر الدعوة بعد وفاة (المهدي) محمد بن المطهر وتلقب بالمؤيد بالله واستمر إلى أن توفي في حصن هران، من تصانيفه: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، أطراق الحمامة في حمل الصحابة على السلامة. (الطراز: يحي العلوي، ج: 10، ص: 31).

[356] -الطراز: يحي العلوي، ج: 02، ص: 131.

والالتفات عند البلاغيين أقسام، وقع منها في القرآن الكريم[357]:

الأول: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، مثل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ.مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ .إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[358]. فالتفت من الغيبة إلى الخطاب، والفائدة في ذلك: أن العبد إذا ذكر الله تعالى وحده ثم ذكر صفاته التي تبعث كل صفة منها على شدة الإقبال، وآخرها (مالك يوم الدين) المفيد أنه مالك الأمر كله في يوم الجزاء يجد من نفسه حاملاً لا يقدر على دفعه على خطاب هذه الصفات بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، والكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب آخر كان أبعث للاهتمام وأدعى إلى الإصغاء والانتباه.

الثاني: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذي يُسَيِّرُكُم فِي البَرِّ وَالبَحرِ حَتّى إِذا كُنتُم فِي الفُلكِ وَجَرَينَ بِهِم بِريحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحوا بِها جاءَتها ريحٌ عاصِفٌ وَجاءَهُمُ الموجُ مِن كُلِّ مَكانٍ وَظَنّوا أَنَّهُم أُحيطَ بِهِم دَعَوُا اللَّهَ مُخلِصينَ لَهُ الدّينَ لَئِن أَنجَيتَنا مِن هذِهِ لَنَكونَنَّ مِنَ الشّاكِرينَ﴾[359]، والأصل: (وجرين بكم) ولكنه التفت من الخطاب إلى الغيبة لحكاية حالهم لغيرهم، والتعجب من كفرهم وفعلهم، واستدعاء الانكار منهم عليهم، فلو استمر على خطابهم لفاتت هذه الفائدة.

---

[357] –انظر: أصول في التفسير: محمد العثيمين، ص: 60 وما بعدها.

[358] –سورة الفاتحة، الآية: 1-5.

[359] –سورة يونس، الآية: 22.

الثالث: الالتفات من الغيبة إلى التكلم، مثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾[360]، والأصل: (فساقه)، والفائدة الالتفات في هذه الآية التنبيه على التخصيص بالقدرة، وأنه لا يدخل تحت قدرة أحد.

الرابع: الالتفات من التكلم إلى الغيبة، مثل قوله تعالى: ﴿ قُل يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّي رَسولُ اللَّهِ إِلَيكُم جَميعًا الَّذي لَهُ مُلكُ السَّماواتِ وَالأَرضِ لا إِلهَ إِلّا هُوَ يُحيي وَيُميتُ فَآمِنوا بِاللَّهِ وَرَسولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذي يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِماتِهِ وَاتَّبِعوهُ لَعَلَّكُم تَهتَدونَ﴾[361]، والأصل: (فآمنوا بالله وبي)، فعدل عن ذلك لفائدتين:

- دفع التهمة عن نفسه بالعصبية لها.
- تنبيههم على استحقاقه الاتباع بما اتصف به من الصفات المذكورة؛ من النبوة والأمية التي هي أكبر دليل على صدقه، وأنه لا يستحق الاتباع لذاته بل لهذه الخصائص.

[360] –سورة فاطر، الآية: 09.

[361] –سورة الأعراف، الآية : 158.

الخامس: الالتفات من التكلم إلى الخطاب، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[362]، والأصل: (وإليه أرجع)، فالتفت من التكلم إلى الخطاب، والفائدة أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه، وهو يريد نصح قومه تلطفا، واعلاما أنه يريد لهم ما يريد لنفسه، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله.

ويغلب أن يترتب الالتفات في القراءات على تلك الأوجه التي تتغاير قراءتها بين أحرف المضارعة (النون والتاء والياء) وهي أحرف تشير بحسب الإسناد إلى معاني التكلم والخطاب والغيبة على الترتيب، فكان ثمة مواضع يُقرأ فعلاها تارة بالنون معاً جرياً على مقتضى الظاهر، كما يقرأ أولهما بالنون والآخر بالياء تارة أخرى، فيكون ذلك صرفاً للكلام عن نسقه ووجهه على سبيل الالتفات من التكلم إلى الغيبة، وثمة مواضع أخرى يُقرأ فعلاها تارة بالياء معاً، كما يقرأ أولهما بالياء والآخر بالتاء تارة أخرى، فيترتب على ذلك التفات من الغيبة إلى الخطاب، وقل أن يترتب الالتفات في القراءات على غير هذه الأوجه القرائية. وفيما يأتي أمثلة لذلك حسب ترتيب الآيات في المصحف الشريف.

[362] –سورة يس، الآية: 22.

المثال الأول

قال الله تعالى: ﴿وَأَقسَموا بِاللَّهِ جَهدَ أَيمانِهِم لَئِن جاءَتهُم آيَةٌ لَيُؤمِنُنَّ بِها قُل إِنَّمَا الآياتُ عِندَ اللَّهِ وَما يُشعِرُكُم أَنَّها إِذا جاءَت لا يُؤمِنونَ ﴾[363].

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿إِذا جاءَت لا يُؤمِنونَ﴾:

فقرأ ابن عامر وحمزة: ﴿إِذا جاءَت لا تُؤمِنونَ﴾ بالتاء.

وقرأ بقية العشرة: ﴿إِذا جاءَت لا يُؤمِنونَ﴾ بالياء.[364]

المعنى على القراءة الأولـــــى:

﴿إِذا جاءَت لا تُؤمِنونَ﴾ بالتاء رجوع عن الغيبةِ إلى الخطابِ، وخطاب للمشركين الذين أقسموا، تبعاً لقوله تعالى: ﴿وَما يُشعِرُكُم﴾ للمؤمنين، والمعنى: وما يشعركم أيها الكفار أنها إذا جاءت تُؤمنون؟.

[363] –سورة الأنعام، الآية: 109.

[364] – السبعة: ابن مجاهد، ص: 265. وحجة القراءات، ص: 267.

المعنى على القراءة الثانيـة:

﴿إذا جاءَت لا يُؤمِنونَ﴾ بالياء على الغيبة، إخباراً عنهم، تبعاً لقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفئِدَتَهُم وَأَبصارَهُم﴾ ولم يقل ﴿أفئدتكم﴾، والمعنى: وما يدريكم أيها المؤمنون أن الآيات إذا جاءت يؤمن هؤلاء المقسمون؟ (وهم الكفار)[365].

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

الآية الكريمة تتحدث عن طبيعة كفار مكة بحلفهم بأشد الأيمان وأغلظها، لئن جاءتهم معجزة أو آية أو أمر خارق ليؤمنن به ولكن بينت الآية حقيقتهم وديدنهم وما جبلوا عليه.

وسبب الآية أن قريشاً قالت: يا محمد، تُخبرنا بأن موسى ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرةَ عيناً، وأن عيسى كان يُحيي الموتى، وأن ثمود كانت لهم ناقةٌ، فأتنا ببعض هذه الآيات حتى نصدقك، فقال: «أي شيء تحبون؟» فقالوا: اجعل لنا الصفا ذهباً، فوالله إن فعلته لنتبعنك أجمعون. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو، فجاءه جبريل عليه السلام، فقال: «إن شئت أصبح الصفا ذهبا، ولئن أرسل الله آية ولم يصدقوا عندها ليعذبنهم، فاتركهم حتى يتوب تائبهم»، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل يتوب تائبهم» فنزلت هذه الآية الكريمة[366].

---

[365] – الموضح، ج: 1، ص: 493.

[366] –انظر الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 08، ص: 494.

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن كل قراءة تؤكد الأخرى، فقراءة ﴿إذا جاءَت لا تُؤمِنونَ﴾ الخطاب موجه إلى المشركين والكفار، والمعنى وما يدريكم أيها الكفار المقترحون مجيء الآية الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أنها إذا جاءت تؤمنون، فالله طبع على قلوبكم.

وعلى قراءة ﴿إذا جاءَت لا يُؤمِنونَ﴾ الخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، والمعنى وما يدريكم أيها المؤمنون أن لو أنزل الله الآية التي طلبها الكفار أنهم يؤمنون، وهنا الالتفات من الخطاب إلى الغيبة للتأكيد على عدم الإيمان، فالآية الكريمة بمجموع القراءتين مقطوع بها في عدم إيمانهم لأن الله عز وجل ختم على قلوبهم. فمن حقت عليه العذاب لا يؤمن؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذينَ حَقَّت عَلَيهِم كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤمِنونَ. وَلَو جاءَتهُم كُلُّ آيَةٍ حَتّى يَرَوُا العَذابَ الأَليمَ﴾[367]، وقال سبحانه: ﴿قُلِ انظُروا ماذا فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ وَما تُغنِي الآياتُ وَالنُّذُرُ عَن قَومٍ لا يُؤمِنونَ﴾[368].

[367] –سورة يونس، الآية: 97.

[368] –سورة يونس، الآية : 101.

المثال الثاني

قال الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[369].

تنوعت القراءات في كلمة ﴿يَبْغُونَ﴾:

فقرأ ابن عامر: ﴿تَبْغُونَ﴾ بالتاء.

وقرأ بقية العشرة: ﴿يَبْغُونَ﴾ بالياء.[370]

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿تَبْغُونَ﴾ بالتاء، أي: قل لهم يا محمد: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ تَبْغُونَ﴾؟ والمعنى: أيبغي هؤلاء اليهود الذين احتكموا إليك حكم الجاهلية؟ يعني: أحكام عبدة الأوثان من أهل الشرك، وعندهم كتاب الله فيه بيان حقيقة الحكم الذي حكمت به فيهم، وأنه الحق الذي لا يجوز خلافه.

وقد كانوا في الجاهلية يجعلون حكم الشريف خلاف حكم الوضيع، وكانت اليهود تُقيم الحدود على الضعفاء الفقراء، ولا يقيمونها على الأقوياء الأغنياء؛ فضارَعوا الجاهلية في هذا الفعل[371].

---

[369] –سورة المائدة، الآية: 50.

[370] – حجة القراءات، ص: 228. البدور الزاهرة، ص: 93. معجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، ج2، ص: 288.

[371] –الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 08، ص: 43.

المعنى على القراءة الثانيـة:

﴿يَبْغُونَ﴾ بالياء، تحقق المشاكلة مع أسلوب الغائب المتقدم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾[372]، فيرتبط بعض الكلام ببعض، ويطابق آخره أولَه، ويكون معنى الآية: أيطلب هؤلاء اليهود حكم عبادة الأوثان؟[373].

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـن:

تشير الآيات الكريمة من سورة المائدة إلى موقف اليهود من حكم الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم، إذ لم يرضوا بحكمه القسط، أيبغي هؤلاء اليهود حكم الجاهلية؟ يعني أحكام عبدة الأوثان من أهل الشرك، وعندهم كتاب الله فيه بيان حقيقة الحكم الذي حكم به فيهم[374]، والاستفهام للانكار والتوبيخ.

وسياق الآيات بالكلام وفق أسلوب الغيبة في قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾[375]، ثم التفت فغير أسلوب الكلام من الغيبة إلى

---

[372] –سورة المائدة، الآية: 49.

[373] – الموضح: ج: 1، ص: 442-443.

[374] –جامع البيان: الطبري، ج: 06، ص: 274.

[375] –سورة المائدة، الآية: 49.

الخطاب، والمخاطب هنا أهل الكتاب وهم أهل علم وفهم، فحسن توبيخهم ولومهم لصدهم عن حكم الله وهم يعلمونه[376].

وقد أحدث أسلوب الالتفات في قولــه: (تَبْغُون) هزة شديدة في سياق الأسلوب، وكأنه يقول لهم: أأنتم ذوو بصائر؟ أأنتم تريدون حكم الجاهلية بما تحمله من انحدار الإنسان وطيشه، حتى إذا ما اعتدل الأمر برسالة الإسلام تودون أن تعودوا لسابق أيامكم... وهذا الفيض من المعاني والتقريع والاستنكار تُحققه بلاغة الالتفات، فيكون لهذه القراءة فوائد تدبرية غير القراءة الأخرى ولو أن الإنكار في الآية يتحقق بهمزة الاستفهام في قوله: (أفحكم) على كلتا القراءتين، ولكن قراءة التاء آثرت المواجهة به، وكأن اليهود حاضرون يستمعون إلى ردعهم وزجرهم، زيادة في توبيخهم والتسجيل عليهم.

وفي الآية الكريمة ذم التحاكم لأعراف وأحكام أهل الجاهلية، وبيان لوجوب تحكيم شرع الله عز وجل والإعراض عما عداه من الأهواء الذين لا يقبلون إلا ما يوافق أهواءهم وإن كان باطلاً.

كما يتبين لنا من قراءة الخطاب التي لفتت الأنظار إلى خطر من يستبدل بحكم الله حكم الجاهلية، واستنكرت ذلك، وعظمت من شأنه، في حين شاكلت قراءة الغيبة بين أجزاء الكلام كما سبقت الإشارة فسارت على نمطٍ واحد من التشاكل والربط، فلكل قراءةٍ أثر واضح في الفهم والتدبر.

376 –انظر: إبراز المعاني من حرز الأماني: أبو شامة، ص: 95.

المثال الثالث

قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا.لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[377].

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا﴾ و﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ و﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ و﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾:

فقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿لِّيُؤْمِنُوا﴾ و﴿وَيُعَزِّرُوهُ﴾ و﴿وَيُوَقِّرُوهُ﴾ و﴿وَيُسَبِّحُوهُ﴾ بالياء على الغيبة.

وقرأ بقية العشرة: ﴿لِّتُؤْمِنُوا﴾ و﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ و﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ و﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ بالتاء على الخطاب[378].

المعنى على القراءة الأولـــى:

بالياء؛ الكلام على الإخبار عن القوم؛ لأن ما قبله ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ يعني: بعثناك شاهداً بالبلاغ إلى أمتك ومبشراً لمن أجابك بالجنة ونذيراً للكفار من النار، والإرسال يقتضي مرسلاً إليهم، كأنه قال: أرسلناك إليهم ليُؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه[379]ويوقوره[380].

---

[377] –سورة الفتح، الآية: 8–9.

[378] – حجة القراءات، ص: 671–672. البدور الزاهرة، ص: 299.

[379] –يعزروه: العزر: النصر بالسيف. وعزره عزراً وعزَّره: أعانه وقواه ونصره، وأصل التعزير المنع أو الرد (انظر لسان العرب: ابن منظور).

[380] –يوقروه: قال ابن منظور رحمه الله: «ووقَّر الرجل بجَّله. والتوقير: التعظيم والرزين» (انظر لسان العرب: ابن منظور، ج: 5، ص: 291).

ثم إن الخطاب بتوقير النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون مع النبي صلى الله عليه وسلم[381]. وهكذا يكون المعنى إنا أرسلناك ليؤمنوا بالله وبك، أي: إنا أرسلناك يا محمد شاهداً عليهم ومبشراً بالجنة ونذيراً من النار ليؤمن بك من آمن ويعزروك.

المعنى على القراءة الثانيـــة:

بالتـاء؛ أي: الخطاب للمرسل إليهم بعد مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم، إذ قال له: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ ثم صرف الخطاب بعد ذلك إلى المرسل إليهم فقال: ﴿لِّتُؤْمِنُوا﴾، والمعنى: فعلنا ذلك لتؤمنوا أيها الناس بالله ورسوله، فكأن الخطاب على هذه القراءة مجدد لمن أرسل إليهم بعد مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم.

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

أفادت الآية الكريمة على قراءة ﴿لِّتُؤْمِنُوا﴾ أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته، قـال البيضاوي رحمه الله: «الخطاب هنا للنبي صلى الله عليه وسلم والأمة، أو لهم على أن خطابه منزل منزلة خطابهم»[382]. وعلى قراءة ﴿لِّيُؤْمِنُوا﴾ أن الخطاب للأمة وحدها، قـال الشوكاني رحمه الله:

[381] -الموضح: ج: 3، ص: 1188-1189.

[382] -أنوار التنزيل: البيضاوي، ج: 05، ص: 201.

«فعلى القراءة الأولى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمته، وعلى القراءة الثانية المراد المبشرين والمنذرين»[383].

وأما قوله تعالى: ﴿وَيُعَزِّرُوهُ﴾ و﴿وَيُوَقِّرُوهُ﴾ بالياء على الغيب بأن الخطاب للأمة في كل زمان ومكان، سواء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أو بعد وفاته. وبالتاء ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ و﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ فيهما الخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته، والخطاب بالحاضر فيه إشعار بأنه موجه بشكل خاص لمن يحضرون رسول الله عليه وسلم، فإذا كانت نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة ولازمة في كل زمان ومكان، فهي من باب أولى وأوجب وألزم في زمنه صلى الله عليه وسلم.

وهذا على رأي من قال بأن الضمير عائد للرسول صلى الله عليه وسلم، قال البغوي رحمه الله: «هذه الكنايات راجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتسبحوه؛ أي: تسبحوا الله تعالى، يريد تصلوا له»[384]. وعلى رأي من قال بأن الضمير عائد لله تعالى فيهما يكون الخطاب على قراءة الياء موجه للأمة، وعلى قراءة التاء يكون الخطاب فيهما موجه للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته، قال الشوكاني رحمه الله: «وقيل الضمائر كلها في الأفعال الثلاثة عائدة لله عز وجل»[385].

---

[383] -فتح القدير: الشوكاني، ج: 05، ص: 58.

[384] -معالم التنزيل: البغوي، ج: 05، ص: 103.

[385] -فتح القدير: الشوكاني، ج: 5، ص: 58.

وأما قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُوهُ﴾ بالياء فالضمير عائد إلى الله تعالى، والخطاب وجه للأمة، وبالتاء ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ الخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته، وبالجمع بينهما يتبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته مأمورون بتسبيح الله عز وجل وتنزيهه عن كل قبيح. قال القرطبي رحمه الله: «وفي ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ وجهان: أحدهما: تسبيحه بالتنزيه له سبحانه من كل قبيح. والثاني: هو فعلُ الصلاة التي فيها التسبيح»[386].

فذكر الله عز وجل في هذه الآية الكريمة الحق المشترك بين الله وبين رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو الإيمان بهما، والمختص بالرسول؛ وهو التعزير والتوقير، والمختص بالله؛ وهو التسبيح له والتقديس بصلاة أو غيرها بالغداة والعشيّ.

[386] -الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 19، ص: 305.

المطلب الثاني: القــراءات المتعلقة بالإجمــال

المجمل لغة: اسم مفعول من أجمل الشيء إذا جمعه حتى اختلط بعضه ببعض فلم تتضح تفاصيله، ومعناه: الموجز[387]. واصطلاحاً: ما لم تتضح دلالته[388]، أو هو اللفظ الذي لا يدل بصيغته على المراد منه، ويتوقف إدراكه على بيان من الشارع نفسه[389].

وقد أجمل السيوطي رحمه الله أسباب الإجمال في ما ملخصه:

- الاشتراك: كما في قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[390]، فإن القرء موضوع للطهر والحيض.
- الحـذف: كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾[391]، فيحتمل المحذوف أن يكون (في) أو (عن).
- اختلاف مرجع الضمير: كما في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[392]، فالضمير في يرفعه يحتمل عوده على الضمير في (إليه) العائد عليه سبحانه وتعالى، ويحتمل أن يعود للعمل.

---

387 -المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، ص: 136.

388 -الإتقان، ج: 02، ص: 18.

389 -المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية: شعبان محمد إسماعيل، ج: 01، ص: 488.

390 -سورة البقرة، الآية: 228.

391 -سورة النساء، الآية: 127.

392 -سورة فاطر، الآية: 10.

- احتمال العطف والاستئناف: كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ﴾[393].
- غرابة اللفظ: كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾[394].
- عدم كثرة الاستعمال الآن: كما في قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾[395] أي متكبراً.
- التقـــديم والتأخير: كما في قوله تعالى: ﴿يَسأَلونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنها﴾[396] أي: يسألونك عنها كأنك حفيٌّ.
- التكرير القاطع لوصل الكلام في الظاهـــر: كما في قوله تعال: ﴿لِلَّذينَ استُضعِفوا لِمَن آمَنَ مِنهُم﴾[397].

وبعد تحديد مفهوم الإجمال وأسبابه، أسوق بعض الأمثلة للقراءات القرآنية التي جاءت على هذا النحو ولها أثر بين وواضح على فهم القرآن الكريم وتدبر معانيه، وقد أوردت الآيات الكريمة حسب ترتيبها المصحف الشريف.

---

393 –سورة آل عمران، الآية : 07.

394 –سورة البقرة، الآية: 232.

395 –سورة الحج، الآية : 09.

396 –سورة الأعراف، الآية : 178.

397 –سورة الأعراف، الآية: 75.

المثال الأول

قال الله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[398].

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾:

فقرأ حمزة: ﴿فَأَزَالَهُمَا﴾.

وقرأ بقية العشرة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾[399].

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿فَأَزَالَهُمَا﴾ بالألف، أي: نحاهما عن الحال التي كانا عليها، من قول القائـل: (أزال فلان فلاناً عن موضعه) إذا نحاه عنه وزال هو. إذ الإزالة نقيض الثبات، وحجة هذه القراءة قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[400] أي: أثبتا في الجنة فثبتا فأزالهما الشيطان، فحصل في ذلك مقابلة الثبات بالزوال الذي

---

[398] –سورة البقرة، الآية: 36.

[399] –النشر، ج: 2، ص: 158. حجة القراءات، ص: 94.

[400] –سورة البقرة، الآية: 35.

هو خلافه؛ لأن الثبات في المكان استقرار فيه، والزوال مفارقة عنه، ويقوي ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾؛ لأن الإخراج قريبُ المعنى من الإزالة[401].

المعنى على القراءة الثانيــة:

﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ مشددة اللام من غير ألف، تحتمل معنيين:

الأول: أزلَّ بمعنى اسْتَزَلَّ، أي: طلب زلَّتهما؛ قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «الزَّلة في الأصل استرسال الرِّجل من غير قصدٍ. يقال: زَلَّتْ رِجْلٌ تَزِلُّ. والمزِلَّة: المكان الزَّلِقُ. وقيل للذنب من غير قصدٍ: زلَّة، تشبيهاً بزَلَّة الرِّجْل، واسْتَزَلَّه إذا تحرَّى زَلَّته»[402]. فيكون المعنى: أوقعهما في الزلل والخطيئة عن طريق التزيين لهما، يدل على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَوَسوَسَ لَهُمَا الشَّيطانُ لِيُبدِيَ لَهُما ما ووريَ عَنهُما مِن سَوآتِهِما وَقالَ ما نَهاكُما رَبُّكُما عَن هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلّا أَن تَكونا مَلَكَينِ أَو تَكونا مِنَ الخالِدينَ﴾[403]، ونسب الفعل إلى الشيطان لأنهما زلاَّ بإغواء الشيطان إياهما فصار كأنه أزلهما.

---

401 -الموضح، ج: 1، ص: 268.

402 -مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، 381.

403 -سورة الأعراف، الآية : 20.

والثاني: أن يكون أزلهما من زل عن المكان: إذا تنحى عنه، فيكون حينئذٍ قريباً في المعنى من أزالهما وأخرجهما[404].

الأثر التدبري المتحصل من القراءتيـــن:

تتحدث الآية الكريمة عن زلة آدم عليه السلام ونسيانه أمر ربه بالأكل من الشجرة المحرمة وما أعقبه من إبعاد وإخراج من الجنة إلى الأرض والعداوة بينه وبين إبليس إلى يوم القيامة. وبالجمع بين القراءتين يتبين أن الشيطان أوقعهما في الزلة من خلال الوسوسة لهما بالأكل من الشجرة المحرمة فكانت النتيجة أن أخرجهما من الجنة، قال القرطبي رحمه الله: «والوسوسة إنما هي إدخالهما في الزلل بالمعصية وليس للشيطان قدرة على زوال أحد من مكان إلى مكان إنما قدرته على إدخاله في الزلل فيكون ذلك سبباً إلى زواله من مكان إلى مكان بذنبه»[405]. والآية دليل على جواز نسبة الفعل إلى الشيطان لا لأنه الفاعل له حقيقة، بل لأنه كان سبباً في الفعل، وهذه النسبة لسببين: **الأول**: أن الشيطان بوسوسته كان سبباً في هذا الفعل المحظور. **والثاني**: تأدباً مع الله عز وجل وتحرزاً من نسبة الشر إليه،

[404] -الموضح، ج: 1، ص: 269.

[405] -الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 01، ص: 312.

ونظير هذا قول الله عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[406].

وفي الآية الكريمة دلالة على وقوع الوسوسة من الشيطان، وأن الواجب على المسلم أن يحذر من كيد الشيطان ووسوسته، وفي قراءة حمزة دليل على أن كيد الشيطان يتعدى مجرد الوسوسة إلى المكر المؤدي إلى الوقوع في المحظور، قال تعالى: ﴿ وَقالَ ما نَهاكُما رَبُّكُما عَن هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلّا أَن تَكونا مَلَكَينِ أَو تَكونا مِنَ الخالِدينَ . وَقاسَمَهُما إِنّي لَكُما لَمِنَ النّاصِحينَ﴾[407].

وفي الآية الكريمة كذلك دليل على سنة إلهية عظيمة؛ وهي أن للمعصية أثراً يترتب عليها، فإخراج آدم عليه السلام وزوجته من الجنة كان بسبب معصية ظلما بها أنفسهما، وهذا في الدنيا وأما في الآخرة فقد عفا الله عنهما لما من عليهما بالتوبة النصوح، قال تعالى: ﴿وَعَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى.ثُمَّ اجتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيهِ وَهَدى﴾[408]. قال القرطبي رحمه الله: «لم يكن إخراج الله تعالى آدمَ من الجنة وإهباطه منها عقوبةً له؛ لأنه أهبطه بعدَ أن تابَ عليه وقبلَ توبته، وإنما أهبطه إما تأديباً، وإما تغليظاً للمحنة، والصحيحُ في إهباطه وسُكناه في الأرض ما ظهر من الحكمة الأزلية في ذلك، وهي نشر نسله فيها ليكلفهم ويمتحنهم، ويرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الأخروي، إذ الجنة والنار ليستا بدار

---

[406] –سورة ص، الآية: 41.

[407] – سورة الأعراف، الآية: 20-21.

[408] –سورة طه، الآية: 121-122.

تكليف، فكانت تلك الأكلةُ سببَ إهباطه من الجنة، ولله أن يفعلَ ما يشاء، وقد قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[409]، وهذه منقبة عظيمة وفضيلة كريمة شريفة، وقد تقدمت الإشارةُ إليها مع أنه خُلِقَ من الأرض، وإنما قلنا: إنما أهبطه بعد أن تاب عليه لقوله ثانيةً: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا﴾[410]»[411].

وذكر الحسن الفارسي[412] رحمه الله في سياق الحديث عن هذه الآية فائدة في الجمع بين الوقوع في الزلل والإخراج من الجنة، فقال: «فإن قيل: إذا قُرئ: ﴿فَأَزَالَهُمَا﴾، وجاء بعده ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾، هل يكون هذا تكريراً؟ إذا كان التكرير يحمل جديداً فهو حسن؛ ألا ترى أنه يجوز أن يُزيلَهما عن المكان الذي كانا فيه، ولا يُخْرِجَهما عما كان فيه من الرفاهية ورغد العيش، فصار قوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾، يفيد أنهما زالا من الجنة، وخرجا مما كان فيه من الرفاهية ورغد العيش.

ثم إن التكرير في مثل هذا الموضع لتفخيم القصة، وتعظيمها بألفاظٍ مختلفة، فليس بمكروه، ولا يَجْتَنبه الفصيح، بل هو مستجبٌ واردٌ على ألسنة الفصحاء»[413].

---

409 -سورة البقرة، الآية : 30.

410 -سورة البقرة، الآية: 38.

411 -الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 01، ص: 476.

412 -الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي أبو علي (288هـ-377هـ/ 900-987م)، أحد الأئمة في علم العربية، ولد في فسا (من أعمال فارس) ودخل بغداد سنة 307هـ وتجول في كثير من البلدان، وقدم حلب سنة 341هـ فأقام مدة عند سيف الدولة، وعاد إلى فارس ثم رحل إلى بغداد فأقام إلى أن توفي بها، من كتبه: التذكرة، الحجة، المقصور والممدود. (الأعلام، ج: 2، ص: 179).

413 -الحجة، ج: 2، ص: 236.

المثال الثاني

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾[414].

وقال تعالى: ﴿وواعَدنا موسى ثَلاثينَ لَيلَةً وَأَتمَمناها بِعَشرٍ فَتَمَّ ميقاتُ رَبِّهِ أَربَعينَ لَيلَةً وَقالَ موسى لِأَخيهِ هارونَ اخلُفني في قَومي وَأَصلِح وَلا تَتَّبِع سَبيلَ المُفسِدينَ﴾[415].

وقال تعالى: ﴿وَواعَدناكُم جانِبَ الطّورِ الأَيمَنَ وَنَزَّلنا عَلَيكُمُ المَنَّ وَالسَّلوى﴾[416].

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿وَاعَدْنَا﴾:

فقرأ أبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب: ﴿وَعَدْنَا﴾ بغير ألف.

وقرأ بقية العشرة ﴿وَاعَدْنَا﴾ بالألف[417].

المعنى على القراءة الأولى:

﴿وَعَدنَا﴾[418] بغير ألف؛ مأخوذة من الوعد، الذي هو من الله عز وجل لموسى عليه السلام، فالفعل مضاف إليه وحده، وظاهر اللفظ فيه وعد من الله عز وجل لموسى عليه السلام، وليس فيه وعد من

---

[414] –سورة البقرة، الآية : 51.

[415] –سورة الأعراف، الآية : 142.

[416] –سورة طه، الآية: 80.

[417] –النشر، ج: 2، ص: 1159. حجة القراءات، ص: 96.

[418] –وأكثر ما في القرآن الكريم من هذا اللفظ قد جاء على وَعَدَ دون وَاعَدَ نحو: ﴿وعد الله الذين آمنوا﴾ و﴿ألم يعدكم ربكم﴾ و﴿وإذ يعدكم الله﴾ و﴿وعدكم الله مغانم﴾، الموضح، ج: 1، ص: 274-275.

موسى عليه السلام. قال مكي بن أبي طالب رحمه الله: «وعلة من قرأ بغير ألف إجماعهم على قوله: ﴿أَلَمَ يَعِدكُم﴾[419]، ولم يقل (يواعدكم)، فالوعد من الله جل وعز وعد لموسى عليه السلام. وأيضا فإن المفاعلة أكثر ما تكون من اثنين بين البشر، والوعد كان من الله عز وجل وحده لموسى عليه السلام فهو منفرد بالوعد والوعيد، وعلى ذلك جاء القرآن...»[420].

المعنى على القراءة الثانيـــة:

﴿وَاعَدْنَا﴾ بالألف؛ مشتقة من المواعدة على صيغة المفاعلة، والمواعدة كانت من الله عز وجل ومن موسى عليه السلام؛ فكانت من الله عز وجل أنه واعد موسى عليه السلام لقاءه على الطور ليكلمه ويكرمه بمناجاته، وواعد موسى عليه السلام ربه المصير إلى الطور لما أمره به.

قـال الدكتور محيسن رحمه الله: «وقرأ الباقون ﴿واعدنا﴾ بألف بعد الواو من المواعدة، فالله سبحانه وتعالى وعد موسى الوحي على الطور، وموسى وعد الله المسير لما أمره به»[421].

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

[419] –سورة طه، الآية: 86.

[420] –انظر كتاب الكشف، ج: 01، ص: 239.

[421] –القراءات وأثرها في علوم العربية: محمد سالم محيسن، ج: 01، ص: 29.

لما أتم الله عز وجل نعمته على بني إسرائيل بالنجاة من عدوهم، وتمكينهم في الأرض، أراد تبارك وتعالى أن يتم نعمته عليهم بإنزال الكتاب الذي فيه الأحكام الشرعية والعقائد المرضية، فواعد موسى ثلاثين ليلة وأتمها بعشر فصارت أربعين ليلة، ليستعد موسى عليه السلام ويتهيأ لوعد الله، ويكون لنزولها موقع كبير لديهم وتشوق إلى إنزالها.

والآية الكريمة على قراءة المد دليل على أن الله عز وجل تكررت مواعدته لموسى عليه السلام؛ إذا المفاعلة تقتضي تكرر الفعل من فاعلين. وفي الآية كذلك دلالة على إمتثال الأنبياء عليهم السلام لأمر ربهم وفرحهم بلقائه. قال الفخر الرازي رحمه الله: «فأما بغير ألف فوجهه ظاهر لأن الوعد كان من الله تعالى والمواعد مفاعلة لابد لها من اثنين، وأما بالألف فله وجوه:

أحدها: أن الوعد وإن كان من الله تعالى فقبوله كان من موسى عليه السلام وقبول الوعد يشبه الوعد لأن القابل للوعد لا بد وأن يقول أفعل ذلك.

وثانيهما: لا يبعد أن يكون الآدمي يعد الله ويكون معناه يعاهد الله. وثالثهما: أنه أمر جرى بين اثنين فجاز أن يقال واعدنا. ورابعهما وهو الأقوى: أن الله تعالى وعده بالوحي وهو وعد الله المجيء للميقات إلى الطور»[422].

[422] -مفاتيح الغيب: الفخر الرازي، ج: 02، ص: 78.

وقال الزجاج رحمه الله: «﴿وَاعَدْنَا﴾ هاهنا بالألف جيّدٌ، لأن الطاعة في القبول بمنزلة المواعدة، فمن الله جل وعز وعد، ومن موسى قَبولٌ واتباعٌ يجري مجرى المواعدة»[423].

والآية الكريمة على قراءة القصر كذلك دلالة على المكانة العالية التي حظيت بها توارة موسى عليه السلام، ويأيد هذا قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[424].

وفي آية سورة طه: الوعد والمواعدة كانت لموسى عليه السلام خاصة، وعدي الضمير فيها إلى بني إسرائيل لأن المقصد الأهم من هذه المواعدة هو إنزال الشريعة التي يكون بها صلاحهم، وفي تخصيصهم بلفظ المفاعلة دلالة على قربهم من الله عز وجل وتفضيلهم على أهل زمانهم، وإلا فأمة محمد صلى الله عليه وسلم خير منهم؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[425].

وتفيد الآية الكريمة أن النبوة منحة إلهية يختص الله بها من يشاء من عباده، وهذا ما أفادته قراءة القصر، وعليه فموسى عليه السلام لم يطلب اللقاء؛ إذ العرب تطلق الوعد على ما كان من غير طلب، ولكن الله اختصه بذلك.

---

[423] –معاني القرآن: الزجاج، ج: 01، ص: 133.

[424] –سورة المائدة، الآية: 44.

[425] –سورة آل عمران، الآية: 110.

ويؤكد هذا قول الله عز وجل بعدها: ﴿قالَ يا موسى إِنِّي اصطَفَيتُكَ عَلَى النّاسِ بِرِسالاتي وَبِكَلامي فَخُذ ما آتَيتُكَ وَكُن مِنَ الشّاكِرينَ﴾[426].

[426] –سورة الأعراف، الآية : 144.

المثال الثالث

قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[427].

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿مُوَلِّيهَا﴾:

فقرأ ابن عامر الشامي: ﴿مُوَلاهَا﴾ بالألف.

وقرأ بقية العشرة: ﴿مُوَلِّيهَا﴾ بالياء[428].

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿مُوَلاهَا﴾ هذه القراءة على البناء للمفعول، وهي تحتمل وجهين من التأويل:

الوجــه الأول: أنها لما جاءت على ما لم يسم فاعله عدي الفعل إلى مفعولين: أحدهما قام مقام الفعل مستتراً في مولاها، وهو ضمير (هو)، والآخر: الهاء في مولاها تعود على الوجهة والضمير (هو) ضمير اسم الجلالة وإن لم يذكر، إذ معلوم أن الله عز وجل فاعل ذلك، والمعنى: لكل صاحب ملة قبلة الله موليها إياه، أي: موجهه إليها.

---

[427] –سورة البقرة، الآية: 148.

[428] –النشر، ج: 2، ص: 168. حجة القراءات، ص: 117. الموضح، ج: 1، ص: 304.

والوجـــه الثاني: أنه لما لم يسند الفعل إلى فاعل بعينه جاز أن يكون الضمير المرفوع عائداً لكبرائهم وسادتهم ومن يقوم مقامهم، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾[429].

المعنى على القراءة الثانيـــة:

﴿مُوَلِّيهَا﴾ هذه القراءة على البناء للفاعل، وهي تحتمل وجهين من التأويل:

الأول: أن يكون الضمير المرفوع (الفاعل) عائداً على المتولي، ويكون التقدير: هو موليها نفسه، والضمير (هو) عائد على لفظ (كل) لا على معناه؛ لأنه لو كان على المعنى لقال: هم مولوها وجوههم، وهذا هو المعنى الأشهر على هذه القراءة.

والثاني: أن يكون الضمير المرفوع هو اسم الجلالة، والتقدير: ولكل وجهة الله موليها، فيكون المعنى من قبيل القراءة الأولى.

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

أفادت الآية الكريمة على قراءة ﴿مُوَلاهَا﴾ أن أي فعل يفعله العبد إنما يفعله بأمر الله وإرادته، وأي وجهة يتوجه إليها إنما توجهها بأمر الله عز وجل وإرادته.

---

[429] –سورة الأحزاب، الآية: 67.

وعلى قراءة ﴿مُوَلِّيهَا﴾ أن للعبد إرادة واختياراً، فله أن يولي وجهه لأي قبلة شاء، فأي فعل يفعله ينسب إليه على الحقيقة، وأي وجهة يولي وجهه إليها هو محاسب عليها، ولذلك جاء بعدها قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[430]، ويستدل بهذه الآية الشريفة على الإتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل، كالصلاة في أول وقتها، والمبادرة إلى إبراء الذمة من الصيام والحج والعمرة وإخراج الزكاة والإتيان بسنن العبادات وآدابها.

والآية الكريمة بقراءتيها دلت على أن للعبد إرادة واختياراً، فله أن يولي وجهه لأي قبلة شاء، فالله بين له طريق الرشاد، فإن شاء سلكه وهذا ما أفادته قراءة الجمهور، على أن هذه الإرادة داخلة تحت إرادة الله عز وجل، فمن شاء هداه، ومن شاء أضله، وهذا ما أفادته قراءة ابن عامر رحمه الله.

ونظير ذلك قول الله عز وجل: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ.وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[431]، وقوله تعالى: ﴿وَقالُوا الحَمدُ لِلَّهِ الَّذي هَدانا لِهذا وَما كُنّا لِنَهتَدِيَ لَولا أَن هَدانَا اللَّهُ﴾[432].

[430] –سورة البقرة، الآية: 148.

[431] –سورة التكوير، الآية: 28-29.

[432] –سورة الأعراف، الآية: 43.

المبحث الثاني: أثر القراءات المتعلقة بالمفاعلة والتكثير

المطلب الأول: القراءات المتعلقة بالمفاعلة

قد ينتج تنوع القراءات القرآنية في الآية الواحدة أن تأتي الآية القرآنية على قراءة تدل على مجرد حدوث الفعل، وتأتي على قراءة أخرى تفيد المشاركة في ذلك في الفعل، فتأتي مثلاً على صيغة (فاعل)[433] أو (تفاعل)[434] على قراءة، وتأتي على غير هذه الصيغة على قراءة أخرى.

وسأذكر في هذا المطلب أمثلة للقراءات القرآنية التي جاءت على هذا النحو وأثرت في فهم القرآن الكريم وتدبر معانيه، وقد أوردت الآيات الكريمة حسب ترتيبها المصحف الشريف.

[433] –تدل على المشاركة وهي أن يفعل أحدهما بصاحبه فعلا فيقابله الآخر بمثله، وينسب للبادئ نسبة الفاعلية وللمقابل نسبة المفعولية نحو: ضارب زيد عمراً، حيث نسب أصل الفعل (ضارب) إلى زيد صراحة وإلى عمرو ضمناً وانتصاب عمرو على أنه مشارك وليس على أنه مضروب. (انظر: المغني في تصريف الأفعال: محمد عبد الخالق عضيمة، ص: 90–92، الممتع في التصريف: ابن عصفور الإشبيلي، ج: 01، ص: 181–183، أبنية الفعل ودلالاتها وعلاقاتها: إبراهيم الشمسان، ص: 32–34).

[434] –تدل على المشاركة بين اثنين فأكثر فيكون كل منهما فاعلاً في اللفظ مفعولاً في المعنى بخلاف (فاعل) فإنها لاقتسام الفاعلية والمفعولية لفظاً والاشتراك فيهما معنى. (انظر: المغني في تصريف الأفعال: محمد عبد الخالق عضيمة، ص: 92–94، الممتع في التصريف: ابن عصفور الإشبيلي، ج: 01، ص: 188، أبنية الفعل ودلالاتها وعلاقاتها: إبراهيم الشمسان، ص: 34–37).

المثال الأول

قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾[435].

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿عَقَدَتْ﴾:

فقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿عَقَدَتْ﴾ بتخفيف القاف من غير ألف.

وقرأ بقية العشرة: ﴿عَاقَدَتْ﴾ بالألف[436].

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿عَقَدَتْ﴾ أي أن الأيمان عقدتْ بينهم، لأن في قوله: ﴿أَيْمَانُكُمْ﴾ حجة على أن أيمان الطائفتين هي عقدت ما بينهما. والمعنى والذين عقدت حِلْفَهم أيمانكم، فحذفَ الحِلف، وأقام المضاف إليه مقامهُ، وكأنه قال: عَقَدَتْهُمْ أيمانُكُم، بعد حذفِ المضافَ، ثم حذف الضمير العائد إلى ﴿الَّذِينَ﴾ تخفيفاً[437].

---

[435] –سورة النساء، الآية: 33.

[436] – حجة القراءات، ص: 201–202. معجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، ج2، ص: 61–62.

[437] –الموضح، ج: 1، ص: 414.

المعنى على القراءة الثانيــة:

﴿عَاقَدَتْ﴾ بالألف لأن العقد كان من الفريقين، أي: عاقدَتْهم أيمانكم، جعلوا الأيمان هي التي عاقدَتْهُم، والمعنى لأصحاب الأيمان والضمير من عاقدتْهم العائد إلى ﴿الَّذِينَ﴾ محذوفٌ تخفيفاً[438].

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيــن:

دلت الآية الكريمة بالجمع على قراءة ﴿عَقَدَتْ﴾ حمل المعنى على لفظ الأيمان لأن الفعل لم يسند إلى أصحاب الأيمان في اللفظ إنما أسند إلى الأيمان، وسواء أريد به القسم أم الجارحة فهو مجاز، وفاعل ذلك هو الشخص.

قال القرطبي رحمه الله: «يكون التقدير فيها: والذين عَقَدتهم أيمانكم الحِلف، وتعدَّى إلى مفعولين؛ وتقديره: عقدت لهم أيمانكم الحلفَ، ثم حُذفت اللام، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾[439] أي: كالوا لهم. وحذف المفعول الثاني، كما يقال: كِلْتك، أي: كلتُ لك بُرّاً، وحذف المفعول الأول لأنه متصل في الصلة»[440].

---

[438] -الموضح، ج: 1، ص: 415.

[439] -سورة المطففين، الآية : 02.

[440] -الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج: 06، ص: 276-277.

وعلى قراءة ﴿عَاقَدَتْ﴾ أن عقْد الحلف لا يكون إلا من فريقين، وأن العقد إنما هو صفة للحلف دون المتعاقدين الحلف، وهؤلاء الذين قرأوا في المفاعلة حملوا الكلام على المعنى، حيث كان من كل واحد من الفريقين يمين.

والمعاقدة التي كانت بينهم هو أن يقول الرجل لصاحبه: دمي دمك، ومالي مالك، وترثني وأرثك، وتطلب بي وأطلب بك، وقد كان هذا في الجاهلية: حيث يجيء الرجل الذليل إلى العزيز فيعاقده ويحالفه، ويقول له: أنا ابنك ترثني وأرثك، وحرمتي حرمتك، ودمي دمك، وثأري ثأرك؛ فأمر الله عز وجل بالوفاء لهم، فهذا العقد لا يكون إلا بين اثنين، وقيل إن ذلك أمر قبل تسمية المواريث، وهي منسوخة بآية المواريث[441]، وهي قوله تعالى: ﴿وَأُولُو الأَرحامِ بَعضُهُم أَولى بِبَعضٍ في كِتابِ اللَّهِ﴾[442] فصارت المواريث لذوي الأرحام.

وعلى هذا فمعنى الآية الكريمة: والذين عاقدتموهم على المؤاخاة والموالاة وتحالفتهم بالأيمان المؤكدة أنتم وهم على النصر والإرث–قبل نزول آية الأنفال– فآتوهم نصيبهم من الميراث وفاءً بالعقود والعهود؛ إذ وعدتموهم ذلك في الأيمان المغلظة. إن الله كان مطلعاً على كل شيء من أعمالكم وسيجازيكم على ذلك.

[441] – حجة القراءات، ص: 202.

[442] –سورة الأنفال، الآية: 75.

المثال الثاني

قال الله تعالى: ﴿وَكَذلِكَ نُصَرِّفُ الآياتِ وَلِيَقولوا دَرَستَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَومٍ يَعلَمونَ﴾[443].

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿دَرَستَ﴾:

فقرأ ابن عامر ويعقوب: ﴿دَرَسَتْ﴾ بغير ألف.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿دَارَسْتَ﴾ بالألف ومفتوحة التاء.

وقرأ بقية العشرة: ﴿دَرَسْتَ﴾[444].

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿دَرَسَتْ﴾ بفتح الدال والراء والسين وإسكان التاء على أنها تاء التأنيث، والفاعل ضمير عائد إلى الآيات المذكورة في قوله: ﴿وَكَذلِكَ نُصَرِّفُ الآياتِ﴾، والمعنى: انقطعت وانمحت، من الدُرُوس وهو: عُفُوّ الأثَرِ وانمحاءُ الرسوم. والمعنى: إنّ هذا الذي يتلوهُ قد تطاول ومرّ بنا وانمحى أثره كما تدرسُ الآثار. أي: وليس يأتي محمد صلى الله عليه وسلم بغيرها.

---

[443] –سورة الأنعام، الآية: 105.

[444] –النشر، ج: 02، ص: 261.

المعنى على القراءة الثانيــة:

﴿دَارَسْتَ﴾ بألف بعد الدال مع إسكان السين وفتح التاء على المفاعلة التي تكون بين اثنين، بمعنى: دَارَسْتَ أهل الكتاب ودارسوك، أي: ذاكرتهم وذاكروك، وقرأت عليهم وقرأوا عليك حتى حصلت هذا العلم، ودل على هذا المعنى قوله تعالى إخباراً عنهم: ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾[445]، أي: أعان اليهود النبي صلى الله عليه وسلم على القرآن وذاكروه فيه، وهذا كله قول المشركين، ومثله قولهم: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[446]، ﴿وَإِذا قيلَ لَهُم ماذا أَنزَلَ رَبُّكُم قالوا أَساطيرُ الأَوَّلينَ ﴾[447].

المعنى على القراءة الثالثــة:

﴿دَرَسْتَ﴾ بإسقاط الألف مع إسكان السين وفتح التاء، من درس يدرس دراسة، وهي القراءة على الغير. والمعنى: قرأت على أهل الكتاب فتعلمت منهم[448].

---

[445] –سورة الفرقان، الآية : 04.

[446] –سورة الفرقان، الآية: 05.

[447] –سورة النحل، الآية: 24.

[448] –انظر الموضح، ج: 1، ص: 491.

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

أفادت الآية الكريمة من خلال لفظة واحدة مقولات متعددة، كانوا يتهمون بها النبي صلى الله عليه وسلم، فهم يزعمون على قراءة ﴿دَرَسَتْ﴾ أنه قد أتى برسالة عفى عليها الزمان ولا يعدو أن يكون أساطير الأولين تطاولت عليه الأيام فصار أطـــلالاً باهتة وآثاراً سالفة غير مناسبة للعصور المستجدَّة.

وعلى قراءة ﴿دَارَسْتَ﴾ يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما تعلم هذا القرآن بالدرس والتعليم من غيره من أهل الكتاب، كما زعم كفار قريش أنه صلى الله عليه وسلم تعلم هذا القرآن من جبر ويسار، وكانا غلامين نصرانيين بمكة[449].

وقد أوضح تعالى بطلان افترائهم هذا في آيات كثيرة، كقوله: ﴿وَلَقَد نَعلَمُ أَنَّهُم يَقولونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذي يُلحِدونَ إِلَيهِ أَعجَمِيٌّ وَهذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبينٌ﴾[450]، وقولـــه: ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ.إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[451] ومعنى يؤثـــر: يرويه محمد صلى الله عليه وسلم عن غيره في زعمهم الباطل.

---

[449] -أضواء البيان: محمد الأمين الشنقيطي، ج: 02، ص: 242.

[450] -سورة النحل، الآية : 103.

[451] -سورة المدثر، الآية: 24-25.

وقولــه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا .وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا .قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[452] إلى غير ذلك من الآيات.

وعلى قراءة ﴿دَرَسْتَ﴾ يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم درس أخبار وكتب الأولين فأتى بهذا القرآن منها. قال الباقلاني رحمه الله: «من كان يختلف إلى تَعَلُّم علمٍ، ويشتغل بملابسة أهلِ صنعة لم يخف على الناس أمرُه، ولم يَشْتبه عندهم مذهبه، وقد كان يُعْرَفُ فيهم من يُحْسِنُ هذا العلم، وإن كان نادراً، وكذلك كان يُعرَفُ مَنْ يُختلف إليه للتعلُّم، وليس يَخْفَى في العُرف عالمُ كلِّ صنعة ومتعلِّمُها، فلو كان منهم لم يَخْفَ أمرُه»[453].

والفرق بين قرائتي: ﴿دَارَسْتَ﴾ و﴿دَرَسْتَ﴾ لزوم المشاركة، فالأولى تعني: الاشتراك؛ لأن فيها طرفين: عالماً ومُتعلِّماً وتفاعلاً بين طرفين، والقراءة الثانية لا يُشترط فيها المشاركة.

كل هذه المعاني في القراءات الثلاث عبرت عنها لفظة واحدة، فأضافة حرفٍ وتغيير ضبط بعض حروفها، وفي ذلك بيان لموقف المشركين من الدعوة الإسلامية وقائدها صلى الله عليه وسلم، وما كانوا يثيرونه حولهما من افتراءات ومزاعم.

---

[452] -سورة الفرقان، الآيات: 4-5-6.

[453] -إعجاز القرآن: محمد بن الطيب الباقلاني، ص: 35.

المثال الثالث

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[454].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[455].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[456].

تنوعت القراءات في قول تعالى: ﴿وَلَوْلَا دفع﴾ و﴿يُدَافِعُ﴾:

فقرأ نافع ويعقوب في الموضع الأول والثاني: ﴿وَلَوْلَا دِفَاعُ﴾.

وقرأ بقية العشرة: ﴿ولولا دَفْعُ﴾[457].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ﴿يَدْفَعُ﴾ في الموضع الأخير.

---

[454] -سورة البقرة، الآية: 251.

[455] -سورة الحج، الآية: 40.

[456] -سورة الحج، الآية: 38.

[457] -النشر، ج: 2، ص: 173. البدور الزاهرة، ص: 215. الموضح، ج: 1، ص: 336-337.

وقرأ بقية العشرة: ﴿يُدَافِعُ﴾[458].

المعنى على القراءة الأولى:

يحتمل المعنى على هذه القراءة أحد وجهين:

الأول: أن تكون مصدراً من دافع على وزن فاعل.

والثاني: ألا تكون من باب المفاعلة، وحينئذ يجوز فيها الآتي:

1. أن يكون مصدراً لـ (دفع) على وزن (فَعَلَ)، فهو من باب سافرت وجاوزت ودافعت، وعلى هذا تكون القراءة الأولى والثانية سواء في المعنى.
2. أن المراد منها التكثير، وهو أحد المعاني التي تأتي عليها (فاعل)، وذلك أنه لما كثر الدفع عبر عنه بالدفاع.
3. أن المراد منها التوالي، وهو أحد معاني (فاعل) أيضاً، وذلك أن الدفع لما كان يأتي مرة بعد أخرى عبر عنه بالدفاع.

[458] -النشر، ج: 2، ص: 245. حجة القراءات، ص: 140-141. معجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، ج6، ص: 120.

المعنى على القراءة الثانيــة:

مصدر من دَفَعَ دَفْعاً، وحجتهم في ذلك أن الله عز وجل هو المتفرد بالدفع غن خلقه ولا أحد يُدافعه فيغالبه،

ومعنى ﴿دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾: أنه عز وجل يدفع الشرور عن بعض الناس بسبب آخرين.

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيــن:

تفيد الآية الكريمة على قراءة ﴿دِفَاعُ الله﴾ المبالغة والقوة في الدفاع عنهم وتكرار الدفع مرة تلو الأخرى، وعلى قراءة ﴿دَفْعُ الله﴾ أن الله تعالى وحده هو الذي يدافع عن المؤمنين فيدفع الأذى عنهم دفعة واحدة.

كما تفيد الآية الكريمة على قراءة ﴿دَفْعُ﴾ على تفرد الله عز وجل بالتدبير، أما قراءة بقية العشرة ففيها دلالة على أن للعباد كسباً وعملاً ينسب إليهم. وكان أبو عمرو رحمه يقول: «إنما الدفاع من الناس والدفع من الله»[459].

وقد دلت الآية الكريمة على سنتين إلهيتين عظيمتين[460]، وهما:

[459] – حجة القراءات، ص: 140.

[460] –وهناك سنن أخرى كثيرة في القرآن الكريم، من مثل: سنة التدرج وسنة الأجل وسنة التداول الحضاري وسنة التسخير...إلخ.

الأولى: سنة الدفع، وهي من السنن الكونية العظيمة التي تنتظم بها الحياة الاجتماعية[461]، وبها يدفع الله عز وجل عن الناس أنواع شرور الدنيا ببعثة الأنبياء عليهم السلام ووضع الشرائع.

والثانية: سنة الدفاع، وبها يحصل الأمن والاستقرار والنماء، وهي سنة كونية أرادها الله عز وجل وخلقها بين الناس بقاءً للنوع الإنساني من جهة وحفاظاً على القيم من جهة أخرى، وإظهاراً وبياناً بأن الشر لابد من دفاعه حتى لا يستفحل الفساد بين العالم من جهة ثالثة.

وقد ذكر الإمام الغزالي رحمه الله أنه عندما يتأمل في هذه الآية الكريمة يشعر بأمرين:

الأمر الأول: أن الاختبار الإلهي ليست له صورة محددة.. فصوره كثيرة متعددة.. وعلى الإنسان أن يكون على استعداد دائم لكي يتحمل تبعات الدفاع عن معتقده وعن سيرته ومسلكه وقيمه...

الأمر الثاني: أن التدافع هو طبيعة الحياة الفردية والاجتماعية، بمعنى أنه في داخل الجسم البشري، تفرض المناعة نفسها عندما تدخل جراثيم غازية، ويبدأ القتال حتى يبقى الجسم حياً..[462]

---

[461] –قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تحت عنوان: الحاجة إلى فهم السنن القرآنية: «السنن الاجتماعية في القرآن هي القوانين المطردة والثابتة التي تشكل إلى حد كبير ميكانيكية الحركة الاجتماعية: حركة المجتمع وتعين على فهمها، وكلمة (سنة) تعني القانون المطرد الذي لا يتخلف إلا في قضايا السنن الخارقة.. أما السنن الجارية فلا تتخلف، وإن كان لا يُرى اطرادها واضحاً وصارماً كقوانين المادة. وقد تكون حاجة المسلمين اليوم لفهمها وحسن التعامل معها وتسخيرها للقيام بأمانة الاستخلاف وتعمير الأرض، أشد من حاجتهم للحكم التشريعي الذي تضخم وتضخم حتى كاد يشمل الإسلام بأبعاده كلها، مع أن الحاجة إليه تأتي ثمرة لإعمال هذه السنن». كيف نتعامل مع القرآن: محمد الغزالي، ص: 48.

[462] –كيف نتعامل مع القرآن: محمد الغزالي، ص: 129.

وفي الآية الكريمة بيان لاجتماع إرادة المولى الكونية والشرعية، ذلك أن سنة المدافعة (الدفع والدفاع) قد تكون غير محبوبة ولا مرضية له، كدفاعه عن الكنائس والبيع، ولكنها واقعة قدراً لأمور تقتضيها حكمته، وهذا هو مقتضى الإرادة الكونية، أما دفاعه عما يحبه ويرضاه كدفاعه عن المؤمنين فهذا واقع قدراً وشرعاً[463].

والآية الكريمة دليل على أن الإنسان اجتماعي بطبعه، فلا يمكنه أن يعيش بمفرده، بل لا بد من مخالطة غيره من الناس وتعامله معهم، والناس في هذه الحياة البشرية مختلفون في سلوكهم وأخلاقهم وعقائدهم، فيهم المؤمن والكافر، وفيهم التقي والفاسق، وفيهم العالم والجاهل، وفيهم حسن الأخلاق وسيئها؛ لذا جاءت الشرائع الربانية بتهذيب النفوس وإصلاح الأخلاق[464]، وعلى هذا المعنى جاء قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق».

ولا يفوتني أن أشير هنا إلى أن آية سورة البقرة عامة في كل أنواع الفساد، وأما آية الحج فهي خاصة بنوع من أنواع الفساد في الأرض؛ وهو عدم تمكين الناس من ممارسة شعائرهم وهدم أماكن عبادتهم.

[463] –انظر: بدائع التفسير: ابن القيم، ج: 2، ص: 218.

[464] –سنة التدافع في ضوء القرآن الكريم: خالد الزهراني، ص: 145.

المطلب الثاني: القراءات المتعلقة بالتكثيــر

قد ينتج التنوع في القراءات القرآنية عن مرات حدوث الفعل، فقد تأتي الآية القرآنية على قراءة تدل على مجرد حدوث الفعل دون تكرره، تأتي على قراءة أخرى وتفيد كثرة وقوع الفعل وتكراره، وهذا الذي أريده بالتكثير في هذا السياق، وسأذكر في هذا المطلب أمثلة للقراءات القرآنية التي جاءت على هذا النحو وأثرت في فهم القرآن الكريم وتدبر معانيه، وقد أوردت الآيات الكريمة حسب ترتيبها المصحف الشريف.

المثال الأول

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الجِنَّ وَخَلَقَهُم وَخَرَقُوا لَهُ بَنينَ وَبَناتٍ بِغَيرِ عِلمٍ سُبحانَهُ وَتَعالى عَمّا يَصِفونَ﴾[465].

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿وَخَرَقُوا﴾.

فقرأ نافع: ﴿وَخَرَّقُوا﴾ بالتشديد.

وقرأ بقية العشرة: ﴿وَخَرَقُوا﴾ بالتخفيف[466].

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿وَخَرَّقوا﴾ بالتشديد على التكثير والمبالغة في الفعل؛ لأن التفعيل يدل على قوة حصول الفعل، وهذا التكثير يشمل: التكثير في الفعل نفسه، والتكثير في أنواع الاعتقاد، والتكثير في عدد الجماعات المنحرفة.

[465] -سورة الأنعام، الآية: 100.

[466] -النشر، ج: 02، ص: 261.

قال ابن أبي مريم رحمه الله: «قرأها نافع لوحده، والوجه أن ذهب بها إلى التكثير؛ لأن الفاعلين لهذا الفعل كثيرٌ، فإن المشركين قالوا الملائكة بنات الله، واليهود قالوا عزيرٌ ابن الله، والنصارى قالوا المسيح ابن الله»[467].

المعنى على القراءة الثانيـــة:

﴿وَخَرَقوا﴾ بالتخفيف على التقليل، ويجوز أن يُحمل على الكثرة[468]، وبيان ذلك كالتالي:

1. قطع الشيء على سبيل الفساد (من الخَرْق)، من غير تدبر ولا تفكر، وهو ضد الخَلْق، فإن الخلق هو فِعْلُ الشيء بتقديرٍ ورفق والخَرق بغير تقدير[469].
2. الفلاة الواسعة، وسميت بذلك لانخراق الريح فيها. وريحٌ خَريق (من الخَرْق): شديدة، والمُتَخَرِّق في الكَرَم هو الذي يَتَوَسَّعُ فيه، وخَرَقَ الأرض قطعها، حتى بلغ أقصاها، وريح خَرْقاء: لا تدوم على جهتها في هبوبها[470].
3. من خَرَقَ الثوب إذا شقَّه، أي: اشتقُّوا له بنين وبنات، وهو رأي الإمام الزمخشري رحمه الله[471]، وأرجعها الشيخ ابن عاشور رحمه الله إلى القطع والشق على نحو عام[472].

---

[467] –الموضح، ج: 1، ص: 490.

[468] –والوجه أن التخفيف في هذه الأفعال يصلح لقليل الفعل وكثيره، والتشديد يختص الكثير.

[469] –مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، ص: 279.

[470] –لسان العرب، ابن منظور (خرق)، ج: 10، ص: 74.

[471] –انظر الكشاف: الزمخشري، ج: 02، ص: 53.

[472] –انظر التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج: 7، ص: 407.

وهكذا أستطيع أن أقول أنَّ جَذْرَ المادة يدور حول الاتساع وبلوغ أقصى الشيء، من غير دوام على جهة واحدة، وقطع الشيء وشقِّه على سبيل الفساد. ثم انتقل أصل المعنى اللغوي إلى الكذب على الله عز وجل ونسبة البنين والبنات إليه كذباً، فانتهى المعنى إلى ما قاله الإمام الطبري رحمه الله: «وتخرَّصوا لله كذباً، فافتعلوا له بنين وبنات بغير علمٍ منهم بحقيقة ما يقولون»[473].

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

بينت الآية الكريمة الاعتقادات الباطلة التي كان عليها كثير من الأقوام في العصرين الجاهلي والنبوي، فقد افتروا على الله كذباً، فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم منهم بحقيقة ما يقولون، ولكنْ جهلاً بالله وبعظمته[474]، مع إحسانه إليهم وتعرفه إليهم بآياته البينات وحججه الواضحات، وجعل هؤلاء المشركون الجن شركاء لله تعالى في العبادة؛ اعتقاداً منهم أنهم ينفعون أو يضرون، وقد خلقهم الله تعالى وما يعبدون من العدم، فهو المستقل بالخلق وحده، فيجب أن يستقل بالعبادة وحده لا شريك له، ولقد كذب هؤلاء المشركون على الله تعالى حين نسبوا إليه البنين والبنات؛ جهلاً منهم بما يجب له من صفات الكمال.

[473] –جامع البيان: الطبري، ج: 07، ص: 298.

[474] –انظر جامع البيان: الطبري، ج: 7، ص: 298.

فأفادت الآية الكريمة على قراءة ﴿وَخَرَّقوا﴾ ما تجمَّع لدى البشرية من رُكامٍ فاسد في الاعتقادات خلال رحلة الإنسان الطويلة، وما نسب إلى الله عز وجل خلالها من افتراءات، قال القرطبي رحمه الله: «﴿وَخَرَّقوا﴾ بالتشديد على التكثير؛ لأن المشركين ادَّعوا أن لله بناتٍ؛ وهم الملائكة، وسمَّوْهم جنّاً لاجتنائهم، والنصارى ادَّعت المسيحَ ابن الله. واليهود قالت: عزير ابن الله، فكثُرَ ذلك من كفرهم؛ فشُدِّد الفعل لمطابقة المعنى»[475].

ووصفت على قراءة ﴿وَخَرَقُوا﴾ شأن القوم، بما تحمله من دلالات واسعة في اعتقاداتهم الباطلة، المبنية على الفساد، فهم يَشُقُّون ما يَتَلَّبسون به من اعتقادات، ويتَّوسعون في ذلك، ولا يدومون على مذهب واحد.

[475] -الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 08، ص: 480.

المثال الثاني

قال الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهدِيَهُ يَشرَح صَدرَهُ لِلإِسلامِ وَمَن يُرِد أَن يُضِلَّهُ يَجعَل صَدرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ كَذلِكَ يَجعَلُ اللَّهُ الرِّجسَ عَلَى الَّذينَ لا يُؤمِنونَ﴾[476].

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿يَصَّعَّدُ﴾:

فقرأ ابن كثير: ﴿يَصْعَد﴾ خفيفة ساكنة الصاد بغير ألف.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿يَصَّاعد﴾ بألف وتشديد الصاد.

وقرأ بقية العشرة: ﴿يَصَّعَّدُ﴾ مشددة العين بغير ألف[477].

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿يَصْعَد﴾ مضارع (صَعَدَ)، والمعنى أن الكافر في ثقل الإسلام عليه وتجافيه، كأنه كلف أن يصعد في السماء، وصعود السماء غير مستطاع، فهو بمنزلة من طلب ما لا يستطيعه.

---

[476] –سورة الأنعام، الآية: 125.

[477] –النشر، ج: 02، ص: 262.

المعنى على القراءة الثانيــة:

﴿يَصَّاعَدَ﴾ من باب (تضاعف) و(تَضَعَّفَ) أضيف إليها حرفان هما التاء والألف؛ إذ أصلها الصرفي يتصاعد، فأبدلت التاء صاداً ثم حصل الإدغام، وتدل على المشقة والصعوبة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾[478]، أي: سأغشيه عذاباً صَعوداً، أي: عقوبة شديدة فيها مشقة عليه.

المعنى على القراءة الثالثـــة:

﴿يَصَّعَّدُ﴾ وأصلها (يَتَصَعَّد) فأدغمت التاء في الصاد، والزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى، والمعنى أنه لثقل الإسلام عليه فكأنه يتكلف الصعود شيئاً بعد شيء، كقولهم يترقَّى ويترجع ونحو ذلك[479].

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القـــراءات:

بينت الآية الكريمة حال الكافر في نفوره من الإيمان وثِقَله عليه، بمنزلة من تكلَّف ما لا يطيقه، كما أن صعود السماء لا يطاق[480]، وقد كشف العلم الحديث تأثير الضغط الجوي في أجهزة الإنسان

---

[478] –سورة المدثر، الآية: 17.

[479] –الموضح، ج: 1، ص: 503.

[480] –انظر الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 07، ص: 82.

الداخلية، والله سبحانه وتعالى جعل هذا الضغط داخل الجسم البشري يتناسب مع ما يحيط به، ومن هنا يعيش الإنسان على هذه الأرض على نحو مريح له.

ومع توافر الوسائل الحديثة للارتفاع العالي في طبقات السماء، لمس العلماء ما يُرافق ذلك من ضيق شديد في الصدر وآلام في الجهاز العصبي، ومع زيادة الارتفاع يزداد الخَلَلُ في أجهزة الإنسان الداخلية، وتستحيل الحياة لانخفاض الضغط الجوي وفقد غاز الأوكسجين واضطراب الوزن ونظام الدورة الدموية.

هذه هي الحالة التي يشبه بها القرآن الكريم حالة من يضيق صدره بالهداية، فهي تشبه حالة من يصعد في السماء، فينتابه الإحساس بالضيق والاختناق والاضطراب.

فأفادت الآية الكريمة على قراءة ﴿يَصْعَد﴾ المرحلة الأولى من حالات صعود السماء، قال ابن عطية رحمه الله: «كأن هذا الضَّيِّق الصدر يحاول الصعود في السماء، متى حاول الإيمان، أو فكر فيه، ويجد صعوبة عليه كصعوبة الصعود في السماء»[481]. فالكافر يصيبه عند سماعه الهدى حالةٌ من الضيق، تُشبه حالة من يصعد في السماء.

[481] –المحرر الوجيز: ابن عطية، ج: 06، ص: 146.

وعلى قراءة ﴿يَصَّاعد﴾ متابعة الصعود والعلو والارتفاع في مشقة وصعوبة، قال القرطبي رحمه الله: «إلا أن فيه معنى فعل شيء بعد شيء، وذلك أثقلُ على فاعله»[482]، فالكافر ينتابه ضيق أشد مع زيادة السماع، وكأن حالته تشبه حالة من يمضي قدماً في ارتفاعه وبعده، ويستمر هذا الضيق حتى يصل إلى درجةِ تكلف الفعل شيئاً بعد شيء في معاناة ومشقة وصعوبة.

وأظهرت على قراءة ﴿يَصَّعَّدُ﴾ ما يعانيه الصاعد من مشقة تزداد شيئاً بعد شيء كلما أوغل في الصعود؛ لأن درجة اضطراب الجسم سوف تزداد وتكيفه مع ما يحيط به سوف يختل أكثر فأكثر. فيزداد ضيق الكافر ومعاناته مع زيادة الاستماع أكثر فأكثر. وهذا الوصف من خلال القراءات الثلاث قد أوفى ببيان حال الكافر عند سماع الهدى، ونفوره من الهدى وثقله عليه.

فمن يرد الله أن يوفقه إلى طريق الهداية يوسع صدره للإسلام فيقبله برضا وطواعية، ومن يرد أن يخذله ولا يوفِّقه للهداية يجعل صدره شديد الضيق عن قبول الحق، بحيث يكون حاله كحال من يصعد في الطبقات العليا فيصعب عليه التنفس، وكما جعل الله حال الضال بهذه الحال من الضيق الشديد يجعل العذاب على الذين لا يؤمنون به، لأنهم سدوا على أنفسهم باب الرحمة والإحسان، وهذا ميزان لا يعول وطريق لا يتغير، فإن من أعطى واتقى وصدق بالحسنى يسره الله لليسرى، ومن بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره الله للعسرى.

[482] -الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 07، ص: 82.

المثال الثالث

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ.بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾[483].

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿قُتِلَتْ﴾:

فقرأ أبو جعفر: ﴿قُتِّلَتْ﴾ بتشديد التاء.

وقرأ بقية العشرة: ﴿قُتِلَتْ﴾[484].

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿قُتِّلَتْ﴾ بالتشديد على التكثير، وهذا يعني شيوع هذه العادة السيئة وانتشارها بين القبائل في الجاهلية.

المعنى على القراءة الثانيـــة:

﴿قُتِلَتْ﴾ على أصل الإخبار بأن الفتاة الموءودة سوف تُسْأَلُ يوم القيامة عن الذنب الذي اقترفَتْه.

---

[483] -سورة التكوير، الآية: 8-9.

[484] -النشر، ج: 02، ص: 398.

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

تشير الآية الكريمة إلى جريمة وَأْد البنات في الجاهلية وهن على قيد الحياة، وكانت العرب تئد البنات مخافة الإملاق أو لحوق العار بهم من أجلهن، قيل كان الرجل منهم إذا ولدت له بنت ألبسها جبة من صوف أو شعر حتى إذا بلغت ستَّ سنين ذهب بها إلى الصحراء وقد حفر بها حفرة فيلقيها فيها ويُهيل عليها التراب. وقيل كانت الحامل إذا قَرُبَتْ حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فإذا ولدت بنتاً رمت بها وإن ولدت ابناً حبسته. وكانوا لجهلهم وسوء ظنهم بالله وعدم تحملهم يعيّر بعضهم بعضاً إذا أتته الأنثى قال سبحانه: ﴿وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثى ظَلَّ وَجهُهُ مُسوَدًّا وَهُوَ كَظيمٌ.يَتَوارى مِنَ القَومِ مِن سوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَيُمسِكُهُ عَلى هونٍ أَم يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ أَلا ساءَ ما يَحكُمونَ﴾[485].

وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، فدلت قراءة ﴿قُتِّلَتْ﴾ على أن هذه العادة قد ذاعت وانتشرت زمن الجاهلية، وتعددت القبائل التي كانت تقترفها، وهذا التشديد في القراءة ينبئ عن انتشار عملية التقتيل؛ قال السمين الحلبي رحمه الله: «المراد اسم الجنس فناسبه التكثير»[486]. وتوجيه السؤال إلى الموءودة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ.بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ دون الوائد مع أن الذنب له دونها لتسليتها وإظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها وإسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته، قال

---

[485] –سورة النحل، الآية: 58-59.

[486] –الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبي، ج: 10، ص: 704.

الشنقيطي رحمه الله: «إشعارٌ بأنه لا ذنب لها فتقتل بسببه، بل الجرم على قاتلها، ولكن لعظم الجرم يتوجه السؤال إليها تبكيتاً لوائدها»[487]، وهذا نوع من الاستدراج واقع على طريق التعريض كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[488].

❑ ❑ ❑

[487] -أضواء البيان: محمد الأمين الشنقيطي، ج: 08، ص: 438.

[488] -سورة المائدة، الآية: 116.

المبحث الثالث: أثر القراءات المتعلقة بالخبر والإنشاء والعموم

المطلب الأول: القراءات المتعلقة بالخبر والإنشاء

الخبر في اللغة: الإعلام، ومعانيه تدور حول اكتساب المعرفة من مصادرها. أما في في اصطلاح البلاغيين فهو: القول الذي يحمل الصدق والكذب، أي دون النظر إلى قائله. أو هو الكلام الذي له نسبة خارجية يراد مطابقتها أو عدم مطابقتها. والأول تعريف القدماء والثاني يجري على ألسنة المحدثين وفي كتاباتهم[489].

والخبر هو شطر اللغة والشطر الثاني هو الإنشاء، وفيهما تنحصر أساليب الأداء اللغوي وليس لهما ثالث، وكلاهما وارد بكثرة في القرآن الكريم، ووظيفة الخبر محصورة في أمرين:

الأول: فائدة الخبر: ومعناها: أن المتكلم يفيد بخبره المخاطب بالخبر معنى جديداً لم يكن له به علم قبل سماعه الخبر وهذا هو أصل الخبر، ومن أمثلته في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[490]، هذه الآية الكريمة أفادت لأول مرة أن الله عز وجل أنزل القرآن الكريم في ليلة القدر، ولم يكن لدى المخاطبين علم بهذا قبل نزول هذه الآية.

[489] –انظر الموسوعة القرآنية المتخصصة: مجموعة من العلماء، ص: 446.

[490] –سورة القدر، الآية: 01.

والثاني: لازم الفائدة: ومعناها أن يكون المخاطب عالماً بمضمون الخبر، ويكون غرض المتكلم إعلام المخاطب بأنه -أي المتكلم- عالم بمضمون الخبر مثله. ومن أمثلته في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿قالَ بَل سَوَّلَت لَكُم أَنفُسُكُم أَمرًا﴾[491]، هذه الآية الكريمة أن يعقوب عليه السلام لم يرد أن يخبر بنيه بأن أنفسهم سوَّلت لهم أمر التخلص من يوسف عليه السلام، لأنهم كانوا يعلمون بهذا التسويل أكثر منه، وإنما أراد أن يخبرهم أنه عالم بما حدث معهم لأخيهم يوسف عليه السلام.

وفي القرآن الكريم -كما في اللغة العربية بوجه عام- استعمالات لأخبار لا تكاد تحصى في معانٍ أخرى مجازية، غير فائدة الخبر ولازم فائدته، تحمل معاني كثيرة يقتضيها المقام في أغراض شتى.

من ذلك مثلاً قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾[492]، أفادت لآية الكريمة أن امرأة عمران لم ترد إخبار الله عز وجل بما لا يعلم في قولها: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ﴾ فالخبر هنا لم يستعمل في الإعلام بفائدة الخبر ولا في لازم فائدة الخبر، بل خرج إلى معنى مجازي هو إظهار التحسر على إنجابها أنثى، وكانت تطمع أن تلد ذكراً ليكون خادما في بيت المقدس الذي لم يكن يقوم بالخدمة فيه إلا الذكور.

[491] -سورة يوسف، الآية: 18.

[492] -سورة آل عمران، الآية: 36.

ومنه قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[493] خرج الخبر عن الإعلام بفائدة الخبر ولازمها إلى معنى آخر مجازي، وهو التهديد والوعيد لأن علمه سبحانه بالظالمين يقتضي عقابه إياهم على ظلمهم.

ومنه قول الله تعالى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[494] أفادت الآية الكريمة أن فرعون لم يرد إعلام موسى عليه السلام بما فعل، وإنما لومه وانكساره بين يديه، وهو معنى مجازي خارج عن الإعلام بفائدة الخبر ولازم فائدته.

والإنشاء في اللغة: الإيجاد والتكوين. أما في في اصطلاح البلاغيين فهو: الكلام الذي يطلب به أمر لم يكن موجوداً وقت النطق بالكلام، وهو ما لا يحتمل الصدق والكذب.

والإنشاء هو شطر اللغة الثاني بعد الخبر، ويتكون من عدة أساليب فرعية، هي:

- الأمر
- النهي
- الاستفهام
- النداء
- التمني
- الرجاء

[493] –سورة الجمعة، الآية: 07.

[494] –سورة الشعراء، الآية: 19.

والأصل في الأمر أن يكون للوجوب، أي وجوب إيجاد شيء لم يكن له وجود ساعة النطق بفعل الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾[495].

والأصل في النهي أن يكون لطلب الكف عن شيء على وجه الجزم، نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾[496]

والأصل في الاستفهام أن يكون لإعلام المستفهم أمراً هو يجهله، نحو قوله تعالى حكاية عن قوم إبراهيم عليه السلام: ﴿قالوا أَأَنتَ فَعَلتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبراهيمُ﴾[497].

والأصل في النداء أن يكون لطلب الإقبال المادي الحسي، نحو قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾[498].

هذا هو الأصل في استعمال هذه الأساليب اللغوية لكن بلاغة القرآن الكريم المعجز استعملتها في معان مجازية أخرى يضيق المقام عن ذكرها.

---

[495] –سورة البقرة، الآية: 190.

[496] –سورة آل عمران، الآية: 130.

[497] –سورة الأنبياء، الآية: 62.

[498] –سورة القصص، الآية: 31.

والأصل في التمني أن يكون لطلب المستحيل أو ما فيه عسر، نحو قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾[499].

والأصل في الرجاء أن يكون لطلب الممكن المحبوب، نحو قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام لأهله: ﴿إِنِّي آنَستُ نارًا لَعَلِّي آتيكُم مِنها بِقَبَسٍ﴾[500].

وبعد تحديد مفهوم الخبر والإنشاء وما يتعلق بهما على سبيل الاختصار، أسوق بعض الأمثلة للقراءات القرآنية التي جاءت على هذا النحو ولها أثر بين وواضح على فهم القرآن الكريم وتدبر معانيه، وقد أوردت الآيات الكريمة حسب ترتيبها المصحف الشريف.

[499] –سورة النبأ، الآية: 40.

[500] –سورة طه، الآية: 10.

المثال الأول

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾[501].

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْأَلُ﴾:

قرأ نافع ويعقوب: ﴿وَلَا تَسْأَلْ﴾ بفتح التاء وسكون اللام.

وقرأ بقية العشرة: ﴿وَلَا تُسْأَلُ﴾ بضم التاء واللام[502].

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿وَلَا تَسْأَلْ﴾ بفتح التاء والجزم على النهي[503]، على أسلوب التعظيم، لما صاروا إليه من العذاب، وتعظيم العقوبة لأهل النار، فهو إخبارٌ عن ذلك الأمر، كما تقول: ما حال فلان؟ فيقال لك: لا تسألْ عن فلان. أي: إنه قد صار إلى أمر عظيم: إما من الخير، وإما من الشر[504].

---

[501] -سورة البقرة، الآية: 119.

[502] -النشر، ج: 2، ص: 166. حجة القراءات، ص: 111-112. الموضح، ج: 1، ص: 297-298. معجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، ج01، ص: 183-184.

[503] -(لا) هنا ناهية ولذا جاء الفعل معها مجزوماً، والمخاطب هو النبي صلى الله عليه وسلم.

[504] -انظر الحجة، ج: 02، ص: 217.

المعنى على القراءة الثانيــة:

﴿وَلَا تُسْأَلُ﴾ بضم التاء واللام يحتمل معنيين[505]:

الأول: الرفع لكونه في موضع حال عطفاً على ما قبله، والمعنى: كأنه قال: إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وغير مسؤولٍ.

الثانــي: أن يكون منقطع عن الأول على سبيلِ الاستئنافِ، والمعنى: إنك لا تُسأَلُ عن ذنوبهم، وإنما هم يُسْأَلُونَ عنها[506].

قال ابن عاشور رحمه الله: وقراءة الرفع تقرير لمضمون (إنا أرسلناك بالحق)، والسؤال كناية عن المؤاخذة واللوم أي: لست مؤاخذاّ ببقاء الكافرين على كفرهم بعد أن بلغت لهم الدعوة[507].

وتحقق قراءة الرفع نكتة التشاكل بين الجمل، فقبل الكلام أسلوب خبري وبعده أسلوب خبري، فجاءت القراءة بالرفع خبراً، فيتطابــق ما قبلها وما بعدها.

---

[505] -(لا) هنا نافية ولذا جاء الفعل معها مرفوعاً، والآية إخبار من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم.

[506] -الموضح، ج: 1، ص: 298.

[507] -التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج: 01، ص: 292.

ومن الآيات الدالة على معنى الرفع قولـه تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾[508]، وقوله: ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾[509] إن مصير هؤلاء إلى الجحيم ومعصيتهم لا تضرك، ولست بمسؤول عن ذلك[510].

وحاصل قراءة الرفع أنها تقرر حقيقة ثابتة بما عُهد إلى هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من أداء الرسالة والبلاغ، أما من اختار طريق الضلال فليس الرسول مسؤولاً عنهم. وقد أورد سبحانه الحديث عن قومه على وَفق ما سيؤولون إليه في دركات الجحيم؛ وذلك ليقطع أي أمل بإمكان اللقاء بينه وبينهم، فلم يقل له: ولا تُسألُ عن قومك الذين كفروا بك، وهذه التخلية بينه وبينهم في هذه النقلة الواسعة جعلتهم مصاحبين للجحيم الموعودين بها، وذلك على طريق الجزم والتقرير.

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

قص الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة قصص أقوام من اليهود والنصارى وذكر ضلالتهم وكفرَهم بالله وجَراءتهم على أنبيائهم، ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: إنا أرسلناك يا محمد لتبشر من آمن بك واتبعك، ممن قصصتُ عليك أنباءه، ومن لم نقصص عليك أنباءه، وتنذر من كفر بك وخالفك، فبلغ رسالتي، فليس عليك من أعمال من كفر بك بعد إبلاغك رسالتي تبعةٌ، ولا أنت مسؤول عما فعل

---

[508] –سورة البقرة، الآية: 272.

[509] –سورة المائدة، الآية : 99.

[510] –مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج: 04، ص: 30.

بعد ذلك[511]. قال الإمام الطبري رحمه الله:«قرأت عامة القراء (ولاتُسأَلُ) بضم التاء من تسأل روفع اللام منها على الخبر يمعنى: يا محمد إنا أر سلناك بالحق بشيراً ونذيراً فبلغت ما أرسلت به وإنما عليك اليلاغ والإنذار ولست مسئولاً عمن كفر بما أتيته به من الحق وكان من أهل الجحيم. وقرأ ذلك بعض أهل المدينة (ولا تَسأَلْ) جزماً بمعنى النهي مفتوح التاء من تسأل وجزم اللام منها، ومعنى ذلك على قراءة هؤلاء: إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً لتبلغ ما أرسلت به لا لتَسأل عن أصحاب الجحيم فلا تسأل عن حالهم»[512].

قال ابن أبي مريم رحمه الله: «ووجه ذلك أنه وإن خرج مخرج النهي، فإنه إخبارٌ عن تعظيم العقوبة لأهل النارِ، كما تقول: لا تَسَلْ عن فلانٍ، إذا أردت تعظيم ما هو فيه، وقيل: إنه صلى الله عليه وسلم سأل أيُّ أبويْهِ كان أحدث موتاً، وأراد الاستغفارَ لهما، فأنزل اللهُ تعالى هذه الآية، ونهى عن المسألة عنهما»[513].

ووجه التعظيم أن المستخبَرَ يجزع أن يجري على لسانه ما ذلك الشخص فيه لفظاعته، فلا تَسأَله، ولا تُكلِّفه ما يُضْجرُه، وأنت يا مستخبِرُ لا تقْدر على استماع خبره، فلا تَسْأَلْ يا محمد عنهم فقد بَلَغوا

[511] -جامع البيان: الطبري، ج: 01، ص: 516.

[512] -جامع البيان: الطبري، ج: 01، ص: 515.

[513] -الموضح، ج: 1، ص: 297-298.

غاية العذاب التي ليس بعدها مستزاد[514]، قال الزجاج رحمه الله: «ويكون المعنى على تفخيم ما أَعدَّ لهم من العقاب»[515].

وقال ابن عاشور رحمه الله: السؤال هنا مستعمل في الاهتمام والتطلع إلى معرفة الحال؛ لأن المعنيَّ بالشيء المتطلع لمعرفة أحواله يُكثر من السؤال عنه، أو هو كناية عن فظاعة أحوال المشركين والكافرين، حتى إن المتفكر في مصير أحوالهم يُنهى عن الاشتغال بذلك، لأنها أحوال لا يحيط بها الوصف، ولا يبلُغُ إلى كنْهها العقلُ في فظاعتها وشناعتها، وذلك أن النهي عن السؤال يَرِدُ لمعنى تعظيم أمر المسؤول عنه، نحو قول عائشة رضي الله عنها: «يُصلي أربعاً، فلا تسألُ عن حسنهن وطولهن»[516].

فهو نهي عن السؤال عمن عصى وكفر من الأحياء؛ لأنه قد يتغير حاله فينتقل عن الكفر إلى الإيمان، وعن المعصية إلى الطاعة، ونهي كذلك عن السؤال عمن مات على كفره ومعصيته، تعظيماً لحاله وتغليظاً لشأنه، كما تقول: لا تَسألْ عن فلان؟ أي: قد بلغَ فوق ما تحسَب. والسياق القرآني بهاتين القراءتين يُنشئ معنيين مقصودين، لكل معنى دلالتُه المنشودة التي تُحقق جانباً من الخطاب في طريقة التعامل مع الطرف الآخر المناوئ للدعوة. مع العلم أن الفرق بينهما ضم اللام وتسكينها.

---

514 -المغني: محمد سالم محيسن، ج: 01، ص: 292.

515 -معاني القرآن: الزجاج، ج: 01، ص: 200.

516 -التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج: 01، ص: 292.

المثال الثاني

قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهلُ القُرى أَن يَأتِيَهُم بَأسُنا بَياتًا وَهُم نائِمون .أَوَأَمِنَ أَهلُ القُرى أَن يَأتِيَهُم بَأسُنا ضُحًى وَهُم يَلعَبونَ. أَفَأَمِنوا مَكرَ اللَّهِ فَلا يَأمَنُ مَكرَ اللَّهِ إِلَّا القَومُ الخاسِرونَ﴾[517].

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿أَوَأَمِنَ﴾:

فقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر: ﴿أَوْ أَمِنَ﴾ بإسكان الواو.

وقرأ بقية العشرة: ﴿أَوَأَمِنَ﴾ بفتح الواو[518].

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿أَوْ أَمِنَ﴾ بسكون الواو، باعتبار (أَوْ) عاطفة ومعناها التنوع لا الإباحة، وحذف ورش همزة أمن ونقل حركتها إلى الواو الساكنة.

[517] –سورة الأعراف، الآية: 97–99.

[518] – حجة القراءات، ص: 289. معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، ج03، ص: 108–109.

المعنى على القراءة الثانيـــة:

﴿أَوَ أَمِنَ﴾ بفتح الواو، باعتبار واو عطف دخلت عليها ألف الاستفهام، مثل قوله تعالى قبلها: ﴿أَفَأَمِنَ﴾. قال الكرماني رحمه الله: «﴿أَوَ أَمِنَ﴾ هذه واو العطف دخلت عليه همزة الاستفهام، وقرأ (أَوْ) بسكون الواو ويكون المعنى: (أفأمنوا) يعني الاستفهام استنكاري»[519].

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

أفادت الآية الكريمة على قراءة ﴿أَوْ أَمِنَ﴾ العطف على التخيير، والتقدير: أفأمنوا هذه الضروب من العقوبات؛ أي إن أمنتم ضرباً منها فلا تأمنوا الآخر؛ فهو إنكار بعد إنكار للمبالغة في التوبيخ والتشديد. وعلى قراءة ﴿أَوَ أَمِنَ﴾ العطف على معنى أحد الشيئين، والتقدير: أفأمنوا إحدى هذه العقوبات؛ فهو توبيخ وتقريع لأولئك أمنوا مكر الله. وعلى ذلك تتضمن الآية الكريمة الخبر والاستفهام الإنكاري، قال ابن عاشور رحمه الله: «بسكون الواو على أنه عطف بحرف أوالذي هو لأحد الشيئين عطفاً على التعجب، أي هو تعجب من أحد الحالين؛ وبفتح الواو على أنه عطف بالواو مقدمة عليه همزة استفهام، فهو عطف استفهام ثان بالواو المفيدة للجمع؛ فيكون كلا

[519] –مفاتيح الأغاني: الكرماني، ص: 180.

الاستفهامين مدخولاً لفاء التعقيب على قول جمهور النحاة، وأما على قول الزمخشري فيتعين أن تكون الواو للتقسيم، أي تقسيم الاستفهام إلى استفهامين»[520].

وقال سيد قطب رحمه الله: «أفأمنوا أن يأتيهم بأس الله (ضحى وهم يلعبون) واللعب يستغرق اليقظة والتحفيز، ويلهي عن الأهبة والاستعداد، فلا يملك الإنسان وهو غارق في لعبه أن يدفع عن نفسه مغيراً، فكيف بغارة الله؟ التي لا يقف لها الإنسان وهو في أشد ساعات جده وتأهبه للدفاع»[521].

[520] -التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج: 5، ص: 23.

[521] -في ظلال القرآن الكريم: سيد قطب، ج: 3، ص: 1340.

المثال الثالث

قال الله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[522].

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾:

فقرأ نافع وابن كثير وحمزة: ﴿أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ بتخفيف الميم.

وقرأ بقية العشرة: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ بتشديد الميم[523].

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ خفيفة الميم، والجملة التي قد عادلت (أم) قد حذفت؛ والمعنى: الجاحد الكافر بربه خير أم من هو قانت؟ ويجوز أن يكون التقدير: أأصحاب النار خير أم من هو قانت؟، ويدل على الجملة المحذوفة المعادلة لـ (أم) ما جاء بعدها من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

---

[522] –سورة الزمر، الآية: 09.

[523] – حجة القراءات، ص: 620-621. البدور الزاهرة، ص: 275. معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، ج08، ص: 141-142.

أما قراءة تخفيف الميم فقد ذكر العلماء في دلالاتها:

- الهمزة للاستفهام و(مَنْ) اسم موصول بمعنى الذي مبتدأ، وجملة (هو قانت) صلة الموصول، والخبر محذوف، والمعنى: أمَنْ هو قانت آناء الليل أفضل أم مَنْ جعل لله أنداداً؟ والاستفهام إنكاري.
- الهمزة في (أمَنْ) للنداء، ناداه الله بالأوصاف المذكورة. وفي هذا إيحاء بالثناء على مَنْ هو قانت، وجواب النداء محذوف، والتقدير: إنك من أصحاب الجنة، فحذف جواب النداء لدلالة الكلام عليه.

والذي يبدو أن الألف للاستفهام وليس للنداء ههنا موضع، والتقدير: أَمَنْ هو قانت كمن جعل لله أنداداً[524].

المعنى على القراءة الثانيـــــة:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ بتشديد الميم؛ أي: أم من هو مطيع كمن هو عاص؟، ويكون على هذا الخبر محذوفاً لدلالة الكلام عليه كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلى كُلِّ نَفسٍ بِما كَسَبَت﴾[525]، وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾[526].

---

[524] –الموضح، ج: 3، ص: 1112.

[525] –سورة الرعد، الآية : 33.

[526] –سورة الزمر، الآية : 24.

وأما قراءة تشديد الميم (أمَّن) فقد ذكروا في دلالاتها:

- أم المتصلة دخلت على (مَنْ) الموصولة بمعنى الذي، ومعادلها متقدم محذوف، و(أم) المتصلة تقتضي عادة معادلاً، والتقدير: آلكافر بربه خير أم الذي هو قانت، والاستفهام حقيقي.
- أم المنقطعة المقدرة بـ(بل والهمزة)؛ لمجرد الإضراب الانتقالي، والمعنى: دع تهديدهم بعذاب النار، وانتقل بهم إلى هذا السؤال، والتقدير: بل أمَّنْ هو قانت كغيره، أو الكافر المقول له: تمتع بكفرك، فـ(مَنْ) موصولٌ مبتدأ خبره محذوف تقديره: كغيره.

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــــن:

أفادت الآية الكريمة أن المؤمن ليس كالكافر الذي مضى ذكره في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾[527]، فليس المعرض عن طاعة ربه المتبع لهواه كمن هو قانت مطيع لله بأفضل العبادات وهي الصلاة، وأفضل الأوقات وهو أوقات الليل، فوصفه بكثرة العمل وأفضله، ثم وصفه بالخوف والرجاء، وذكر أن متعلق الخوف عذاب الآخرة على ما سلف من الذنوب، وأن متعلق الرجاء رحمة الله، فوصفه بالعمل الظاهر والباطن.

[527] –سورة الزمر، الآية: 08.

قال الدكتور محمد حجازي[528] رحمه الله: «أما المؤمن الصالح فهذا وصفه بل أمَّن هو قانتٌ في جوف الليل ساجداً وقائماً يدعو ربه، ويحذر حسابه ويخشى عقابه، ويرجو رحمته كمن تقدم ذكره من العصاة، هل يستوي المؤمن والكافر والطائع والعاصي، لا يستويان أبداً، فإنه لا يستوي الذين يعلمون الحق فيتبعونه ويعملون به والذين لا يعلمون الحق، ولذلك فإنهم يتخبطون تخبط العشواء، ويسيرون في ضلالةٍ عمياء وإنما يتذكر أولوا الألباب والعقول الصافية من المؤمنين»[529].

وهكذا تبين من خلال تشديد حرف الميم وتخفيفه مجموعة من المعاني والدلالات المستفادة من القراءتين تبين أن الثواب في الآخرة ليس مساوياً للعمل فقط، وإنما يكون أضعافاً مضاعفة.

[528] –محمد محمود حجازي من علماء الأزهر ومدير معهد المنصورة، درس في الأزهر الشريف وتخرج فيه وعين مديرا لمعهد المنصورة، من كتبه: التفسير الواضح، الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم. (انظر جهود الشيخ محمد محمود حجازي في التفسير الموضوعي: أحمد عباس البدوي).

[529] –التفسير الواضح: محمد حجازي، ص: 1155.

المطلب الثاني: القراءات المتعلقة بالعمـــــوم

العام في اللغة: الشاملُ وخلاف الخاص[530].

واصطلاحاً: لفظٌ يستغرق الصالح له من غيرِ حصرٍ[531].

وأقسامه ثلاثة:

الأول: العام الباقي على عمومه كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظلِمُ النّاسَ شَيئًا﴾[532] ولفظ العام هنا هو (الناس) لأنه معرف بأل.

الثاني: عام أُريد به الخصوص كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾[533] فكلمة الناس هنا عامة إلا أنها أُريد بها الخصوص[534].

---

[530] –المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، ص: 629.

[531] – بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم: موسى الإبراهيم، ص: 161.

[532] –سورة يونس، الآية : 44.

[533] –سورة آل عمران، الآية : 173.

[534] –فالمرادُ بالناس الذين قالوا نعيم بن مسعود لما قال للمسلمين بعد غزوة أحد وهم متوجهون إلى مكة لصدِّ عدوانٍ متوقع من قريش لقيهم نعيم في حمراء الأسد –مكان قريب من مكة– وقال لهم: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. والمراد بالناس المقول عنهم أنهم اجتمعوا لحرب المسلمين أبو سفيان فهو الذي جمع الناس للحرب في تلك الفترة أو هو ومن جمعهم. (بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم: موسى الإبراهيم، ص: 162).

الثالث: العام المخصوص كما في قوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ.أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ.وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ.إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[535] فلفظ العام هنا الشعراء والذي خصصه هو الإستثناء بـ(إلا) في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

وبعد تحديد مفهوم العموم وأقسامه، أسوق بعض الأمثلة للقراءات القرآنية التي جاءت على هذا النحو ولها أثر بين وواضح على فهم القرآن الكريم وتدبر معانيه، وقد أوردت الآيات الكريمة حسب ترتيبها المصحف الشريف.

[535] -سورة الشعراء، الآيات: 224-227.

المثال الأول

قال الله تعالى: ﴿ما كانَ لِلمُشرِكينَ أَن يَعمُروا مَساجِدَ اللَّهِ شاهِدينَ عَلى أَنفُسِهِم بِالكُفرِ أُولئِكَ حَبِطَت أَعمالُهُم وَفِي النّارِ هُم خالِدونَ﴾[536].

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿مَساجِدَ اللَّهِ﴾:

فقرأ ابن كثير أبو عمرو ويعقوب: ﴿مَسجِدَ اللَّهِ﴾ بالتوحيد.

وقرأ بقية العشرة ﴿مَساجِدَ اللَّهِ﴾ بالجمع[537].

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿مَسجِدَ اللَّهِ﴾ المراد المسجد الحرام بمكة المكرمة بدليل قوله تعالى بعدها: ﴿إِنَّمَا المشرِكونَ نَجَسٌ فَلا يَقرَبُوا المسجِدَ الحَرامَ بَعدَ عامِهِم هذا﴾[538]، وهو الذي ذكره الله في قوله: ﴿أَجَعَلتُم سِقايَةَ الحاجِّ وَعِمارَةَ المسجِدِ الحَرامِ﴾[539]، والمعنى ليس للمشركين عمارة المسجد الحرام.

---

[536] –سورة التوبة، الآية: 17.

[537] – حجة القراءات، ص: 316. الموضح، ج: 2، ص: 588-589.

[538] –سورة التوبة، الآية : 28.

[539] –سورة التوبة، الآية: 19.

المعنى على القراءة الثانيـــة:

﴿مَساجِدَ اللَّهِ﴾ على التعميم، يحتمل وجهين:

الأول: أن المراد جميع المساجد، فيدخل المسجد الحرام وغيره من المساجد؛ لأن المشركين ليس لهم عمارة المسجد الحرام ولا غيره من المساجد؛ لأنهم ليسوا بأولياء بها، والحكم شامل للجميع[540].

والثانـــي: أن المراد المسجد الحرام فقط، وأطلق عليه الجمع إما باعتبار أن كل مكان منه مسجد، وإما لأنه قبلة المساجد كلها وإمامها.

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

أفادت الآية الكريمة على قراءة ﴿مَسجِدَ اللَّهِ﴾ ما ينبغي للمشركين أن يعمروا المسجد الحرام بمكة المكرمة، وعلى قراءة ﴿مَساجِدَ اللَّهِ﴾ ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله على التعميم بالعبادة وأنواع الطاعة، وهم مقرُّون على أنفسهم بالكفر بما يظهرونه منه، قال ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى: ما ينبغي للمشركين بالله أن يعمروا مساجد الله التي بنيت على اسمه وحده لا شريك له. ومن قرأ (مسجد الله) فأراد به المسجد الحرام، أشرف المساجد في الأرض، الذي بُني من أول يوم على عبادة الله وحده لا شريك له، وأسسه خليل الرحمن هذا، وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر، أي:

[540] -الموضح، ج: 2، ص: 589.

بجاهم وقالهم، كما قال السدي: لو سألت النصراني: ما دينك؟ لقال نصراني، واليهودي: ما دينك؟ لقال يهودي، والصابئي، لقال: صابئي، والمشرك، لقال: مشرك».

ثم بين سبحانه وتعالى من هو حقيق بعمارة المساجد فقال: ﴿إِنَّما يَعمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ مَن آمَنَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَأَقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ وَلَم يَخشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسى أُولئِكَ أَن يَكونوا مِنَ المهتَدينَ﴾[541] فعلى هذا عمارتها تحتمل ثلاثة أوجه: أحدها: إنما يعمّرها بالإيمان من آمن بالله تعالى. والثاني: إنما يعمرها بالزيارة لها والصلاة فيها من آمن بالله تعالى. والثالث: إنما يرغب في عمارة بنائها من آمن بالله تعالى.

[541] –سورة التوبة، الآية: 18.

المثال الثاني

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[542].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[543].

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿وَرَبَتْ﴾:

فقرأ أبو جعفر: ﴿وَرَبَأَتْ﴾ بزيادة همزة مفتوحة بين الباء والتاء.

وقرأ بقية العشرة: ﴿وَرَبَتْ﴾[544].

---

[542] –سورة الحج، الآية: 05.

[543] –سورة فصلت، الآية : 39.

[544] –البدور الزاهرة، ص: 284.

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿وَرَبَأَتْ﴾ ارتفعت حتى صارت بمنزلة الربيئة، وهو الذي يحفظ القوم على شيءٍ مُشرف، فهو رابئٌ، ورَبيئة على المبالغة، قال امرؤ القيس:

بَعَثْنَا رَبِيئاَ قبل ذلك مُخْمَـــلاً كذئب الغَضَا يمشي الضَّرَاءَ ويتَّقي[545]

قال ابن جني رحمه الله: «أما الهمزة فمن رَبأْتُ القوم: إذا أشرفت مكاناً عالياً لتنظر إليهم وتحفظهم، وهذا إنما فيه الشخوص والانتصاب وليس له دلالة على الوفور والانبساط، إلا أنه يجوز أن يكون ذهابه إلى علو الأرض لما فيه من إفراط الرُّبُوّ، فإذا وصف علوها دل على أنّ الزيادة قد شاعت في جميع جهاتها، فلذلك همز، وأخذه من رَبأْتُ القوم، أي: كنت لهم طليعة»[546].

المعنى على القراءة الثانيـــة:

﴿وَرَبَتْ﴾ زادت وانتفخت، وأصله الزيادة، ربا الشيء يربو رُبُوّاً، أي: زاد، ومنه الربا والرَّبوة.

[545] –ديوان امرئ القيس، ص: 172.

[546] –المحتسب: ابن جني، ج: 2، ص: 74.

قال ابن جني[547] رحمه الله: «المسموع في هذا المعنى ربت؛ لأنه من ربا يربو: إذا ذهب في جهاته زائداً، وهذا حال الأرض إذا ربت»[548].

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــــن:

أفادت الآية الكريمة على القراءة الأولى ﴿وَرَبَأَتْ﴾ أن الأرض ترتفع بنزول الماء عليها رأسياً، وعلى القراءة الثانية ﴿وَرَبَتْ﴾ أن الأرض تزداد وتربو بنزول الماء عليها حيث تنتفخ وتتوسع أفقياً.

فمن آياته الدالة على عظمته وتوحيده وعلى قدرته على البعث أنك تعاين الأرض لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها ماء المطر تحركت بسبب نمو المخبوء فيها من بذور وارتفعت، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ ذَكَرَ دلالة أخرى على البعث، فقال في الأول: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ فخاطب جمعاً، وقال في الثاني: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ﴾ فخاطب واحداً، فانفصل اللفظ عن اللفظ، ولكن المعنى متصلٌ من حيث الاحتجاج على مُنكري البعث[549].

---

[547] –أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (392هـ–1002م)، من أئمة الأدب والنحو، ولد بالموصل وتوفي ببغداد، وكان أبوه مملوكاً روميا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي، من تصانيفه: شرح ديوان المتنبي، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، الخصائص. (الأعلام، ج: 4، ص: 204).

[548] –المحتسب: ابن جني، ج: 2، ص: 74.

[549] –الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 14، ص: 323.

وقد جاء الفعل بصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار؛ فالتربة الجافة حين ينزل عليها الماء تتحرك حركة اهتزاز، وهي تتشرب الماء وتنتفخ، وتزداد فتربو، فيزداد حجمها عمودياً ورأسياً، وأخرجت من كل صنف من النبات جميل المنظر.

المثال الثالث

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾[550].

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿ لِّلْعَالِمِينَ﴾:

فقرأ حفص: ﴿لِّلْعَالِمِينَ﴾ بكسر اللام.

وقرأ بقية العشرة: ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ بفتح اللام[551].

المعنى على القراءة الأولـــــى:

﴿لِّلْعَالِمِينَ﴾ بكسر اللام؛ أي: للعلماء وهو جمع (عالِم) لأن العالِم بالشيء يكون أحسن اعتقاداً من الجاهل كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[552].

---

[550] –سورة الروم، الآية: 22.

[551] –النشر، ج: 02، ص: 344. حجة القراءات، ص: 557–558.

[552] –سورة العنكبوت، الآية : 43.

المعنى على القراءة الثانيـــة:

﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ بفتح اللام؛ وهم جميع الخلق، فالآيات عامة لجميع الإنس والجن، لأنها موضع استدلال واعتبار، وإن ذهل عنها ذاهلٌ وترك الاستدلال بها جاهل. قال ابن خالويه رحمه الله: «والحجة لمن فتح: أنه جعله جمع (عالَم) والعالَم يحتوي كل المخلوقات من إنس وجان ...»[553].

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

أفادت الآية الكريمة على قراءة ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ أن هذه الآيات لجميع البشر، وهي دالة على قدرة الله عز وجل وعلمه، يشهدها العالم والجاهل، فهي آيةٌ للجميع وحجةٌ على كل الخلق، قال ابن عاشور رحمه الله: «معنى قراءة فتح اللام: إن في ذلك آيات لجميع الناس لأنها ثابتة عندهم وآياته معلومة بمجرد التفات الذهن دون إمعان النظر. ومعنى قراءة كسر اللام: أي إن هذه الآيات لأولي العلم فقط»[554].

وخصصت قراءة ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ هذا العموم بالعلماء تنبيهاً لخاصية العالم في الفهم والاعتبار والاستنباط دون الجاهل.

---

[553] –الحجة في القراءات، ص: 282.

[554] –التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج: 10، ص: 75.

قال ابن أبي مريم رحمه الله: «والوجه أنه جمع عالِم بكسر اللام، وإنما خصهم بالذكر وإن كانت الآيات للعالم والجاهل جميعاً؛ لأن العالم هو الذي يتدبر ويستدلُّ فهو المنتفع بها دون الجاهل، فإنها ليست للجاهل لإعراضه عنها وتركه الاستدلال بها»[555].

وقد عني القرآن الكريم بمخاطبة أهل العلم والقعل؛ نظراً لما يُعرف به هؤلاء من خصائص تميزهم عن غيرهم، وهذه الآية الكريمة دليل آخر يضاف إلى أدلة كثيرة دالةٍ على عناية القرآن الكريم بأهل العلم ورفعه من شأنهم وإقراره بتميزهم عن سائر الخلق، من ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[556]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[557]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[558]، وغيرها من الآيات.

فالتبصر لهذه الآيات إنما يكون من العلماء لأنهم أهل النظر والاستنباط والاعتبار دون الجاهلين الذين هم في غفلة وسهو عن تدبر الآيات والتفكر، وهذه الآيات يشهدها العالم والجاهل وفيها آية للجميع وحجة لكل الخلق ليس بحجة على العالَم دون الجاهل، وإن كان العالِم يفيد منها أكثر من غيره؛ تظراً للخصائص التي يتميز بها.

---

555 -الموضح، ج: 2، ص: 1004.

556 -سورة العنكبوت، الآية: 43.

557 -سورة الروم، الآية: 21.

558 -سورة الروم، الآية: 24.

فاختلاف الحركة من الكسر إلى الفتح في هذه الآية الكريمة ينقل المتدبر لآيات الذكر الحكيم إلى دائرة أوسع من المعاني والدلالات، فيتوجه الخطاب إلى جميع الناس لتدبر آيات الله عز وجل والنظر فيها، وإن كان يخص فئة منهم أكثر من فئة كما بينت القراءة الثانية.

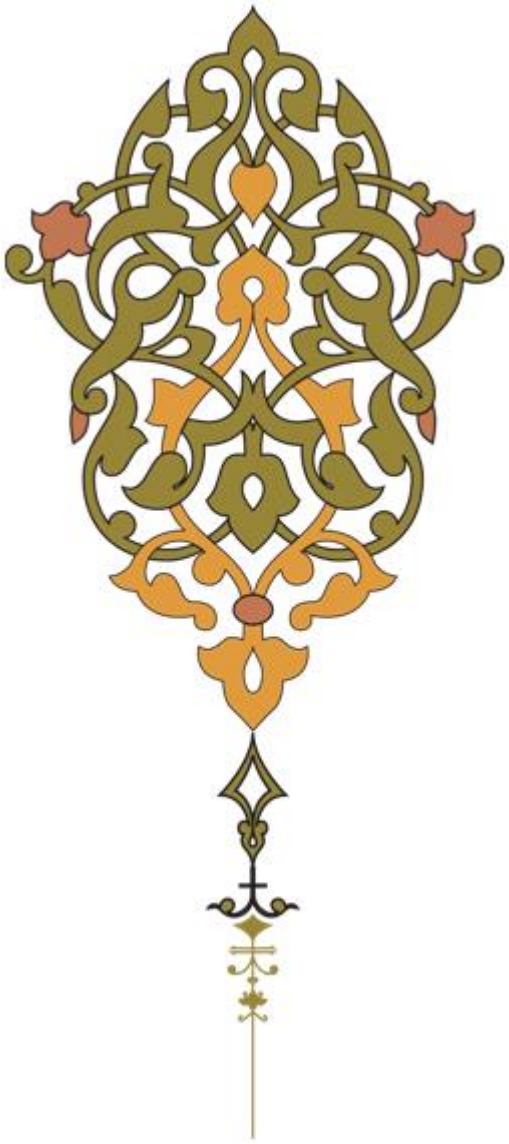

الفصل الثاني

أثر القراءات القرآنية في فهم القرآن الكريم وتدبره

من جهة المعنى

المبحث الأول: قراءات بينت معنى الآية ووضحت دلالتها

المطلب الأول: بيان المعنى من خلال زيادة حرف ونقصه

إن تعدد القراءات في الآية الواحدة يؤدي إلى تعدد المعاني المستفادة من هذه الآية، ويوسع دائرة الفهم لمراد الله تعالى من كلامه في الموضوع الواحد، وهذا شكل من أشكال الإيجاز الذي يفضي إلى كمال الإعجاز؛ إذ أغنى تنوع القراءات عن تعدد الآيات، فنجد اللفظ القليل يحتمل المعاني الكثيرة المتنوعة والمهمة. وفيما يأتي أمثلة لهذا النوع من القراءات.

المثال الأول

قال الله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[559].

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ﴾:

فقراءة عاصم والكسائي ويعقوب:﴿مَالِكِ﴾ بإثبات الألف بعد الميم.

وقراءة بقية العشرة: ﴿مَلِكِ﴾ بحذف الألف[560].

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿مَالِكِ﴾ على وزن (فاعِل) وبالخفض؛ من (مَلَكَ) إذا اتصف بالمِلكِ، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾[561].

والمعنى: أنه سبحانه المتصرف في الأعيان المملوكة كيف يشاء، وإنما خص (يوم الدين) والله عز وجل يملك كل شيء؛ لأنه اليوم الذي يضطر فيه المخلوقون إلى أن يعرفوا أن الأمر كله لله.

---

559 –سورة الفاتحة، الآية : 04.

560 – حجة القراءات، ص: 77–79. والنشر، ج: 01، ص: 213. والبدور الزاهرة، ص: 15. ومعجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، ص: 08–09.

561 –سورة آل عمران، الآية : 26.

ولم يبينه هنا، وبينه في قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ.ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ.يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[562] والمراد بالدين في الآية الجزاء، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾[563] أي: جزاء أعمالهم بالعدل[564].

وذكر الرازي رحمه الله أن قراءة (مالك) تدل على الفضل الكثير والرحمة الواسعة، فلا يطلب منه العدل والإنصاف فحسب، وإنما يطلب منه أكثر من ذلك[565].

وقدر الفارسي إضافة اسم الفاعل (مالك) إلى الظرف، وحذف المفعول به من الكلام؛ للدلالة عليه، والتقدير: مالك يومِ الدينِ الأحكامَ. وحسن هذا الاختصاص لتفرده سبحانه في ذلك اليوم بالحكم. فأما في الدنيا فإنه يحكم فيها الولاة وغيرهم[566].

وليس ثمة ما يمنع من إضافة (مالك) إلى جميع الأشياء، فتقول مثلاً: مالكُ الناس، ومالكُ يوم الدين؛ ولذا وصف سبحانه نفسه بمالك وهي الصفة التي تحسن إضافتها إلى جميع الأشياء. ومن قرأ (مالك) وافق قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾[567].

---

[562] -سورة الإنفطار، الآيات: 17-18-19.

[563] -سورة النور، الآية : 25.

[564] -أضواء البيان: محمد الأمين الشنقيطي، ج: 01، ص: 49.

[565] -مفاتيح الغيب: فخرالدين الرازي، ج: 01، ص: 240.

[566] -الحجة، ج:01، ص: 34.

[567] -سورة آل عمران، الآية : 26.

المعنى على القراءة الثانيــة:

﴿مَلِكِ﴾ بغير ألف على وزن (فَعِلِ) وبالخفض؛ صفة مشبهة دالة على الثبوت، صارت اسماً لصاحب الملك، وتشير إلى صفة المتصرف بالأمر والنهي في خلقه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَتَعالَى اللَّهُ المِلِكُ الحَقُّ﴾[568]، وقوله: ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[569]، وقوله: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾[570].

قال ابن خالويه الهمداني[571] رحمه الله: «وحجة من قرأ ﴿مَلِكِ﴾ قال: لأن ملكا أخصُّ من مالك وأمدح؛ لأنه قد يكون المالِكُ غيرَ ملكٍ ولا يكون الملكُ إلا مالكاً»[572].

وقال ابن أبي مريم: «لأن مَلِكاً يجمع مالكاً، ومالكاً لا يجمع مَلِكاً، ثم إن ملكاً أبلغُ في المدح، والآية إنما نزلتْ في المدح بدلالة ما قبلها، والربوبية والملكُ متشابهان، ولا يكون مَلِكاً حتى يكونَ مالكاً لكثيرٍ من الأشياءِ، والمعنى المَلِك في يوم الدين»[573].

---

[568] –سورة طه، الآية: 114.

[569] سورة الجمعة، الآية: 01.

[570] –سورة الناس، الآية : 02.

[571] –الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله (370هـ/980م)، لغوي من كبار النحاة، أصله من همدان، زار اليمن وأقام بذمار مدة، وانتقل إلى الشام فاستوطن حلب وعظمت بها شهرته وتوفي فيها، من كتبه: مختصر في شواذ القرآن، الحجة في القراءات السبع، إعراب ثلاثين سورة. (معرفة القراء الكبار، ص: 889. والأعلام، ج: 2، ص: 231).

[572] –إعراب القراءات السبع: ابن خالويه، ج: 1، ص: 47.

[573] –الموضح، ج: 1، ص: 129–130.

وذهب الرازي إلى أن لفظة (ملك) تعني: أنه لا يشبه سائر الملوك؛ لأنهم إن تصدقوا بشيء انتقص ملكهم، أما الحق فملكه لا ينتقص بالعطاء بل يزداد، وثبوت الملك له في ذلك اليوم يدل على كمال القهر[574].

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

أفادت الآية الكريمة أنه سبحانه وتعالى يملك يوم الدين والحساب، ولا يملك ذلك اليوم أن يأتي به ولا سائر الأيام غيرُ الله سبحانه، وهذا ما لا يشاركه فيه مخلوق في لفظ ولا معنى؛ قال ابن أبي مريم: «لأن الوصف بالمِلْكِ أعمُّ منه بالمُلْكِ؛ لأنه ينطلق على كل شيءٍ، فالله تعالى مالكُ كل شيء، والمعنى في الآية أنه يملك الحكمَ في يومِ الدينِ، فالمَلِكُ إنما يكون مع الناس، والمالِكُ مع غيرهم، يقال: هو مَلِك الناس ومالك الدراهم، والله تعالى مالكٌ للناسِ ولغيرهم»، فله ذلك التصرف خالصاً يوم الدين دون خلقه، كما أفادت أن له صفات الكمال، وهو لا يشبه سائر الملوك.

ولما بين سبحانه وتعالى ملكه التام في الدنيا بقوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أتبع ذلك ببيان ملكه التام والمطلق في الآخرة، قال ابن كثير رحمه الله: «وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين وذلك في الدنيا والآخرة وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد

[574] –مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج: 01، ص: 239.

هناك شيئاً ولا يتكلم أحد إلا بإذنه»[575]. قال الإمام الطبري رحمه الله يشرح ما أفادته قراءة ﴿مَلِكِ﴾: «لله الملك يوم الدين خالصاً دون جميع خلقه، الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكاً جبابرة، يُنازعونه الملك، ويدافعونه الانفراد بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية، فأيقنوا –بلقاء الله يوم الدين– أنهم الصغرة الأذلة، وأن له دونهم ودون غيرهم الملك والكبرياء والعزة والبهاء، كما قال: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[576]، فأخبر تعالى أنه المنفرد يومئذٍ بالملك دون ملوك الدنيا، الذين صاروا يوم الدين من ملكهم إلى ذلة وصغار، ومن دنياهم في المعاد إلى خسار»[577]، فهذه القراءة تفيد إخلاص الملك له يوم الدين، يملك الحكم بينهم، وفصل القضاء، متفرداً به دون سائر خلقه.

وبمجموع القراءتين تجتمع لنا دلالاتٌ ومعانٍ على نحوٍ يليق بجلاله وكماله سبحانه، فهو سبحانه يملك يوم الجزاء، فلا يليه غيره ولا يشركه فيه أحد، وهو المتصر بفضله الواسع، المنفرد بالملك، وله جميع صفات الكمال، ولما كان الملك لا يتم مُلكه إلا بالمِلك المفيد لتمام التصرف، وكان المالك لا يتم مِلكُه إلا بالملك المفيد للعزة المقرون بالهيبة المثمر للبطش والقهر ونفوذ الأمر جاءت القراءتان لإثبات

[575] –تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج: 01، ص: 25-26.

[576] –سورة غافر، الآية: 16.

[577] –جامع البيان: الطبري، ج: 01، ص: 65.

الأمرين معاً؛ فالله هو الملك والمالك حقيقة ليوم الدين[578]. قال الإمام القرطبي رحمه الله: «إن وُصَف الله سبحانه بأنه مَلِكٌ، كان ذلك من صفات ذاته، وإن وُصِف بأنه مَالِكٌ، كان ذلك من صفات فِعلِه»[579].

والآية الكريمة بقراءتيها جاء مبينة لغايتين تسيطران على كثير من الناس وهما: المُلك وحب الرياسة، المِلك وحب جمع الثروات، وأن ليس لحد منهما شيء في ذلك اليوم، فهما لله وحده، فالله ملك يوم الدين صاحب السلطان، لا سلطان لأحد غيره؛ وهذا ما ترشد إليه قراءة ﴿مَلِكِ﴾، وهو كذلك سبحانه المتصرف وحده في شؤون الناس والكون وهو الذي يملك كل شيء وهذا ما ترشد إليه قراءة ﴿مَالِكِ﴾.

وقد أثار الإمام السيوطي رحمه الله سؤالاً في هذا المقام، فقال: «فإن قلت: قرئ في الفاتحة بالوجهين، ولم يقرأ ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾[580] و﴿مَالِكَ الْمُلْكِ﴾[581] إلا بوجه واحد، فهل لذلك سر؟ وأجاب: الفاتحة

---

[578] –انظر كتاب: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي، ج: 01، ص: 14.

[579] –الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 01، ص: 220.

[580] –سورة الناس، الآية : 02.

[581] –سورة آل عمران، الآية: 26.

لكونها أم القرآن وأساسه، وقع فيها الأمران، كما شأنها في إيراد الألفاظ على سبيل العموم، واقتصر في غيرها على أحد الأمرين»[582].

وأثار الإمام القرطبي رحمه الله سؤالا في الفائدة الثامنة عشر من سورة الفاتحة، فقال: «فيقال: لم خصص يوم الدين، وهو مالك يوم الدين وغيره؟ قيل له: لأن في الدنيا كانوا مُنَازعين في الملك، مثل فرعون ونمرود وغيرهما، وفي ذلك اليوم لا ينازعه أحد في ملكه، وكلهم خَضَعوا له، كما قال تعالى: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾، فأجاب جميعَ الخلق: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[583]. فلذلك قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[584] أي: في ذلك اليوم لا يكون مالكٌ ولا قاضٍ ولا مجازٍ غيرُه سبحانه، لا إله إلا هو»[585].

[582] -قطف الأزهار: السيوطي، ص: 129.

[583] - سورة غافر، الآية: 16.

584 -سورة الفاتحة، الآية : 04.

[585] -الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 01، ص: 220.

المثال الثاني

قال الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[586].

تنوعت القراءات في كلمة ﴿نُنسِهَا﴾:

فقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿نَنسأْها﴾.

وقرأ بقية العشرة: ﴿نُنسِهَا﴾[587].

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿نَنسأْها﴾ بفتح نون المضارعة وسكون الهمزة؛ من النَّسْء، أي: التأخير، ونسأ الإبل نسئاً: زاد في وردها، وأخرها عن وقتها، وامرأةٌ نَسْء إذا تأخر حيضها، ونسأتُ الإبلَ عن الحوض إذا أخرتها، والمعنى: أو نؤخر نسخ لفظها، وتأخير النسخ على وجهين:

الأول: أن يُؤخر التنزيل للآية فلا ينزل من اللوح المحفوظ، وهو قول عطاء، فلا يعمل به، فيتأخر إنزاله.

---

[586] – سورة البقرة، الآية: 106.

[587] – حجة القراءات، ص: 109-110. والنشر، ج: 2، ص: 165. البدور الزاهرة، ص: 38. ومعجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، ص: 172-173.

والثاني: أن ينزل القرآن فيُتلى ويعمل به، ثم يؤخر، فينسخ العملُ به دون اللفظ، أو ينسخ العمل به واللفظ.

ومعنى الآية: ما نبدل من آية أنزلناها إليك يا محمد، فنبطل حكمها، ونثبت خطها، أو نؤخرها فنرجئها، ونقرها فلا نغيرها، ولا نبطل حكمها، نأت بخير منها أو مثلها[588].

وذهب ابن عاشور رحمه الله إلى أن النسء مقابل للنسخ: وهو ألا يذكِّر الرسولُ الناسَ بالعمل بحكم مشروع، ولا يأمر من يتركه بقضائه، حتى ينسى الناس العملَ به، فيكون ذلك إبطالاً للحكم. والمعنى بقاء الحكم مدةً غير منسوخ[589].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: «نؤخر نزولها أو نسخها، وقيل: نُذهبها عنكم حتى لا تقرأ ولا تذكر»[590].

المعنى على القراءة الثانيـــــة:

﴿نُنسِهَا﴾ بضم النون الأولى وسكون الثانية وكسر السين من غير همز، فقد قالوا في معناها:

[588] –جامع البيان: الطبري، ج: 01، ص: 478.

[589] –التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج: 01، ص: 259.

[590] – الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 02، ص: 309.

- من النسيان الذي هو ضد الذِّكر. والمعنى نُنْسِكَها يا محمد، فلا تذكرها، والفعل منقول بالهمزة إذا تعدى إلى مفعولين هما: النبيُّ صلى الله عليه وسلم والهاء، وحذف المفعول الأول[591].

قال ابن أبي مريم رحمه الله: «ومعناه: ننسكم إياها، وهو منقولٌ من نسيَ الذي هو خلاف ذَكَرَ، وقيل بل من نسيَ إذا تَرَكَ أي نأمركم بتركها»[592].

ورجح مكي بن أبي طالب رحمه الله هذا المعنى وشرحه بقوله: إذا رفعنا آية بنسخٍ أو نسيانٍ نقدِّره عليك يا محمد، أتينا بخير منها في الصلاح لكم، أو بمثلها في التعبد. ويرى أنه يدل على النسيان بدليل قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى.إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾[593]، فقد أعلمه الله أنه لا ينسى شيئاً مما نزل عليه إلا ما شاء الله أن ينساه مما قدر أن يبدله بأصلح منه للعباد أو بمثله. فالله عز وجل إذا شاء أنسى من القرآن من يشاء أن يُنسيه[594].

ولم يرتض الزجاج رحمه الله هذا القول، وقال: وهذا القول عندي ليس بجائز؛ لأن الله عز وجل قد أنبأ النبي في قوله: ﴿وَلَئِن شِئنا لَنَذهَبَنَّ بِالَّذي أَوحَينا إِلَيكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَينا وَكيلًا﴾[595] أنه لا

---

[591] -الكشف، ج: 01، ص: 259.

[592] -الموضح، ج: 1، ص: 295.

[593] -سورة الأعلى، الآية: 06-07.

[594] -انظر كتاب الحجة، ص: 110.

[595] -سورة الإسراء، الآية: 86.

يشاء أن يذهب بالذي أوحى به إلى النبي. وفي قوله ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى.إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ قولان يبطلان ما حكيناه: الأول: فلا تنسى، أي: لست تترك إلا ما شاء الله أن تترك. والثاني: أن يكون ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ مما يلحق بالبشرية، ثم تذكر بعدُ، وليس أنه على طريق سلْب النبي شيئاً أُوتيه من الحكم[596].

- من (الإنساء) الذي هو الترك، يقال: نَسيت الشيء إذا تركته، وأُنسيته إذا أُمرت بتركه، أي: نتركها فلا ننسخها، قال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُم﴾[597] أي: تركوا الله فتركهم[598].

وفسر ابن أبي مريم القراءة بقوله: «أي: نأمركم بتركها، ونحملكم على الترك»[599].

ورجح الزجاج رحمه الله هذا المعنى، وفرق بين الترك والنسخ: بأن النسخ يأتي في الكتاب في نسخ الآية بآية، فتبطل الثانية العمل بالأولى، ومعنى الترك أن تأتي الآية بضرب من العمل، فيؤمر المسلمون بترك ذلك بغير آية تأتي ناسخة للتي قبلها، نحو: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾[600]، ثم أمر المسلمون بعد ذلك بترك المحنة، فهذا معنى الترك[601].

---

596 -معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، ج:01، ص: 189.

597 -سورة التوبة، الآية: 67.

598 -جامع البيان: الطبري، ج: 01، ص: 477.

599 -الموضح، ج: 1، ص: 295.

600 -سورة الممتحنة، الآية : 10.

601 -معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، ج: 01، ص: 190.

وحاصل هذه القراءة أن الله عز وجل قد يقدِّر نسياناً على محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يذكر آيةً من آيات القرآن، وقد يُؤْمر المسلمون بترك العمل بآية معينة[602]. قال الإمام القرطبي رحمه الله: «والذي عليه أكثر أهل اللغة والنظر أن معنى﴿نُنسِهَا﴾: نُبح لكم تركها؛ من نسي: إذا ترك، ثم تُعدّيه. وقيل: من النسيان على بابه الذي هو عدم الذكر، على معنى: أو ننسِكَها يا محمد فلا تذكُرُها، نقل بالهمزة، فتعدّى إلى مفعولين: وهما النبي والهاء، لكن اسم النبي مقدر محذوف»[603].

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

أفادت الآية الكريمة أن الله عز وجل لحكمة يريدها قد يشاء تأخير قـدْرٍ من التنزيل الحكيم، فلا يُنْزله من اللوح المحفوظ أصلاً، أو يشاء إنزاله للعمل به إلى أجل مسمى عنده ثم يؤخره لمصالح العباد وهو أعرف بهم وبما يناسبهم. وهي آية عظمى في الأحكام، وسببها أن اليهود لما حسدوا المسلمين في التوجه إلى الكعبة، وطعنوا في الإسلام بذلك، وقالوا: إن محمداً يأمر أصحابه بشيء ثم ينهاهم عنه؛ فما كان هذا القرآن إلا من جهته، ولهذا يناقض بعضه بعضاً، فأنزل الله: ﴿وَإِذا بَدَّلنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعلَمُ بِما يُنَزِّلُ قالوا إِنَّما أَنتَ مُفتَرٍ بَل أَكثَرُهُم لا يَعلَمونَ﴾[604].

---

602 –انظر كتاب: كيف نتعامل مع القرآن: محمد الغزالي، مفهوم النسخ في القرآن، ص: 82 وما بعدها.

603 –الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 02، ص: 310.

604 –سورة النحل، الآية: 101.

وأنزل: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[605].

- النسء أو الإنساء الوارد في الآية الكريمة يحتمل أمرين:

1. أن يكون خاصاً بآيات القرآن الكريم وما أنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم كما سبق وأشرت.

2. أنه عام في كل ما نزل على الأنبياء عليهم السلام.

وهذا يدل على أن الشرائع ينسخ بعضها بعضاً، ويطرأ عليها النسء والإنساء كما يطرأ على الشريعة الواحدة، وأن شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة لكل الشرائع، خلافاً لما يدعيه اليهود من أن شريعتهم لا تنسخ.

وعلى هذا فالمقصد الأصلي من هذه الآيات هو تعليم المسلمين أصلاً من أصول الشرائع، وهو أصل النسخ الذي يطرأ على شريعة بشريعة بعدها، ويطرأ على بعض أحكام شريعة بأحكام تبطلها من تلك الشريعة، ولكون هذا هو المقصد الأصلي عُدل عن مخاطبة اليهود بالرد عليهم، ووُجه الخطاب

[605] – سورة البقرة، الآية: 106. (انظر الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 02، ص: 300).

إلى المسلمين كما دل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾[606] وعطفه عليه بقوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾[607]، ولقوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ ولم يقل من شريعة.

وفي هذا إعراض عن مخاطبة اليهود؛ لأن تعليم المسلمين أهم وذلك يستتبع الرد على اليهود بطريقة المساواة؛ لأنه إذا ظهرت حكمة تغيير بعض الأحكام لمصلحة تظهر حكمة تغيير بعض الشرائع[608].

فتكون لفظة واحدة قد وردت في الآية قد أفادت كل هذه المعاني، والقاعدة العامة أن كل قراءة بمنزلة آية، فتكون هاتان القراءتان قد عددت لنا ضروباً مما يُجريه الله عز وجل على بعض آيات الذكر الحكيم، لحكمة يريدها، فقد يشاء تأخير شيء من القرآن الكريم فيُبقيه في اللوح المحفوظ، أو ينزله للعمل به ثم يؤخره أو ينسي نبيه شيئاً منه، أو يحمله ويحمل المسلمين على تركه.

ويشتمل النسخ[609] في القرآن الكريم على حكمٍ عديدة، وقد أفادت الآية الكريمة في السورة البقرة وقوعه، وأن ما ينسخه الله من آية أو يؤخره إنما هو بتقديره وتدبيره، فيأتي بخير من المنسوخ أو المنسوء، أو مثله[610].

---

606 –سورة البقرة، الآية : 107.

607 –سورة البقرة، الآية: 108.

608 –التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج: 01، ص: 425.

609 – النسخ في اللغة: إزالة الشيء وإقامة آخر مقامه، ومنه: نسخت الشمس الظل إذا أزالته، وحلت محله، وقد يزول الشيء دون أن يقوم آخر مقامه، نحو: نسخت الريح الأثر. ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها، أو بالحِكم المستفادة منها، أو بهما جميعاً. (انظر لسان العرب: ابن منظور، مادة (ن س خ)، ج: 03، ص: 58-59).

610 –انظر كتاب النسخ في الشرائع السماوية: شعبان محمد إسماعيل، ص: 108-110.

المثال الثالث

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾[611].

تنوعت القراءات في كلمة ﴿عِبَادُ﴾:

فقرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي وخلف: ﴿عِبَادُ﴾ بالألف بعد الباء الموحدة المفتوحة ورفع الدال.

وقرأ باقي العشرة: ﴿عِندَ﴾ بالنون الساكنة وفتح الدال بلا ألف[612].

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿عِبَادُ الرحمن﴾ جمع عبد، كقوله تعالى: ﴿بَل عِبادٌ مُكرَمونَ﴾[613]، وهذه القراءة تدل على نفي وتكذب من جعل الملائكة بنات الله.

---

[611] –سورة الزخرف، الآية: 19.

[612] – حجة القراءات، ص: 647. والنشر، ج: 2، ص: 275-276. وإتحاف فضلاء البشر: البنا، ج: 2، ص: 454-455. والبدور الزاهرة، ص: 288. ومعجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، ج: 8 ص: 357 إلى 359.

[613] –سورة الأنبياء، الآية : 26.

المعنى على القراءة الثانيـة:

﴿عِندَ الرحمن﴾ يحتمل وجهين من المعنى:

الأول: أنهم عند الله تعالى بالقربة والمنزلة.

الثاني: أنهم عند أمره وحكمه، كما تقول: أنا عندك وبين يديك، أي في طاعتك[614]، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَستَكبِرونَ عَن عِبادَتِهِ وَيُسَبِّحونَهُ وَلَهُ يَسجُدونَ﴾[615]، وقوله: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ وَمَن عِندَهُ لا يَستَكبِرونَ عَن عِبادَتِهِ وَلا يَستَحسِرونَ﴾[616].

وفي هذه القراءة دلالة على رفع مكانتهم وشرف منزلتهم وجلالة قدرهم عند الله عز وجل.

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

الخلاف بين القراء في هذه الآية الكريمة يقرر بمجموعه المعتقدَ السليمَ في الملائكة المقربين؛ وفي التنزيل ما يشهد للقراءتين معاً؛ لفظاً ومعنى، فللقراءة الأولى قوله تعالى في مدح الملائكة: ﴿بَل عِبادٌ مُكرَمونَ﴾[617].

---

[614] -الموضح، ج: 3، ص: 1147.

[615] -سورة الأعراف، الآية: 206.

[616] -سورة الأنبياء، الآية: 19.

[617] -سورة الأنبياء، الآية: 26.

وللقراءة الثانية قوله تعالى: ﴿وَمَن عِندَهُ لا يَستَكبِرونَ عَن عِبادَتِهِ وَلا يَستَحسِرونَ﴾[618]. فالملائكة الكرام عباد الرحمن وعنده، وقد بينت النصوص الشرعية في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مقامهم الشريف وأوصافهم الكريمة ونفي مطاعن المشركين فيهم.

وادعائهم أن الملائكة بنات الله ادعاء فيه من الوقاحة وسوء الأدب مع الله ما لا يصدر عن سوي، فهم يكرهون البنات لأنفسهم ومع ذلك ينسبونهم إلى الله، قال تعالى: ﴿وَيَجعَلونَ لِلَّهِ ما يَكرَهونَ﴾[619]، والسياق واضح النكير عليهم في ذلك، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ.أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ.وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[620].

فإذا كانت البنات في تصوركم بهذه المنزلة من الضعف والمهانة، بحث تَسوَدُّ وجوهكم ويعتريكم الهم والغم إذا بشرتم بأنثى، فكيف تربأون بأنفسكم عن نسبتهن إليكم، ولا تربأون عن نسبتهن لخالقكم وخالقهن؟.

والتعبير بـ﴿عِبَادُ الرحمن﴾ ينفي أولا كون الملائكة بنات الله، بل هم عباده الطائعون، ثم إن في هذا اللفظ دلالة على التكريم ورفعة المنزلة خصوصاً بإضافتهم إلى الرحمن.

---

[618] –سورة الأنبياء، الآية: 19.

[619] –سورة النحل، الآية: 62.

[620] –سورة الزخرف، الآيات: 15-17.

والتعبير بـ﴿عِندَ الرحمن﴾ فوق دلالة الشرف وجلالة القدر، إشارة إلى بعد المكان المفضي إلى بعد المكانة من ناحية، والبعد عن إدراكهم بالحواس من ناحية أخرى، لذا جاء بعدها الإنكار عليهم وتكذيبهم ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ فهم عباد الله وهم عند الله فكيف حكمتم عليهم بذلك؟ قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾: وهذا تهكم بهم، بمعنى أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم إلى علم، فإن الله لم يضطرهم إلى علم ذلك، ولا تطرقوا إليه باستدلال، ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم، فلم يبق إلا أن يشاهدوا خلقهم، فأخبروا عن هذه المشاهدة ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ التي شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ وهذا وعيد لهم[621].

وفي الآية الكريمة على القراءة الأولى دليل لمن فضل الملائكة على صالحي البشر؛ فكونهم عند الرحمن عز وجل يتنعمون بقربه من أظهر الأدلة على تفضيلهم على غيرهم. أما على القراءة الثانية فلا يظهر فيها تفضيلهم على صالحي البشر، فقد وصف الله عز وجل صالحي البشر بأنهم عبيد له، فقال سبحانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[622]، فهو وصف يشترك فيه صالحو البشر والملائكة، والقراءة الأولى هي محل التفضيل.

ويستفاد من هذه الآية الكريمة أربع مسائـل:

الأولى: أن الكفار افتروا على الملائكة أنهم إناث زاعمين أنهم بنات الله.

---

[621] –الكشاف: الزمخشري، ج: 03، ص: 483.

[622] –سورة الفرقان، الآية: 63.

الثانية: أنه وبخهم على ذلك توبيخاً شديداً وأنكر عليهم ذلك في قوله: ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ يعني هل حضروا خلق الله لهم فعاينوهم إناثاً؟

الثالثة: أن شهادتهم الكاذبة بذلك ستكتب عليهم.

الرابعة: أنهم يسألون عنها يوم القيامة.

وهذه المسائل الأربع التي تضمنها هذه الآية الكريمة، جاءت موضحة في غير هذا الموضع.

أما الأولى منها وهي كونهم اعتقدوا الملائكة إناثاً، فقد ذكرها تعالى في مواضع من كتابه، كقوله تعالى: ﴿أَفَأَصفاكُم رَبُّكُم بِالبَنينَ وَاتَّخَذَ مِنَ المَلائِكَةِ إِناثًا إِنَّكُم لَتَقولونَ قَولًا عَظيمًا﴾[623]، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾[624]، وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ.أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ.أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾[625]، إلى غير ذلك من الآيات.

---

[623] –سورة الإسراء، الآية: 40.

[624] –سورة النجم، الآية: 27.

[625] –سورة الصافات، الآيات: 149-150-151.

وأما المسألة الثانية، وهي سؤاله تعالى لهم على وجه الإنكار والتوبيخ والتقريع: هل شهدوا خلق الملائكة وحضروه، حتى علموا أنهم خلقوا إناثاً، فقد ذكرها في قوله تعالى: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾[626] وبين تعالى أنه لم يشهد الكفار خلق شيء في قوله: ﴿ما أَشهَدتُهُم خَلقَ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَلا خَلقَ أَنفُسِهِم وَما كُنتُ مُتَّخِذَ المِضِلّينَ عَضُدًا﴾[627].

وأما المسألة الثالثة التي هي كون شهادتهم بذلك الكفر ستكتب عليهم، فقد ذكرها تعالى في مواضع من كتابه، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ.كِرَامًا كَاتِبِينَ.يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[628]، وقوله تعالى:﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[629]، وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسانٍ أَلزَمناهُ طائِرَهُ في عُنُقِهِ وَنُخرِجُ لَهُ يَومَ القِيامَةِ كِتابًا يَلقاهُ مَنشورًا﴾[630].

---

[626] –سورة الصافات، الآية: 150.

[627] –سورة الكهف، الآية : 51.

[628] –سورة الإنفطار، الآيات: 10-11-12.

[629] –سورة الجاثية، الآية : 29.

[630] –سورة الإسراء، الآية: 13.

وأما المسألة الرابعة: وهي كونهم يسألون عن ذلك الافتراء والكفر، فقد ذكرها الله تعالى في آيات من كتابه، كقوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[631]، وقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسأَلَنَّهُم أَجمَعينَ. عَمّا كانوا يَعمَلونَ﴾[632]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[633]، وقوله تعالى: ﴿وَيَجعَلونَ لِما لا يَعلَمونَ نَصيبًا مِمّا رَزَقناهُم تَاللَّهِ لَتُسأَلُنَّ عَمّا كُنتُم تَفتَرونَ﴾[634] إلى غير ذلك من الآيات[635].

المطلب الثاني: بيان المعنى من خلال التخفيف والتشديد

قد ينتج التنوع في القراءات القرآنية عن التخفيف والتشديد، فقد تأتي الآية القرآنية على قراءة مخففة وتأتي على قراءة أخرى مشددة، وهذا يبين المعنى اختلاف أو تضاد، بل يزيد الآية وضوحاً وبياناً، وسأذكر في هذا المطلب أمثلة للقراءات القرآنية التي جاءت على هذا النحو وأثرت في فهم القرآن الكريم وتدبر معانيه، وقد أوردت الآيات الكريمة حسب ترتيبها المصحف الشريف.

631 –سورة العنكبوت، الآية: 13.

632 –سورة الحجر، الآية: 93.

633 –سورة الزخرف، الآية: 44.

634 –سورة النحل، الآية: 56.

635 –انظر أضواء البيان: محمد الأمين الشنقيطي، ج: 07، ص: 233 وما بعدها.

المثال الأول

قال الله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[636].

تنوعت القراءات في كلمة ﴿يَكْذِبُونَ﴾:

فقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بفتح الياء وتخفيف الذال.

وقرأ بقية العشرة: ﴿ يُكَذِّبُونَ﴾ بضم الياء وتشديد الذال[637].

المعنى على القراءة الأولـى:

﴿يَكْذِبُونَ﴾ بالتخفيف تثبتُ لهم الكذب، و(ما) مصدرية[638]، والتقدير: بكذبهم.

وذلك لأن الله عز وجل أنبأ عن المنافقين في أول هذه السورة، بأنهم يَكذِبون بدعواهم الإيمان وإظهارهم ذلك بألسنتهم؛ خداعاً لله ولرسوله وللمؤمنين، فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ.يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[639] مع استسراراهم الشك والريبة، وما يخدعون بصنيعهم ذلك إلا أنفسهم، والله زائدهم شكا وريبة بما

---

636 – سورة البقرة، الآية: 10.

637 – حجة القراءات، ص: 88-89. والبدور الزاهرة، ص: 21. ومعجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، ص: 44.

638 –وذاك أن تكون مع الفعل في معنى المصدر (انظر كتاب: الموضح: ابن أبي مريم، ص: 246).

639 –سورة البقرة، الآية: 08-09.

كانوا يكْذبون الله ورسوله والمؤمنين، بقولهم بألسنتهم: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، وهم في قيلهم ذلك كذبة.

والتخفيف كذلك محمولٌ على ما بعده؛ لأنه سبحانه قال بعد ذلك: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[640]، فقولهم لشياطينهم: إنا معكم، دليل على كذبهم في قولهم للمؤمنين: آمنا، فجاء الكلامُ مطابقاً لما قبله وما بعده، وقد وصف سبحانه المنافقين بالكذب فقال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[641]، والكذب هو الإخبار على خلاف ما هو به. وهذا العذاب الأليم لاحقٌ بهم من أجل كذبهم، ونحوه قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾[642]، والقومُ كفرة وإنما خصت الخطيئات استعظاماً لها، وتنفيراً عن ارتكابها.

وقسم ابن عاشور كذب هؤلاء إلى قسمين: خاص؛ بناء على قولهم (ءامنا بالله)، وعام؛ بناء على قولهم: (إنما نحن مصلحون)، فالمقصود كذبهم في إظهار الإيمان، وفي جعل أنفسهم المصلحين دون المؤمنين[643].

---

[640] –سورة البقرة، الآية : 14.

[641] –سورة المنافقون، الآية: 01.

[642] –سورة نوح، الآية: 25.

[643] –التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج: 01، ص: 283.

يتبين مما تقدم: أن هذه القراءة تُثبت صفة الكذب للقوم، واستحقاقهم العذاب مبني عليها، وتُظهر هذه القراءة واقع فئة من المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ كانوا يعيشون بين ظهراني المؤمنين، ويتحلون بالود والمؤازرة، وهم في حقيقة أمرهم أعداء، فيكشف القرآنُ الكريم عن إخبار ألسنتهم بما يخالف واقعهم.

المعنى على القراءة الثانيــة:

﴿ يُكذِّبُونَ﴾ بالتشديد؛ من التكذيب، ومعناه نسبةُ الآخر إلى الكذب، و(ما) مصدرية، والتقدير: بتكذيبهم[644]، لأن أولئك كانوا يُكذِّبون النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ تركوا الإيمان به، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾[645]. والتكذيب عادة أكثرُ من الكذب، إذ كل من كذَّب صادقاً فهو كاذب، وليس كل من كذَبَ مُكذِّباً[646].

ويرى مكي بن أبي طالب رحمه الله: أن (يُكذِّبون) في الآية محمولٌ على ما قبله؛ وذلك أنه سبحانه قال عنهم: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ والمرض هو الشك، ومن شك في شيء لم يتيقنه ولا أقر بصحته، ومن لا يقر بالشيء ولا يؤمن بصحته فقد كذَّب به وجحده، فهم مكذِّبون[647].

---

[644] -الموضح، ج: 1، ص: 247.

[645] -سورة البقرة، الآية: 39.

[646] -الحجة، ص: 89.

[647] -الكشف، ج: 01، ص: 228.

وأجاز الزمخشري أن تُحمل القراءة بالتشديد على المبالغة في الفعل (كذَبَ) كما بولغ في (صَدَق) فقيل: (صدَّق)، كما أجاز حملها على الكثرة نحو: (مَوَّتت البهائم)، أو من قولهم: (كذَّب الوحشي) إذا جرى شوطا ثم وقف؛ لينظر ما وراءه؛ لأن المنافق متردد في أمره[648].

وبناء على ذلك فإن هؤلاء المنافقين يَكذِبون في أقوالهم كالقراءة الأولى، ولكن على نحو كثير، وهم أيضاً مترددون بين الكفر والإيمان.

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

تتحدث الآية الكريمة عن صفة من صفات المنافقين وهي الكذب وتكذيب الآخرين بسبب مرض النفاق الذي أصاب قلوبهم، وبينت ما ينتظرهم في الآخرة من العذاب الأليم.

قراءة ﴿يَكْذِبُونَ﴾ أشبه بما قبلها وهو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[649]؛ لأن قولهم هذا كذبٌ، وهي أليقُ بما بعدها أيضاً وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[650]؛ فقولهم أيضاً كذبٌ، لقولهم لرؤسائهم ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾.

---

[648] -الكشاف: الزمخشري، ج: 01، ص: 61.

[649] -سورة البقرة، الآية: 08.

[650] -سورة البقرة، الآية: 14.

وفي القراءة الثانية نسبة الغير إلى الكذب؛ لأن أولئك كانوا يُكذِّبون النبي صلى الله عليه وسلم، إذ تركوا الإيمان به، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾[651] فكثير من القرآن الكريم يتضمن ذكر التكذيب، ثم إن التكذيب أكثرُ من الكذب؛ إذ كل من كذَّبَ صادقاً فهو كاذبٌ، وليس كل من كذب فهو مكذِّبٌ.

وبذلك أفادت الآية الكريمة تعدد وصف المنافقين إذا جمعنا بين القراءتين، فهم يكذَبون ويُكذِّبون الآخرين؛ وفي هذا دلالة على استفحال أمرهم زمن الدعوة في العهد المدني حتى ينزل الوحي فيهتك سترهم، ويفضحهم بهذا العدد الوفير من الآيات، وبهذه الأوصاف المتعددة التي تنطبق عليهم من خلال آية واحدة.

وهكذا يتقرر أن التكذيب بما أنزل الله عز وجل وبما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم سبب لاستحقاق العذاب لأنه كفر ولكن في كون الكذب وهو معصية سبباً لاستحقاقه وجهان:

[651] –سورة البقرة، الآية: 39.

1. أن لحوق العذاب حاصل لهم من جهات شتى لا من مجرد الكذب، وإنما خص الكذب لقبحه والتنفير منه، ونظير ذلك قول الله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾[652] والقوم كفرة، وإنما خصت الخطيئات استعظاماً لها وتنفيراً عن ارتكابها[653].

2. أن الكذب الذي كذبوه ليس مجرد الكذب الذي هو إخبار بالشيء خلافاً لما هو عليه، بل هو كذب مقرون بنية المعاداة لله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين. ولذا كان الكذب من غير إضمار هذه النية شعبة من شعب النفاق لا نفاقاً محضاً.

وفي الآية الكريمة بقراءتيها بيان لنوعين من أنواع الكفر، وهما:

1. كفر التكذيب؛ وهو اعتقاد كذب الرسل، إما بالقلب كما وقع من المنافقين، وإما باللسان كما وقع من غالب الكفار.

2. كفر النفاق؛ وهو أن يظهر بلسانه الإيمان وينطوي بقلبه على التكذيب، وهذا هو النفاق الأكبر[654].

---

[652] –سورة نوح، الآية: 25.

[653] –انظر محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي، ج: 02، ص: 46.

[654] –انظر مدارج السالكين: ابن القيم، ج: 01، ص: 346.

المثال الثاني

قول الله تعالى: ﴿وَيَجعَلونَ لِلَّهِ ما يَكرَهونَ وَتَصِفُ أَلسِنَتُهُمُ الكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الحُسنى لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النّارَ وَأَنَّهُم مُفرَطونَ﴾[655].

تنوعت القراءة في كلمة ﴿مُفرَطونَ﴾:

فقرأ نافع ﴿مُفرِطونَ﴾ بكسر الراء مخففة وتكسين الفاء.

وقرأ أبو جعفر ﴿مُفرِّطونَ﴾ بكسر الراء مشددة وفتح الفاء.

وقرأ باقي العشرة ﴿مُفرَطونَ﴾ بسكون الفاء وفتح الراء مع التخفيف[656].

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿مُفرِطونَ﴾؛ اسم فاعل من أَفْرَط فهو مُفرِط، وتحتمل المعاني التالية:

- الإسراف، والمفْرِط: المسرف، والمعنى: مسرفون مكثرون من المعاصي، كما تقول: (أفرط فلان في كذا) إذا تجاوز الحد وأسرف. قال الطبري: «أي مفْرِطون في الذنوب والمعاصي، مسرفون

[655] –سورة النحل، الآية: 62.

[656] – حجة القراءات، ص: 391. والنشر، ج: 02، ص: 228. والموضح، ج: 2، ص: 738–739. والبدور الزاهرة، ص: 180. ومعجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، ج: 4 ص: 650 إلى 652.

على أنفسهم، مُكثرون منها، من قولهم: أفرط فلانٌ في القول إذا تجاوز حدَّه وأسرف فيه»[657].

- الإعجال، أفرط: إذا أعْجل ومعناه: وأنهم مُعجلون إلى النار، أي: سابقون إليها، وذوو عجل إليها. والفارطُ: المتقدِّم إلى الماء وغيره، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا فَرَطكم على الحوض»، أي: أنا مُتقدِّمكم وسابقكم.

فهذه القراءة وصفت هؤلاء القوم بأنهم تجاوزوا الحدَّ في المعاصي، وبينت أنهم سابقون إلى النار مُعْجِلون إليها. قال ابن أبي مريم: «والوجه أنه من أفرط إذا جاوز الحدَّ، يعني أنهم أفرطوا في المعاصي»[658].

المعنى على القراءة الثانيــة:

أما قراءة ﴿مُفرِّطونَ﴾ فهي من فرَّط في الأمر إذا قصر فيه، فهم مفرِّطون في أداء الواجب الذي كان لله عليهم في الدنيا من طاعته وحقوقه مضيعو ذلك[659].

وهذه القراءة قريبة من القراءة الأولى في المعنى، ولكن فيها زيادة في المعنى بهذا التشديد على الراء، وهذه الزيادة في المبنى تُنبئ عن زيادة في المعنى، فقد بالغوا في تقصيرهم وتضييع حقوق الله عليهم.

---

[657] -جامع البيان: الطبري، ج: 14، ص: 129.

[658] -الموضح، ج: 2، ص: 739.

[659] -جامع البيان: الطبري، ج: 14، ص: 129.

المعنى على القراءة الثالثـة:

أما قراءة ﴿مُفْرَطونَ﴾ فتحتمل المعاني التالية:

- من قول العرب: أفْرَطْنا فلاناً في طلب الماء، إذا قدَّموه لإصلاح الدِّلاء والأَرشية وتسوية ما يحتاجون إليه عند ورودهم عليه، فهو مُفرَط[660].

والمعنى على هذه القراءة أن هؤلاء القوم مُقدَّمون إلى النار سابقون إليها. وعلى هذا الوجه يكون إطلاق الإفراط على هذا المعنى استعارةً تهكمية، كقول عمرو بن كلثوم:

نزلتم منزل الأضياف منـا فعجلنا القِرى أن تشتمونا[661]

- من قول العرب: أفْرَطْتُ منهم ناساً، أي: خَلَفْتُهم ونَسيتهم، وأفرط الشيءَ إذا نسيه، والمعنى: أنهم متركون في النار منسيون فيها. قال الكسائي رحمه الله: «ما أفرطتُ من القوم أحداً، أي: ما تركت»[662]، وعلى هذا فهم متروكون منسيون في النار.

وقد أفادت هذه القراءة أن هؤلاء الأشقياء سبقوا أقوامهم إلى النار وهم متروكون فيها منسيّون في دركاتها.

---

660 -جامع البيان: الطبري، ج: 14، ص: 129.

661 -شرح القصائد السبع: الأنباري، ص: 420.

662 -مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني : أبو العلاء الكرماني، ص: 241.

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القـــراءات:

أفادت الآية الكريمة على القراءة الأولى ﴿مُفرِطونَ﴾ أنهم متجاوزون الحد في المعاصي، وعلى القراءة الثانية ﴿مُفرِّطونَ﴾ أنهم مقصرون، وعلى القراءة الثالثة ﴿مُفْرَطونَ﴾ معنيين:

الأول: أنهم منسيون متروكون في النار، ويشهد لهذا المعنى قول الله عز وجل: ﴿الَّذينَ اتَّخَذوا دينَهُم لَهوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتهُمُ الحَياةُ الدُّنيا فَاليَومَ نَنساهُم كَما نَسوا لِقاءَ يَومِهِم هذا وَما كانوا بِآياتِنا يَجحَدونَ﴾[663]، وقوله سبحانه: ﴿قالَ كَذلِكَ أَتَتكَ آياتُنا فَنَسيتَها وَكَذلِكَ اليَومَ تُنسى﴾[664]، وقوله سبحانه: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾[665]، إلى غير ذلك من الآيات.

والثاني: أنهم مقدمون إلى النار معجلون إليها، ويشهد لهذا المعنى قول الله تعالى: ﴿يَقدُمُ قَومَهُ يَومَ القِيامَةِ فَأَورَدَهُمُ النّارَ وَبِئسَ الوِردُ المَوردُ﴾[666].

---

[663] –سورة الأعراف، الآية : 51.

[664] –سورة طه، الآية : 126.

[665] –سورة الجاثية، الآية: 34.

[666] –سورة هود، الآية : 98.

ويلاحظ أن كل قراءة قامت مقام آية، ونخلص من مجموع هذه القراءات أن هؤلاء القوم الذي تصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى، أن لهم النار، وأنهم مُسرفون ذوو عجل إلى النار، وهم سيتقدمون قومهم؛ لأنهم أشدُّ أهل النار استحقاقاً، وسيكونون فيها متروكين منسيين. وإنما استحقوا ذلك؛ لأنهم بالغوا في التقصير والمعاصي. وهذه كلمة واحدة من كتاب الله العزيز جمعت كل هذه المعاني والدلالات.

المثال الثالث

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[667].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾[668].

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾[669].

تنوعت القراءات في كلمة ﴿مُعَاجِزِينَ﴾:

فقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ بتضعيف الجيم بغير ألف.

وقرأ بقية العشرة: ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ بالألف[670].

المعنى على القراءة الأولى:

﴿مُعَجِّزِينَ﴾ بالتشديد وبغير ألف؛ اسم فاعل من (عَجَّز)، ويفيد المصدر (التعجيز) معنيين[671]:

---

667 –سورة الحج، الآية: 51.

668 –سورة سبأ، الآية: 05.

669 –سورة سبأ، الآية: 38.

670 – حجة القراءات، ص: 480–481. الموضح، ج: 2، ص: 886. ومعجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، ج: 6 ص: 132–133.

671 – لسان العرب: ابن منظور، مادة: (عجز)، ج: 05، ص: 369.

الأول: التثبيط: ويكون معنى الآية: أن هؤلاء الساعين كانوا يُثبطون الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويريدون تأخيرهم عنه، ويحببُون إليهم ترك اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وفي هذا طرف من بيان العداء الشديد الذي واجهته الدعوة الإسلامية.

والثاني: النسبة إلى العجز، وكان هؤلاء الكافرون ينسبون من يُصدِّق النبي صلى الله عليه وسلم إلى العجز، مثل: جهلت فلاناً، أي: نسبته إلى الجهل، وفسقته، أي: نسبته إلى الفسق.

وهكذا بينت هذه القراءة معنيين في وصف العداء الذي واجهته الدعوة الإسلامية ومن البعثة.

المعنى على القراءة الثانيـــة:

﴿مُعَاجِزِينَ﴾ اسم فاعل من عاجَزَ. والمعاجز: السابق الطالبُ عَجْزَ مسايرِه عن الوصول إلى غايته، وعن اللحاق به، فضيغَ له المفاعلة؛ لأن كل واحد يطلبُ عجز الآخر عن اللحاق به. والمعنى أنهم بعملهم يُغالبون رسول الله ، وهم لا يشعرون أنهم يحاولون أن يغلبوا الله، وقد ظنوا أنهم نالوا مرادهم في الدنيا ولم يعلموا ما لهم من سوء العاقبة وظنوا أنهم لا يبعثون وأنه لا جنة ولا نار.

لقد شُبهت هيئة تفننهم في التكذيب بالقرآن وتطلُّب المعاذير لنقض دلائله، من قولهم: هو سحر، هو شعر، هو أساطير الأولين، بهيئة الساعي في طريقٍ يسابق غيره ليفوز بالوصول.

وأوضح ابن عطية معنى المفاعلة في هذه القراءة بقوله: (معاجزين): مُغالبين، كأنهم طلبوا عجْز صاحب الآيات، والآيات تقتضي تعجيزهم، فصارت مفاعلة[672].

فشخصت هذه القراءة حالة القوم المعاندين في بيان رغبتهم الشديدة في حشْد الإمكانات التي يطلبون من خلالها أن يسبقوا قائد الدعوة؛ وذلك بالتفنن في التكذيب وتطلب المعاذير، وفي ذلك تصوير حي لما كان يبذل في سبيل حرب الدعوة.

قال ابن عاشور رحمه الله: «والمعاجز: المسابق الطالبُ عجزَ مُسايره عن الوصول إلى غايته وعن اللحاق به، فصيغَ له المفاعلة لأن كل واحد يطلبُ عجزَ الآخر عن لحاقه. والمعنى: أنهم بعملهم يغالبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم لا يشعرون أنهم يحاولون أن يغلبوا الله، وقد ظنوا أنهم نالوا مُرادهم في الدنيا ولم يعلموا ما لهم من سوء العاقبة»[673].

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

بينت الآية الكريمة على القراءة الأولى حال الكفار وهم يسعون في الصد عن سبيل الله، وشبهت القراءة الثانية حال الكفار بحال من يمشي سريعاً ليسبق غيره ليعجزه، وبهذا أفادت معناً جديداً وهو إسراع الكفار في الصد عن سبيل الله.

---

[672] –المحرر الوجيز: ابن عطية، ج: 11، ص: 210.

[673] –التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج: 17، ص: 295.

ويتبين لنا من خلال القراءتين معانٍ عديدة في وصف هؤلاء المفسدين، من خلال مشاهد نابضة بالحياة، تمثِّل دأبهم لإعاقة مسيرة الدعوة، كما كان هؤلاء يشنُّون ما يسمى اليوم بالحرب النفسية، فيهوِّنون من شأن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فينسبونهم إلى العجز والهوان وافتقاد الحزم، وهم كذلك يدأبون في تثبيط الناس عن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد أفادت الآية الكريمة بمجموع القراءتين أن الكفار يحاولون تثبيط النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه بتعجيزهم بالمجادلات والمناقضات والتكذيب والمعاندة والشقاق له صلى الله عليه وسلم، وبإخفاء الآيات وصدهم عنها وإضلال الناس بهيئة الساعي في طريقٍ ليسابق غيره ليفوز بالوصول، ولكنهم لا يعلمون أنهم يحاولون إعجاز الله تعالى وهم يظنون أنهم نالوا مرادهم في الدنيا بما يفعلونه، لكنهم لم يعلموا ما لهم من سوء العاقبة في الدنيا والآخرة.

قال الماوردي[674] رحمه الله: «فمن قرأ ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ ففي تأويله أربعة أوجه: أحدهما: مثبطين لمن أراد اتباع النبي صلى الله عليه وسلم. الثاني: مثبطين في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم. والثالث: مكذبين. والرابع: مَعَجزِينَ لمن آمن فإظهار تعجيزة في إيمانه. ومن قرأ ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ ففي تأويه أربعة

[674] -أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (364هـ-450هـ/974-1058م)، مفكر إسلامي وإمام في الفقه والتفسير وبصير بالعربية، نشأ بالبصرة وتعلم وسمع الحديث من العلماء، واشتهر بكثرة التأليف وغزارة الإنتاج ولكن لم يصل إلينا من مؤلفاته إلا القليل؛ من أبرزها: أدب الدنيا والدين، أعلام النبوة، النكت والعيون، الحاوي الكبير. (وفيات الأعيان، ج: 3، ص: 130).

أوجه: أحدهما: مشاقين، والثاني: متسارعين، والثالث: معاندين، والرابع: مُعَاجِزِينَ يظنون أنهم يُعْجِزُونَ الله هرباً»[675].

قال محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «الظاهر بحسب الوضع العربي في قراءة الجمهور (معاجزين): هو اقتضاء طرفين لأن الظاهر لا يعدل عنه إلا لدليل يجب الرجوع إليه، والمفاعلة تقتضي الطرفين إلا لدليل يصرف عن ذلك، واقتضاء المفاعلة الطرفين في الآية من طريقين: الأولى: هي ما قاله ابن عرفة من أن معنى (معاجزين) في الآية أنهم يعاجزون الأنبياء وأتباعهم، فيحاول كل واحد منهما إعجاز الآخر، فالأنبياء وأتباعهم يحاولون إعجاز الكفار وإخضاعهم لقبول ما جاء عن الله تعالى، والكفار يقاتلون الأنبياء وأتباعهم، ويمانعونهم؛ ليصيروهم إلى العجز من أمر الله.

وهذا الوجه ظاهر كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾[676] وعليه فمفعول (معاجزين) محذوف، أي: معاجزين الأنبياء وأتباعهم، أي: مغالبين لهم، ليعجزوهم عن إقامة الحق. الطريقة الثانية: أن معنى (معاجزين) ظانين أنهم يعجزون ربهم فلا يقدر عليهم؛ لزعمهم أنه لا يقدر على بعثهم بعد الموت، كما قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾[677].

---

[675] -النكت والعيون: أبو الحسن الماوردي، ج: 04، ص: 33-34.

[676] -سورة البقرة، الآية: 217.

[677] -سورة التغابن، الآية : 07.

وكما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[678]، وعلى هذا القول فالكفار معاجزين الله في زعمهم الباطل»[679].وقد بين الله تعالى في آيات كثيرة أن زعمهم هذا كاذب وأنهم لا يعجزون ربهم بحال، كقوله تعالى: ﴿وَاعلَموا أَنَّكُم غَيرُ مُعجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخزِي الكافِرِينَ﴾[680]، وقوله تعالى: ﴿فَاعلَموا أَنَّكُم غَيرُ مُعجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذينَ كَفَروا بِعَذابٍ أَليمٍ﴾[681]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[682]، وقوله تعالى في الجن: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾[683]، إلى غير ذلك من الآيات.

❑ ❑ ❑

678 –سورة يس، الآية: 78.

679 –أضواء البيان: محمد الأمين الشنقيطي، ج: 05، ص: 790-791.

680 –سورة التوبة، الآية : 02.

681 –سورة التوبة، الآية : 03.

682 –سورة العنكبوت، الآية: 22.

683 –سورة الجن، الآية : 12.

المبحث الثاني: قراءات وسعت الفهم وأضافت معنى تدبري جديد

من المعلوم أن الهدف الرئيس من تعدد القراءات واختلافها هو التيسير ورفع الحرج عن الأمة في قراءة كتاب ربها عز وجل، وإلى جانب هذا احتوت ظاهرة التنوع في القراءات جوانب أخرى أعطت للنص القرآني تميزه وسموه على الكتب السماوية الأخرى وعلى النصوص البشرية النثرية والشعرية على حدٍ سواء.

وكان من بين هذه الجوانب جانب تعدد المعاني بتعدد القراءات؛ إذ كل قراءة وسعت الفهم وزادت معنىً جديداً لم تبينه أو توضحه القراءة الأخرى، وبهذا اتسعت دائرة تدبر القرآن الكريم بتعدد القراءات، إذ تعدد القراءات يقوم مقام تعدد الآيات القرآنية.

والاختلاف والتنوع في القراءات القرآنية يشبه إلى حد كبير ظاهرة تكرار القصص القرآني، فكل آية أو واقعة تبين معنىً جديداً لم تبينه الآية أو الواقعة السابقة، ففي قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع ضيوفه مثلاً ما يجلي هذا المقصد.

قال الله عز وجل في سورة هود: ﴿وَلَقَد جاءَت رُسُلُنا إِبراهيمَ بِالبُشرى قالوا سَلامًا قالَ سَلامٌ فَما لَبِثَ أَن جاءَ بِعِجلٍ حَنيذٍ﴾[684].

[684] –سورة هود، الآية : 69.

وقال سبحانه في سورة الذاريات: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ.إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ . فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾[685].

فنلحظ أن الله عز وجل يخبر في سورة هود أنه أرسل رسله إلى إبراهيم عليه السلام وأنه قدم لهم عجلا يصفه بالحنيذ أي المشوي على الرصف بحر الحجارة، بينما في سورة الذاريات يبين جنس هؤلاء الرسل وهم الملائكة وبين أن العجل كان سميناً فهو ليس بالهزيل، فكل آية أعطت معنى جديداً لم تبينه الآية الأخرى.

وكذلك في قصة موسى عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿فَأَلقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعبانٌ مُبينٌ﴾[686].

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾[687].

فالجان الصغير من الحيات، والثعبان الكبير منها، فآية سورة الأعراف بينت شكلها وهيئتها وخلقتها، وآية سورة النمل بينت حال تحركها واهتزازها، فكل آية أعطت معنى جديداً لم تبينه الآية الأخرى، وعلى هذا كثير من الآيات والقصص القرآني، لا اختلاف ولا تناقض بين الآيات وإنما لكل آية مقصد وهدف وغاية يقتضيه السياق وجو السورة العام.

---

685 –سورة الذاريات، الآية: 24-25-26.

686 –سورة الأعراف، الآية : 107.

687 –سورة النمل، الآية : 10.

والاختلاف والتنوع في القراءات القرآنية لا يختلف عن هذا المقصد؛ إذ كل قراءة توضح وتبين معنى جديداً لم تبينه القراءة السابقة، وبذلك تتعدد المعاني بتعدد القراءات، إذ كل قراءة بمقام آية.

وبهذا يكون من مقاصد القراءات القرآنية تكثير المعاني واتساعها، ولكن من غير تناقض أو تباين، وسوف أدلل على هذا الأمر بما سأعرضه في هذا المبحث من بعض القراءات، لأن المقام لا يتسع لذكر القراءات جميعها، فالأمر يتطلب دراسة أشمل وأكبر من هذا المبحث، ولكن القراءات التي سأختارها وأبين المعاني التدبرية الجديدة التي أضافتها سوف ترسم ملامح واضحة للموضوع.

المطلب الأول: وقوع حرف مكان آخر

المثال الأول

قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[688].

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾:

قرأ حمزة والكسائي: ﴿كَثِيرٌ﴾ بالثاء.

[688] –سورة البقرة، الآية: 219.

وقرأ بقية العشرة: ﴿كَبِيرٌ﴾ بالباء[689].

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿كَثِيرٌ﴾ لأن الإثم هنا جاء في مقابل المنافع؛ قال ابن أبي مريم رحمه الله: «ووجه ذلك أن الإثم ههنا عُودِلَ به المنافع التي تتصفُ بالكثرةِ؛ لكونها جمعاً في قوله تعالى: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[690]. فلما عُودِلَ به ما تقرر فيه الكثرة حَسُنَ فيه أيضاً أن يوصف بالكثرةِ.

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[691]، فبيّن أن ما يحدث من الخمرِ مضارٌ كثيرةٌ في باب الدّين، فدَلّ على أن كثرة الإثمِ متقررة فيهما»[692].

---

[689] – حجة القراءات، ص: 132- 133. والنشر، ج: 02، ص: 227. والبدور الزاهرة، ص: 49. ومعجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، ج: 01 ص:301.

[690] –سورة البقرة، الآية : 219.

[691] –سورة المائدة، الآية: 91.

[692] –الموضح، ج: 1، ص: 325.

المعنى على القراءة الثانيـــة:

﴿كَبِيرٌ﴾ لأن الإثم إنما يوصف بالكبر نحو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾[693]، و﴿إن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾[694]، ثم إنهم أجمعوا في قوله تعالى: ﴿ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ﴾[695] على الباء دون الثاء، فإجماعهم عليه في الثاني يدل على أنه في الأول أيضاً بالباءِ[696].

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

أفادت الآية الكريمة على القراءة الأولى تعدد آثام الخمر والميسر على الفرد والمجتمع، قال مكي بن أبي طالب رحمه الله: «وذلك أن الخمر تحدث مع شربها آثام كثيرة من لغط وتخليط، وسب وأيمان، وعداوة وخيانة، وتفريط في الفرائض، وفي ذكر الله وفي غير ذلك، فوجب أن توصف بالكثرة»[697]، وقال القرطبي رحمه الله: «إثم الخمر ما يصدر عن الشارب من المخاصمةوالمشاتمةِ وقولِ الفُحش

693 –سورة الشورى، الآية: 37.

694 –سورة النساء، الآية: 31.

695 –سورة البقرة، الآية: 219.

696 –الموضح، ج: 1، ص: 325.

697 –الكشف، ج: 01، ص: 291.

والزُّور، وزوال العقل الذي يعرف به ما يحبُ بخالقه، وتعطيلِ الصلوات والتعوُّقِ عن ذكر الله، إلى غير ذلك»[698]. وأما القِمار فيورِث العداوةَ والبغضاء؛ لأنه أكل مال الغير بالباطل[699].

وأفادت القراءة الثانية ﴿كَبِيرٌ﴾ أن ضرر الخمر والميسر عظيم، قال مكي بن أبي طالب رحمه الله: «وقرأ الباقون بالباء من الكبر، على العظم، أي: فيهما إثم عظيم، وقد أجمعوا أن شرب الخمر من الكبائر، فوجب أن يوصف إثمه بالكبر»[700].

فالكبر يعود إلى الكيفية؛ لأنهما يتضمنان مفاسد كثيرة في العقل والدين والبدن والاجتماع والسلوك، والكثرة تعود إلى الكمية؛ فالإنسان المبتلى يستلزم تعدد الفعل منه، وتعدد الفعل يستلزم كثرة الإثم. قال محمد الأمين الشنقيطي[701] رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، لم يبين هنا ما هذا الإثم الكبير؟ ولكنه بين في آية أخرى أنه إيقاع العداوة والبغضاء بينهم، والصد عن ذكر الله وعن

---

[698] -الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 03، ص: 439.

[699] - الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 03، ص: 441.

[700] -الكشف، ج: 01، ص: 291.

[701] -محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (1325هـ-1393هـ/ 1907-1973م)، عالم مفسر من علماء شنقيط (موريتانيا) ولد وتعلم بها، وحج عام 1367هـ واستقر مدرسا بالمدينة المنورة ثم الرياض عام 1371هـ وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة 1381هـ وتوفي بمكة، من مصنفاته: أضواء البيان في تفسير القرآن، الأسماء والصفات نقلا وعقلا، مذكرة في أصول الفقه، المصالح المرسلة. (الأعلام، ج: 6، ص: 45).

الصلاة، وهي قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[702]»[703].

المثال الثاني

قال الله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[704].

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿نُنشِزُهَا﴾:

فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: ﴿نُنشِرُهَا﴾ بالراء.

وقرأ بقية العشرة: ﴿نُنشِزُهَا﴾ بالزاي[705].

---

[702] –سورة البقرة، الآية: 91.

[703] –أضواء البيان: محمد الأمين الشنقيطي، ج: 01، ص: 168.

[704] –سورة البقرة، الآية: 259.

[705] –النشر، ج: 02، ص: 231. حجة القراءات، ص: 144.

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿نُنشِرُهَا﴾ أي: نحييها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾[706]، ولأن القائل لم يكن في شك في رفع العظام، إنما شكه في إحياء الموتى.

قال القرطبي رحمه الله: «أنشر الله الموتى فنشروا، أي: أحياهم الله فحَيوا»[707]. فكأن الموت طيٌّ للعظام والأعضاء، وكأن الإحياءّ وجمعَ الأعضاء بعضِها إلى بعض نشرٌ.

المعنى على القراءة الثانيـــة:

﴿نُنشِزُهَا﴾ من النشز وهو ما ارتفع من الأرض[708]، والمعنى: نرفعها، وذلك أن العظام إنما توصف بتأليفها وجمع بعضها إلى بعض؛ إذ كانت العظام نفسها لا توصف بالحياة، وإنما يوصف بالإحياء صاحبها.

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــــن:

القصة السابقة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾[709] لإثبات وجود الله تعالى.

---

[706] –سورة عبس، الآية : 22.

[707] –الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 04، ص: 306.

[708] –الموضح، ج: 1، ص: 342.

[709] –سورة البقرة، الآية: 258.

وهذه القصة والتي تليها في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾[710] لإثبات الحشر والبعث بعد الفناء. قال ابن عاشور رحمه الله: «وإذ قد تقرر بالآية قبلها ثبوت إنفراد الله بالألوهية، وذلك أصل الإسلام، أعقب بإثبات البعث الذي إنكاره أصل أهل الشرك»[711].

أفادت قراءة ﴿نُنشِزُهَا﴾ تركيب العظام بعضها على بعض قال مكي بن أبي طالب رحمه الله: «وانظر إلى العظام كيف نرفع بعضها على بعض في التركيب للإحياء»[712]، فالعظام لا تحيا على الانفراد حتى ينضم بعضها إلى بعض، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا﴾[713]. والزاي أولى بذلك المعنى، إذ هو بمعنى الانضمام دون الإحياء، فالموصوف بالإحياء هو الرجل دون العظام على انفرادها، ولا يُقال: هذا عظم حي، وإنما المعنى: فانظر إلى العظام كيف نرفعها من أماكنها من الأرض إلى جسم صاحبها للإحياء[714].

وقراءة ﴿نُنشِرُهَا﴾ الإحياء بعد الموت، قال الإمام الطبري رحمه الله: «وانظر إلى العظام كيف نحييها ثم نكسوها لحما»[715]. وقال ابن عاشور رحمه الله: «فحصل من القراءتين معنيان لكلمة واحدة، فيصبح

---

[710] –سورة البقرة، الآية: 260.

[711] –التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج: 03، ص: 34.

[712] –الكشف، ج: 01، ص: 310-311.

[713] –سورة المجادلة، الآية : 11.

[714] –انظر الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 04، ص: 306.

[715] –جامع البيان، الإمام الطبري، ج: 03، ص: 43.

المعنى: وانظر إلى العظام كيف نرفعها حين نركب بعضها على بعض ثم تغلظ بإحاطة العصب واللحم والدم ثم نحييها بنفخ الروح فيها»[716].

فعملية الإحياء تبدأ بالتحريك الأولي لما يراد إحياؤه، ثم تركيب العظام وانضمامها، ويعقب التحريك الارتفاع قليلاً قليلاً على التدرج ثم الإحياء بنفخ الروح، وهذا وصف دقيق لعملية الإحياء التي أرادها الله عز وجل للعظام بقدرته وتدبيره، وقد اتضح هذا كله بوقوع حرف مكان آخر لا أكثر.

[716] –التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج: 03، ص: 37.

المثال الثالث

قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[717].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[718].

تنوعت القراءات في كلمة ﴿ فَتَبَيَّنُوا﴾:

فقرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر ﴿ فَتَثَبَّتُوا﴾ بثاء مثلثة بعدها باء موحدة بعدها تاء مثناة فوقية في المواضع الثلاثة، موضعي النساء وموضع الحجرات.

[717] –سورة النساء، الآية: 94. وهذه الأية الكريمة نزلت في قوم من المسلمين مرُّوا في سفرهم برجلٍ معه جملٌ وغُنيمة يبيعُها، فسلم على القوم وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ فحمل عليه أحدهم فقتله. فلما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم؛ شق عليه، ونزلت الآية (انظر الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 07، ص: 46–50).

[718] –سورة الحجرات، الآية: 06.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم ويعقوب وأبو جعفر: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ بالباء والياء والنون في المواضع الثلاثة[719].

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿فَتَثَبَتوا﴾ من التثبت وهو التأني[720]، خلاف الإقدام والمراد التأني، أي: تأنوا وتوقفوا حتى تتيقنوا صحة الخبر؛ وذلك لأن التثبت الذي يراد به التأني أشد اختصاصاً بهذا الموضع؛ لأن العرب تقول: تثبَّت في أمرك، أي لاتعجلْ، والمعنى: أرفقوا ولا تعجلوا[721].

قال مكي بن أبي طالب رحمه الله: «وحجة من قرأ بالثاء، أنه لما كان معنى الآية الحض للمؤمنين على التأني، وترك الإقدام على القتل دون تثبت وتبين، أتى بالتثبت لأنه خلاف الإقدام، والتثبت أفسح للمأمور من التبين، لأن كل من أراد أن يتثبت قدر على ذلك، وليس كل من أراد أن يتبين قدر على ذلك، لأنه قد يتبين، ولا يتبين له ما أراد بيانه»[722].

المعنى على القراءة الثانيـــة:

---

[719] -النشر، ج: 02، ص: 189، والبدور الزاهرة، ص: 83 وص: 301. وحجة القراءات، ص: 208-209. ومعجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، ج: 2 ص:131.

[720] -انظر لسان العرب: ابن منظور، ج: 02، ص: 19.

[721] -الموضح، ج: 1، ص: 423.

722 -الكشف، ج: 01، ص: 394.

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ من التبين وهو الفحص والكشف حتى تتبين الحقيقة، أي: فافحصوا واكشفوا، فالتبين يعم التثبت، لأن كل من تبين أمراً فليس يتبينه إلا بعد تثبت، ظهر له ذلك الأمر أم لم يظهر، فلا بد من التثبت مع التبين، ففي التبين معنى التثبت، وليس كل من تثبت في أمر تبينه، فالتبين أعم من التثبت في المعنى لاشتماله عليه[723].

قال الشاعر:

كمـــا راشدٍ تَجِـــدَنَّ امْرَأً تَبَيَّنَ ثمَّ ارعَوَى أو قَـــدِمْ[724]

فاستعمل التَّبَيُّن في الموضع الذي يقف فيه ناظراً في الشيء: متى يُقدِمُ عليه، أو يَرْتَدِعُ عنه؟ والمعنى في الآية: طلب الظهور والإيضاح والبيان.

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

في الجمع بين التبين والتثبت استيفاء لكل مستويات ودرجات الاحتياط، حتى نصل إلى نتيجة صادقة وحكم حاسم في شأن من نتعامل معهم، فلا نكتفي بمجرد التوقف والتأني حتى تكشف الحقائق، وإنما يطلب بدل كل جهد لطلب الحقيقة والسعي إليها.

[723] -انظر المصدر السابق، ج: 01، ص: 394.

[724] -ديوان الأعشى، ص: 35.

قال الشوكاني رحمه الله: «والمراد من التبين التعرف والفحص، ومن التثبت: الأناة وعدم العجلة والتبصر في الأمر الواقع، والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر»[725].

- نهى الله تعالى عن التسرع والإقدام المتهور الذي تكون عاقبته الندم، لذا جاءت قراءة ﴿فَتَثَبَتوا﴾ تشير إلى ذلك.
- لما كان في التثبت فسحة أكبر للمأمور والملكف من التبين، كان الأمر به تيسير وتخفيـــف على المكلفين أن يأتوا بما يستطيعونه في هذا المجال إذ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا﴾[726].
- نهى الله تعالى عن الجهل المفضي إلى الظلم وإلى الجور في الحكم على الآخرين والنيل منهم.

لذا جات قراءة ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ تشير إلى ذلك، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[727]، مع محاولة الإتيان بما هو أكمل في ذلك.

---

[725] –فتح القدير: الشوكاني، ج: 05، ص: 73.

[726] –سورة البقرة، الآية: 286.

727 –سورة الحجرات، الآية: 06.

وأشير هنا إلى ما يتمم المعنى في آية سورة النساء؛ أن كلمة (السلام) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[728]، تنوعت القراءات في كلمة ﴿السلامَ﴾:

فقرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر وحمزة وخلف ﴿السَّلَمَ﴾ بحذف الألف.

وقرأ الباقون بإثباتها ﴿السلامَ﴾[729].

أما قراءة ﴿السَّلَمَ﴾ بغير الألف فتعني الاستسلام والانقياد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَوا إِلَى اللَّهِ يَومَئِذٍ السَّلَمَ﴾[730] أي لا تقولوا لمن استسلم إليكم وانقاد لست مسلماً فتقتلوه حتى تتبينوا أمره.

أما قراءة ﴿السَّلَامَ﴾ فتعني السلام الذي هو تحية الإسلام، والمعنى: لا تقولوا لمن حياكم تحية الإسلام لست مؤمنا فتقتلوه لتأخذوا سلبه، ويجوز أن يكون المعنى: لا تقولوا لمن كف يده عنكم واعتزلكم لست مؤمناً.

728 –سورة النساء، الآية: 94.

729 – النشر، ج: 2، ص: 189. والموضح، ج: 1، ص: 424. والبدور الزاهرة، ص: 83، ومعجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، ج: 02، ص:131.

730 –سورة النحل، الآية: 87.

قال ابن أبي مريم: «أي لا تقولوا لمن حياكم بتحية المسلمين: إنما قالها تعوذاً، بل كفُّوا عنه واقبلوا منه ظاهر ما أبداهُ لكم من الإسلام، وارفعوا عنه السيْفَ»[731].

وحكى الأخفش[732] رحمه الله: أنا سلام: أي معتزل عنكم. لا أخالفكم[733]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[734].

[731] -الموضح، ج: 1، ص: 425.

[732] -سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري أبو الحسن المعروف بالأخفش الأوسط (215هـ/ 830م)، نحوي عالم باللغة والأدب من أهل بلخ، سكن البصرة وأخذ العربية عن سيبويه، من مؤلفاته: تفسير معاني القرآن، شرح أبيات المعاني، القوافي. (الدر الثمين، ص: 382).

[733] -الكشف، ج: 01، ص: 395.

[734] -سورة الفرقان، الآية: 63.

المطلب الثاني: التغيير في الحركات غير الإعرابية

المثال الأول

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذي يُرسِلُ الرِّياحَ بُشرًا بَينَ يَدَي رَحمَتِهِ حَتّى إِذا أَقَلَّت سَحابًا ثِقالًا سُقناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلنا بِهِ الماءَ فَأَخرَجنا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَراتِ كَذلِكَ نُخرِجُ الموتى لَعَلَّكُم تَذَكَّرونَ﴾[735].

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾[736].

وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[737].

تنوعت القراءات في كلمة ﴿بُشْرًا﴾:

قرأ عاصم ﴿بُشْرًا﴾ بالباء الموحدة المضمومة وإسكان الشين في المواضع الثلاثة.

وقرأ ابن عامر ﴿نُشْرًا﴾ بالنون مضمومة وإسكان الشين في المواضع الثلاثة.

وقرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿نَشْرًا﴾ بالنون المفتوحة وسكون الشين.

---

[735] –سورة الأعراف، الآية: 57.

[736] –سورة الفرقان، الآية: 48.

[737] –سورة النمل، الآية: 63.

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب ﴿نُشُرًا﴾ بضم النون والشين[738].

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿بُشْرًا﴾ من البشارة جمع (بشير)[739]، وفعيل يجمع على فُعُل، مثل: رغيف ورُغُف، وأصل هذه القراءة (بُشُرا)، ثم سكِّنت الشين للتخفيف كرسول ورسْل.

والمعنى أن الريح تبشر بنزول المطر ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾[740].

المعنى على القراءة الثانيـــة:

﴿نَشْرًا﴾ مصدر بمعنى الحياة، ومعناها أنها تُحيي البلاد التي كانت على جفاف وقحط، فتدبُّ الحياة في الأرض، ويجوز أن يكون (نشْراً) من النَّشر الذي هو خلاف الطي، فكأن الرياح في سكونها كانت مطوية قبل هبوبها ثم نشرت بعد ذلك فتصير كالمتفتحة. وهذا المعنى موافق لقوله تعالى: ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾[741].

---

[738] -النشر، ج: 02، ص: 202-203. والبدور الزاهرة، ص: 118. وحجة القراءات، ص: 285-286. معجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، ج: 03، ص: من 76 إلى 79.

[739] -الكشف، ج: 01، ص: 465.

[740] -سورة الروم، الآية: 46.

[741] -سورة المرسلات، الآية: 03.

المعنى على القراءة الثالثـــة:

﴿نُشُرًا﴾ جمع ناشر، مثل: شاهد وشُهُد، فيكون قولهم: (ريح ناشر) على النسب، كأنك قلت: ذا نُشُر. ويحتمل أن يكون (نُشُر) جمع نَشور من أبنية المبالغة، نحو: صبور وصُبُر.

واحتمل مكي بن أبي طالب رحمه الله أن تكون هذه القراءة جمع نشُور، ونشور بمعنى ناشر، أي: مُحيية، فالريح ناشرة للأرض، أي: مُحيية لها بما تسوق من مطر[742]. واحتمل الشيخ ابن عاشور رحمه الله أن يكون مفردها فَعُولا بمعنى مفعول، أي: منشورة، أي: مبثوثةً في الجهات متفرقة فيها؛ لأن النشر هو التفريق جهاتٍ كثيرة، ومعنى ذلك: أن ريح المطر تكون لينة، تجيء مرةً من الجنوب ومرة من الشمال، وتتفرق في الجهات حتى ينشأ بها السحاب، وتصريفُ الرياح وتوجيهها يكون بصرفها من جهة إلى أخرى، وهذا الصرف يتم بمشيئة الله[743].

[742] –الكشف، ج: 01، ص: 465.

[743] –التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج: 08، ص: 179.

المعنى على القراءة الرابعـــة:

﴿نُشْرًا﴾ مخففة من القراءة المتقدمة (نُشُراً)، ومفردها فَعُول: نَشُور، أي: جمع ريحٍ نَشور أو جمع ريحٍ ناشِرٍ[744].

فالقراءة بالنون سواء بضمها وضم الشين أو بضمها وإسكان الشين فهي بمعنى واحد.

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القـــراءات:

أفادت الآية الكريمة على قراءة ﴿بُشْرًا﴾ أثر الريح في نزول المطر التي يستبشر بها الإنسان خيراً، يقول الأستاذ مروان حمود: «غالباً ما يرد ذكر إنزال المطر في كتاب الله مقروناً بالرياح التي تثير سحاباً، فينعقد مطراً. فكيف ينشأ السحاب ويتشكل المطر؟

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[745]، تقرر الآية حقيقة علمية وهي: أن الرياح تَهيج أبخرة من سطح الأرض فتسحبها في الجو غيوماً... ويُزجي الله السُّحب التي أرسل إليها الرياح فأثارتها ويدفعها دفعاً رفيقاً خفيفاً، ويؤلف تلك السحب لتزداد كثافة، وتصبح

---

[744] –فإذا كان جمع نَشورٍ احتمل أن يكون فَعُول بمعنى مفعولٍ كما أن رَكوباً بمعنى مركوب، وجاز أن يكون بمعنى مُفَعِّل كطهور ونحوه من الصفات. (الموضح: ابن أبي مريم، ص: 533).

[745] –سورة الروم، الآية: 48.

داكنةً، فتتراكم تلك السحب بعضها على بعض فترتفع إلى طبقات الجو العليا الباردة، فتزداد كثافة ودُكنة حتى إذا جاوزت هذه السحب مستوى التكاثُف انعقدت قُطيْراتٍ لا يقوى الهواء على حملها، فتسقط مطراً من خلال السحب»[746].

وعلى قراءة ﴿نَشْرًا﴾ الأثر الذي تُحدثه الريحُ في إحياء الأرض بعد نزول المطر، وأشارت إلى أثر الريح في إنشاء السحاب وما يعقبه من نزول المطر.

وعلى قراءة ﴿نُشُرًا﴾ و﴿نُشْرًا﴾ بث الرياح في جهات متفرقة كثيرة، وتفريقها وتعدد مهابها، كما أشارت القراءة إلى تأكيد دور الريح في حمل السحاب ونشره وجمعه ليمطر؛ ولذا عبر عنها بصيغة الجمع لتعدد مهابها.

مما تقدم نلحظ أنه لا ينقضي من أحد العَجب وهو يتابع هذا الفيض من المعاني التدبرية التي تحملها لفظة واحدةٌ بقراءاتها المتواترة، إذ تفتح كل قراءةٍ دلالةً ترِدُ على وصف مشهد الريح وهي تتحرك وتسوق السحاب، وهذه اللفظة القرآنية لا تتعدى ثلاثة أحرف ولكنها تحفل بمواقف ومشاهد وصور مرئية ومشاعر متعددة، فالرياح تنشر السحاب، وهي تأتي من جهات مختلفة متعاقبة، فيكون ذلك سبب امتلاء السحاب بالماء، وهي تُحيي الأرض بعد موتها، وتبشر الناس بالخير، ولولا تعدد القراءات لما وقفنا على كل هذه المعاني التي تضمنتها هذه الكلمة في سياق آيتها.

---

[746] –الجغرافيا تدعو إلى الإيمان: مروان حسن حمود، ص: 26.

المثال الثاني

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[747].

تنوعت القراءات في كلمة ﴿يَغُلَّ﴾:

فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ﴿يَغُلَّ﴾ بفتح الياء وضم الغين.

وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب ﴿يُغَلَّ﴾ بضم الياء وفتح الغين[748].

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿يَغُلَّ﴾ المبني للمعلوم معناها: ما كان لنبي أن يخون أصحابه فيما أفاء الله عليهم من أموال أعدائهم.

والمعنى على هذه القراءة: نهي جيش النبي عن أن يغُلُّوا؛ لأن الغلول في غنائمه غلولٌ للنبي؛ إذ قسمة الغنائم إليه، وهذه القراءة تنفي الغلول عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ووجه الرازي هذه القراءة إلى معنيين:

---

[747] –سورة آل عمران، الآية: 161.

[748] –النشر، ج: 02، ص: 183. وحجة القراءات، ص: 179–180. والبدور الزاهرة، ص: 72. معجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، ج: 01، ص:612–613.

الأول: أن النبوة والخيانة لا يجتمعان؛ وذلك لأن الخيانة سببٌ للعار في الدنيا والنار في الآخرة، فالنفس الراغبة فيها تكون في نهاية الدناءة، والنبوة إعلى المناصب الإنسانية.

والثاني: أن التماس القوم من الرسول حصةً زائدة، يُعدُّ غُلولاً منه إن فعله، فالآية مبالغة في النهي له عن ذلك[749].

وحاصل هذه القراءة نفي خيانة النبي لأصحابه فيما أفاء الله عليهم، وأن الغلول ما ينبغي له أن يقع في جيش النبي، ولا تجتمع النبوة والخيانةُ، ولا يجوز للنبي أن يجور في تقسيم الغنائم.

المعنى على القراءة الثانيــة:

أما قراءة (يُغَلّ) المبني للمجهول فقد ذكر الطبري في معناها: أنه ما كان لنبي أن يغُلَّه أصحابه، ثم أسقط لفظ الأصحاب، فبقي الفعلُ غيرَ مسمىً فاعله. وتأويله: ما كان لنبي أن يُخان[750].

ووجه مكي رحمه الله معنى القراءة: إلى أنه ما كان لنبي أن يوجد غالاًّ، كقولك: أحمدتُ الرجل أي: وجدته محموداً، وفي ذلك تنزيه للنبي وتعظيم له[751].

---

[749] -مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج: 09، ص: 71.

[750] -جامع البيان: الطبري، ج: 04، ص: 157.

[751] -الكشف، ج: 01، ص: 164.

وهكذا أفادت هذه القراءة أنه: ما كان لنبي أن يغُلَّه أصحابه،فتؤخذ الغنائم منه بغير إذنه، أو يُنسبَ إلى الغلول أو يوجد غالاً، ويأتي تخصيصه بهذه الحرمة لأن الخيانة أفحش في حقِّه.

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

يسرد المفسرون روايات عديدة في مناسبة نزول هذه الآية وَفْقَ هذه القراءة، منها: أن النبي جمع الغنائم في غزاةٍ، فجاءت جماعة وطالبوه بأن يقسم بينهم الغنائم، فقال لهم الرسول: «لو أن لكم مثل أُحد ذهباً ما منعتُكم درهماً أتروني أغُلُّكم مغْنمكم؟» فنزلت الآية. أي: ما ينبغي له يجور في القسم، ولكن يعدل ويعطي كل ذي حق حقه . وصرف بعض المفسرين معنى الآية إلى أنه لا يقع الغلول في جيشه، أي: ما كان لجيش نبي أن يَغُلَّ، نُبِّهوا إلى شيء يستخفُّ به الجيشُ في الغزوات وهو الغُلول؛ ليعلموا أن ذلك لا يرضي الله، فيحذروه. وهذه مناسبة التحذير من الغلول، ويعضد ذلك أن سبب هزيمتهم يوم أحد تعجُّلُهم إلى أَخْذِ الغنائم، والغلول تعجُّلٌ بأخذ شيءٍ من غالِّ الغنيمة[752].

وبالجمع بين القراءتين أفادت الآية الكريمة أن لا ينبغي لنبي أن يخون في الغنائم فلا يعدل في قسمتها ولا أن يُتهم بذلك لعظم قدر النبي صلى الله عليه وسلم وفضله عند الله، بل لا يجوز أن تقع هذه الكبيرة في جيشه ومن أصحابه حيث تعظم الجريمة لشرف النبي صلى الله عليه وسلم ومنزلته العالية عند الله.

[752] -انظر الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 05، ص: 387-388.

قال القرطبي رحمه الله: «فالآية في معنى نهي الناس عن الغُلول في الغنائم، والتوعد عليه، وكما لا يجوز أن يُخان النبي صلى الله عليه وسلم؛ لا يجوز أن يُخان غيره، ولكن خصه بالذكر لأن الخيانة معه أشد وقعاً وأعظم وزراً؛ لأن المعاصي تعظم بحضرته؛ لتعيُّن توقيره»[753]. ولا يمكن الجمع بين النبوة والخيانة لأمور:

1. أن الغلول من أعظم الذنوب وأشر العيوب، وقد صان الله أنبياءه عليهم السلام من ذلك وجعلهم أفضل العالمين أخلاقاً وأطهرهم وأزكاهم نفوساً، وجعلهم محل رسالته، قال سبحانه: ﴿اللَّهُ أَعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسالَتَهُ﴾[754]. وذلك يجزم بسلامتهم من كل أمر يقدح فيهم، ولا يحتاج إلى دليل على ما قيل فيهم من أعدائهم؛ لأن معرفته بنبوتهم مستلزم لدفع ذلك[755].
2. أنه أتى بصيغة يمتنع معها وجود الفعل منهم وهي صيغة الجحود؛ لإفادة مبالغة النفي فقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ أي: يمتنع ذلك ويستحيل على من اختارهم

[753] – الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 05، ص: 390.

[754] –سورة الأنعام، الآية : 124.

[755] –انظر تيسير الكريم الرحمن: السعدي، ص: 122.

الله عز وجل لنبوته وذلك كقوله تعالى: ﴿ما كانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾[756] يعني: الإلهية واتخاذ الولد لا يجتمعان.

3. نهي الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم عن الغلول لا يدل على أنه فعله، بل النهي للتأكيد على منعه وأنه لا يحل له ذلك، وهذا كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[757]، وقوله: ﴿وَلَو أَشرَكوا لَحَبِطَ عَنهُم ما كانوا يَعمَلونَ﴾[758].

والآية الكريمة على القراءتين تضمنت خبراً ونهيين، وقامت مقام ثلاث آيات في لفظ موجز ولفظ معجز، ومن مجموع المعاني والدلالات المستفادة من القرائتين، مع أنه ليس بينهما إلا تغييرٌ يسيرٌ في الحركة، يتبين أن السياق القرآني قد اختار تشخيص المعنى المجرد وبث الحياة والحركة فيه، فلم يعرض تحريم الغلول على سبيل التقرير فحسب، وإنما أضاف إليه مشهد من يَغْلُلْ، وقد أتى يوم الحساب على رؤوس الأشهاد يحمل ما غلَّه، وأتبع ذلك بتوفية حسابه.

---

[756] –سورة مريم، الآية : 35.

[757] –سورة الزمر، الآية: 65.

[758] –سورة الأنعام، الآية: 88.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[759] أي: يأتي به حاملاً له على ظهره ورقبته، مُعذَّباً بحمله وثِقَله، ومرعوباً بصوته، وموبَّخاً بإظهار خيانته على رؤوس الأشهاد؛ والغرض من ذلك أن يستحضر من يتلبس بذلك عقوبته يوم القيامة فينزجر.

المثال الثالث

قال الله تعالى: ﴿قالَ فَاذهَب فَإِنَّ لَكَ فِي الحَياةِ أَن تَقولَ لا مِساسَ وَإِنَّ لَكَ مَوعِدًا لَن تُخلَفَهُ وَانظُر إِلـهِكَ الَّذي ظَلتَ عَلَيهِ عاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي اليَمِّ نَسفًا﴾[760].

تنوعت القراءات فيقوله تعالى: ﴿لَن تُخلَفَهُ﴾:

فقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ﴿تُخلِفَهُ﴾ بضم التاء وكسر اللام.

وقرأ باقي العشرة ﴿تُخلَفَهُ﴾ بفتح اللام على البناء للمفعول[761].

---

[759] – سورة آل عمران، الآية: 161.

[760] –سورة طه، الآية: 97.

[761] – النشر، ج: 2، ص:241. وحجة القراءات، ص: 462-463. والموضح، ص: 851-852. والبدور الزاهرة، ص: 207. ومعجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، ج: 5 ص: 493-494.

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿تُخلِفَهُ﴾ مبنياً للفاعل، أي: لن تغيب عنه (أنت يا سامري) على وجه التهدد، وستصير إليه مريداً أو كارهاً، فلا يكون لك سبيل إلى أن تخلفه، فهو خبر في معنى وعيد.

ويبرز في هذه القراءة جانب استثارة الجانب النفسي للمخاطب، وهي تسند عدم إخلاف الوعد إليه، وكأن نفسه تسوقه إلى حتفه وهو ينظر دون أن يستطيع كبحها.

المعنى على القراءة الثانيـــة:

﴿تُخلَفَهُ﴾ أي: أن لك من الله موعداً بعذابك على إضلالك بني إسرائيل حين عبدو العجل، لن يخلفكه الله ولكن ينزله، فلما كان الموعد مسنداً إلى الله جل وعز لم يحسن إسناد الخلف إلى السامري، إذ كان الخلف إنما يجري في الكلام ممن وعد لا من الموعود[762]، كما قال الله تعالى: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾[763].

أي إن الله لن يخلفك إياه، ويبرز في هذه القراءة جانب الرهبة الإلهية في الوعيد، والتجاوز عن ذكر الفاعل مع أنه معروف وذلك لتهويل أمر الوعيد.

---

[762] –حجة القراءات، ص: 463.

[763] –سورة الروم، الآية : 06.

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

إخبار بما عاقب الله به السامري في الدنيا والآخرة، فجعل حظه في حياته أن يقول: لا مساس، فأصبح متباعداً عن مخالطة الناس، عائشاً لوحده لايترك أحداً يقترب منه، فيعيش منبوذاً، وتوعده بعذاب الآخرة فجعله موعداً له، أي موعد الحشر والعذاب. وقد أفادت الآية الكريمة على قراءة ﴿تُخلِفَهُ﴾ عدم إخلاف السامري لهذا الموعد وعد غيابه عنه، وعلى قراءة ﴿تُخلَفَهُ﴾ أن الله تعالى لن يُخْلِفَ السامري موعد عذابه وعقوبته. قال الإمام الطبري رحمه الله: «(لن تُخلَفه) بضم التاء وفتح اللام بمعنى: وإن لك موعداً لعذابك وعقوبتك على ما فعلت من إضلالك قومي حتى عبدوا العجل من دون الله، لن يُخْلِفَكَهُ الله ولكن يُذيقَكَه، و(لن تُخلِفه) بضم التاء وكسر اللام، بمعنى: وأن لك موعداً لن تخلفه أنت يا سامري، وتأولوه بمعنى: لن تغيب عنه»[764].

❑ ❑ ❑

[764] -جامع البيان: الطبري، ج: 16، ص: 226.

المبحث الثالث: قراءات أزالت إشكالا في الفهم والتدبر

إن تنوع القراءات كما سبق البيان يؤدي إلى ثراء المعنى وسعته، ولكن قد يثور خلاف بين العلماء في بعض الأحيان حول فهم بعض الآيات من خلال قراءة معينة، ويكثر حول فهم معانيها الجدل، فتأتي القراءة الأخرى لتضبط الفهم وتزيل الإشكال وتوجه الخلاف وجهة أخرى وتفتح آفاقاً جديدة للفهم والتدبر.

المطلب الأول: التغيير في بنية الفعل

المثال الأول

قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[765].

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾:

فقرأ الكسائي﴿هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ﴾ بالتاء ونصب الباء.

[765] –سورة المائدة، الآية: 112.

وقرأ باقي العشرة ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ بالياء وضم الباء[766].

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ﴾ أي: هل تستطيع يا عيسى أن تسأل ربك؟ وهذا كما تقول للرجل: هل تستطيع أن تكلمني، وقد علمت أنه مستطيع لذلك؛ وإنما معناه: افعل ذلك[767].

قال ابن زنجلة: «قال أهل البصرة: المعنى: هل تستطيع سؤال ربك؟ فحَذف السؤال وألقى إعرابه على ما بعده فنصبه، كما قال: ﴿وَسئلِ القَريَةَ﴾[768]، أي أهل القرية»[769].

وقال ابن أبي مريم: «ووجه ذلك أن المرادَ: هل تستطيع سؤال ربك، فحذف المضاف، ومعنى سؤالهم عن استطاعتهِ مسألَةَ الله، أنه محمولٌ على الاحتجاج منهم عليه، أي إنك مستطيعٌ فما يمنعُك؟ كما تقول لصاحبك: هل تستطيع أن تذهب عني فإني مشغول، أي اذهب فإنك غير عاجز عن ذلك، فذلك قولهم: هل تستطيع سؤال ربك، أي إنك مستطيعٌ فسألْ»[770].

---

[766] -النشر، ج: 02، ص: 192. والبدور الزاهرة، ص: 99. وحجة القراءات، ص: 240-241. ومعجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، ج: 02، ص: 368-369.

[767] -معاني القرآن: الفراء، ج: 01، ص: 325.

[768] -سورة يوسف، الآية: 82.

[769] -حجة القراءات، ص: 241.

[770] -الموضح، ج: 1، ص: 455.

المعنى على القراءة الثانيـــة:

﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ أي: هل يستجيب لك ربك إن سألته ذلك؟ كما يقول القائل لآخر: أتستطيع أن تسعى معنا في كذا؟ وهو يعلم أنه على ذلك قادر ولكن يريد السعي معنا فيه.

وقد أشكلت على البعض، إذ فهمو منها أن سؤال الحواريين سؤالُ شك في قدرة الله سبحانه وتعالى، وهذا ينافي الإيمان الذي أثبته الله تعالى لهم في الآية قبلها، إذ السياق: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ. إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[771].

قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف قالوا ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ بعد إيمانهم وإخلاصهم؟ قلت: ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص، وإنما حكى ادعاءهم لهما ثم أتبعه قوله: (إذ قال...) فآذن أن دعواهم كانت باطلة وأنهم كانوا شاكين، وقوله: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم، وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه: اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه، ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إن كانت دعواكم للإيمان صحيحة»[772].

---

[771] –سورة المائدة، الأية: 111-112.

[772] –الكشاف: الزمخشري، ج: 01، ص: 654.

ويبدو لي من السايق–والله أعلم– أنهم كانوا مؤمنين؛ إذ جاء ذكر إيمان الحواريين في سياق تذكير عيسى عليه السلام بنعم الله عليه، فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾[773] ثم ذكر النعم التالية: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[774]، وما كان الله ليمن على رسوله عيسى عليه السلام بأنه أوحى للحواريين بالإيمان مع بقائهم كفرة، أو أن قولهم آمنا كان ادعاءً منهم كما قال الزمخشري رحمه الله.

قال ابن زنجلة رحمه الله: «وحجته–أي القول بأن الحواريين كانوا مؤمنين– قوله قبلها: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[775]، والله تعالى سماهم حواريين، ولم يكن ليسميهم بذلك وهم برسالة رسوله كفرة»[776].

---

[773] –سورة المائدة، الآية : 110.

[774] –سورة المائدة، الآية: 110.

[775] –سورة المائدة، الآية : 111.

[776] –حجة القراءات، ص: 241.

ووجه ذلك أن الفعل مسند إلى الرب تبارك وتعالى، وليس المعنى أنهم كانوا شاكين في قدرة الله تعالى على ذلك، ولكن كأنهم قالوا: نحن نعلم قدرته على ذلك، فليفعلهُ بمسألتك إياه، لتكون دلالةً على صدقك، ولنتبين صحة أمرك من حيثُ لا يبقى فيه إشكالٌ[777].

وفي قول عيسى عليه السلام لهم: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[778] دليل على إيمانهم، ولو كانوا كفاراً ما قال لهم مذكراً ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فهو يذكرهم بالإيمان الذي عندهم، والذي يقتضي أن يدفع لتقوى الله.

قال الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي، بعد أن ذكر أن البيضاوي تبع الزمخشري في رأيه: «وذهب محيي السنة- الإمام البغوي محمد الحسين بن مسعود الفراء (ت 516هـ)- وغيره إلى أنهم كانوا مؤمنين، وسؤالهم للاطمئنان والتثبت كما قال الخليل عليه السلام: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾[779] وهل يستطيع سؤال عن الفعل دون القدر تعبيراً عن الفعل بلازمه أو عن المسبب بسببه، ومعنى إن كنتم مؤمنين إن كنتم كاملين في الإيمان والإخلاص، ومعنى (ونعلم أن قد صدقتنا) علم مشاهدة وعيان بعلم ما علمناه علم إيمان ويقين، بدليل أن المؤمنين أمروا بالتشبه بالحواريين، وأجيب بأن الحواريين فرقتان مؤمنون هم خالص عيسى عليه السلام والمأمور بالتشبه بهم، وكافرون وهم

---

[777] -الموضح، ج: 1، ص: 455.

[778] -سورة المائدة، الآية : 112.

[779] -سورة البقرة، الآية: 260.

أصحاب المائدة، وسؤال عيسى عليه السلام لنزول المائدة وإنزالها ليلزمهم الحجة وقال ابن عطية وغيره من المفسرين إن القول بكونهم غير مؤمنين خارق للإجماع ولا نعلم خلافاً في إيمانهم، وأولوا الآية، وأجابوا عنها بما مر ونحوه، وقالوا صفة الحواريين تنافي عدم إيمانهم، وهو الحق، وادّعاء أنهم فرقتان يحتاج إلى نقل»[780].

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

وبعد الاطلاع على الخلاف حول تفسير هذه الآية، تبين لي أن قراءة الكسائي لا تحتمل التشكيك في إيمان الحواريين، ولهذا تبناها البعض كالذي روي عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقرأ: ﴿هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ﴾، وبالتالي فهي ضابطة وموجهة لأي خلل يمكن أن يطرأ على قراءة الجمهور وتوجيهها، ومن شأن هذه القراءة أن ترفع وتدفع الإشكال المتوهم حول فهم قراءة الجمهور.

وبهذا يكون المعنى البارز في قراءة ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ هو إظهار قدرة الله تعالى وعظمته، والمعنى البارز في قراءة ﴿هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ﴾ هو بيان منزلة عيسى عليه السلام عند الله تعالى.

[780] –عناية القاضي وكفاية الراضي: الشهاب الخفاجي، ج: 03، ص: 578.

المثال الثاني

قال الله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ.وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ.وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ.وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ.فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾[781].

تنوعت القراءات في كلمة ﴿بِضَنِينٍ﴾:

فقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس ﴿بِظَنِينٍ﴾ بالظاء.

وقرأ بقية العشرة: ﴿بِضَنِينٍ﴾ بالضاد[782].

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿بِظَنِينٍ﴾ من (ظن) وهي مشترك لفظي يطلق ويراد به عدة معان، منها:

1. الظنين هو المتهم، فعيل بمعنى مفعول، والظِّنَّة: التهمة[783]. و(ظنَّ) هنا يتعدى إلى مفعول واحد، ويقال فيه: (ظننت زيداً)، أي: اتهمته. والمعنى: أن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس بمتهم فيما يُخبرهم عن الله تعالى من الأنباء، وليس بمتهم في أن يأتي من عند نفسه بزيادة فيما

---

[781] –سورة التكوير، الآيات: من 22 إلى 26.

[782] حجة القراءات، ص: 752. والنشر، ج: 02، ص: 298. والبدور الزاهرة: عبد الفتاح القاضي، ص: 338. ومعجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، ج: 10 ص: 329–330.

[783] –انظر لسان العرب: ابن منظور، مادة: (ظ ن ن)، ج: 13، ص: 272.

أوحي إليه. قال ابن أبي مريم رحمه الله: «ما هو على الغيب بمتهم بل هو الثقة فيما يخبره عن الله تعالى»[784].

2. الظنين هو الضعيف[785]، يقال: رجل ظنين أي ضعيف ويشير ابن عطية[786] رحمه الله إلى هذا المعنى بوقله: «وذلك من قولهم: (بئر ظَنُون) إذا كانت قليلة الماء، والمعنى: لا يوصف محمد بضعف القوة عن التبليغ»[787]. والمعنى: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قوياً في أمر الوحي وكان مطيقاً له، وهو نظير ما وصف الله به جبريل عليه السلام في الآيات التي قبلها: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[788].

3. إطلاق الظن على بابه، وهو اسم لما يحصل عن أمارة متى قويت أدت إلى العلم ومتى ضعفت جداً لم يتجاوز حد التوهم، وهي هنا بمعنى التوهم، والمعنى: أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن شاكاً أو متوهماً في ما أوحي إليه بل كان متيقناً مما أوحي إليه غير شاك فيه[789].

---

784 -الموضح: ابن أبي مريم، ص: 1344.

785 - انظر الحجة، ج: 05، ص: 381.

786 -عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الأندلسي أبو محمد (481هـ-542هـ/ 1088-1148م)، مفسر فقيه أندلسي من أهل غرناطة، عارف بالأحكام والحديث، ولي قضاء المرية وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين، توفي بالورقة، من مؤلفاته: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.(الأعلام، ج: 3، ص: 282).

787 -المحرر الوجيز: ابن عطية، ج: 16، ص: 243.

788 -سورة التكوير، الآية: 20.

789 -انظر معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، ج: 03، ص: 463. وغريب القرآن: الأصفهاني، ج: 01، ص: 317.

المعنى على القراءة الثانيـــة:

﴿بِضَنِينٍ﴾؛ الضِّنَّة والضِّنُّ في اللغة هو الإمساك والبخل، وضنِنت بالشيء أضنُّ، وضَنَنْتُ أضِنُّ، ضَنّاً وضِنّاً وضِنَّة: بخلتُ به، وهو ضنين به[790]. والمعنى: أنه يخبر بالغيب ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما يُسأل عنه حتى يأخذ عليه حُلْواناً[791].

وعلى هذا فإن الغيب هنا هو القرآن الكريم، ومحمد صلى الله عليه وسلم غيرُ بخيل على الناس بتعليمهم ما علمه الله وأنزل إليه من كتابه، ولم يبخل به على أحدٍ، فقد بلَّغه كما أنزله الروح الأمين جبريل، وهكذا نفت هذه القراءة نفي البخل عن النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ الرسالة.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[792] وقد فعل عليه السلام فأدى الرسالة وبلغ الأمانة[793].

---

[790] -انظر لسان العرب: ابن منظور، مادة: (ض ن ن)، ج: 13، ص: 261.

[791] -الموضح، ج: 3، ص: 1344-1345.

[792] -سورة المائدة، الآية : 67.

[793] -انظر جامع البيان: الطبري، ج: 24، ص: 260. والجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 19، ص: 242.

الأثر التدبري المتحصل من القراءتيـــن:

أفادت الآية الكريمة نفي تهمة الكهانة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان الفرق بين حال الكاهن وحال النبي صلى الله عليه وسلم بالإشارة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يسألهم عوضاً عما يخبرهم به، وأن الكاهن يأخذ على ما يخبر به عوضاً، فيكون هذا المعنى من قبيل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾[794]، وقوله تعالى: ﴿قُل لا أَسأَلُكُم عَلَيهِ أَجرًا﴾[795]، ونحو ذلك من الآيات.

وتتعاضد القراءتان في وصف النبي صلى الله عليه وسلم، فهو لم يبخل بأداء ما تتطلبه الرسالة، وغيرُ متهم بأن يأتي بشيء من عند نفسه، وليس بضعيف القوة عن التبليغ.

وبالجمع بين القراءتين يلزم المكلف اعتقاد سلامة النبي صلى الله عليه وسلم من أمرين:

الأول: من الضن بالغيب، وهذا يشمل أمرين:

1. أمر معنوي وهو أنه غير بخيل في تعليمه للناس، وذلك كناية على أنه لا يضن بشيء مما أوحى إليه في قليل أو كثير.

[794] –سورة الفرقان، الآية: 57.

[795] –سورة الأنعام، الآية: 90.

2. وهو أن المراد بالبخل أمر حقيقي، وأنه لا يطلب من ذلك مالاً، كما قال الله عز وجل: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾[796].

والثاني: من الظن بالغيب؛ فهو لم يكتم شيئاً مما أوحى الله إليه، وكذلك لم يتلق ما تلقى ظاناً ولا واهماً، وإنما تلقاه بيقين وأداه بيقين، ولم يكن لأحد أن يدرك المعنيين جميعاً دون مجيء التواتر بهذه القراءات الصحيحة.

وهذه المعاني كلها ليست متعارضة ولا متناقضة، ولكنها متعاونة ومتكاملة لإيفاء المصطفى صلى الله عليه وسلم الوصف الذي يليق به في هذا المقام.

[796] –سورة الفرقان، الآية : 57.

المثال الثالث

قال الله تعالى: ﴿وَإِذا أَرَدنا أَن نُهلِكَ قَريَةً أَمَرنا مُترَفيها فَفَسَقوا فيها فَحَقَّ عَلَيهَا القَولُ فَدَمَّرناها تَدميرًا﴾[797].

تنوعت القراءات في كلمة ﴿أَمَرنا﴾:

قرأ يعقوب: ﴿آمَرنا﴾ بالمد.

وقرأ بقية العشرة: ﴿أَمَرنا﴾ بالهمز[798].

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿آمَرنا﴾ من الفعل (آمَرتُهُم) إذا كثَّرتهم، وهو منقول بالهمزة من أمِرَ القوم إذا كثُروا وآمَرهم الله[799].

المعنى على القراءة الثانيـــة:

﴿أَمَرنا﴾ على تقدير: أمَرْناهم بالطاعة ففسقوا. وهو تفسير ابن عباس رضي الله عنهما[800].

---

[797] –سورة الإسراء، الآية: 16.

[798] –النشر، ج: 02، ص: 230. والموضح، ج: 1، ص: 752. ومعجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، ج: 05، ص:30 إلى 33.

[799] –المحرر الوجيز: ابن عطية، ج: 10، ص: 271.

[800] –معاني القرآن: الزجاج، ج: 03، ص: 231.

ومقتضى هذه القراءة أنّ سبب هلاك القرى فجورُ المترفين وغفلتهم عن طاعة الله عز وجل؛ فقد بين سبحانه لهم طريق الهداية وأمَرَهم بالاستقامة على شرعه واجتناب نواهيه، ولكنهم أَبْوا واختاروا طريق الشهوات.

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

تتحدث الآية الكريمة عن سبب وجوب هلاك الأقوام وكيفية خلق الله للأسباب التي توجب الهلاك، قال الشيخ الصابوني رحمه الله في بيان معنى الآية: «أي: وإذا أردنا هلاك قوم من الأقوام، أمرنا المتنعمين فيها والقادة والرؤساء بالطاعة على لسان رسلنا، فعصو أمرنا وخرجوا عن طاعتنا وفسقوا وفجروا، فوجب عليهم العذاب بالفسق والطغيان فأهلكناهم إهلاكاً مريعاً»[801]. وقد أخبر سبحانه في الآية التي قبلُ أنه لم يهلك القرى قبل ابتعاث الرسل ﴿وَما كُنّا مُعَذِّبينَ حَتّى نَبعَثَ رَسولًا﴾[802]، لا لأنه يقبح منه ذلك إن فعل، ولكنه وعدٌ منه، ولا خُلف في وعده، فإذا أراد إهلاك قريةٍ مع تحقيق وعدِه على ما قاله تعالى أمرَ مترفيها بالفسق والظلم فيها، فحق عليها القولُ بالتدمير[803].

وقد أفادت الآية على القراءة الأولى ﴿آمَرنا﴾ أن الله عز وجل كثر عدد المترفين وزاد في إترافهم استدراجاً للإهلاك بسبب فسوقهم وخروجهم عن طاعة الله، كما قال تعالى: ﴿فَلَمّا نَسوا ما ذُكِّروا بِهِ

---

[801] –صفوة التفاسير: الصابوني، ج: 02، ص: 136.

[802] –سورة الإسراء، الآية : 15.

[803] –الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 13، ص: 45.

فَتَحنا عَلَيهِم أَبوابَ كُلِّ شَيءٍ حَتّى إِذا فَرِحوا بِما أوتوا أَخَذناهُم بَغتَةً فَإِذا هُم مُبلِسونَ﴾[804]، قال الفخر الرازي رحمه الله: «فالمد على التكثير، يقال أمر القوم بكسر الميم إذا كثروا، وآمرهم الله بالمد، أي: كثرهم الله»[805]. وعلى القراءة الثانية ﴿أَمَرنَا﴾ أن الله عز وجل أمر أكابر القوم بالطاعة بعد أن صب عليهم ما أبطرهم، مكثَّر أموالهم وأولادهم، فخرجوا عن أمره فحق عليهم الإهلاك والاستئصال، قال أبو السعود: «إذا دنا وقت تعلق إرادتنا بإهلاك قرية بأن نعذب أهلها بما ذكرنا من عذاب الاستئصال الذي بينا أنه لا يصح قبل البعثة، أو بنوع مما ذكرنا شأنه من مطلق العذاب؛ أعني عذاب الاستئصال لما لهم من الظلم والمعاصي دنواً تقتضيه الحكمة من غير أن يكون له حد معين، ﴿أَمَرنَا﴾ بواسطة الرسول المبعوث إلى أهلها (مترفيها) متنعميها وجباريها وملوكها، خصهم بالذكر مع توجه الأمر إلى الكل؛ لأنهم الأصول في الخطاب والباقي أتباع لهم»[806].

ومن مجموع القراءتين يتبين أن سبب إهلاك القرى هو المعاصي التي يرتكبوها المترفون، وأن وجود هؤلاء وكثرتهم في المجتمع يُنذر بغضب الله. فإذا جاء وقت إهلاك قرية فلا بد من استحقاقها للإهلاك، وذلك بسبب الفسق والخروج عن طاعة الله، لذلك يأمر الله عز وجل من في القرية وساداتها

---

[804] –سورة الأنعام، الآية: 44.

[805] –مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج: 20، ص: 178.

[806] –إرشاد العقل: أبو السعود العمادي، ج: 03، ص: 209.

بالطاعة ليكون في ذلك حجة عليهم، وبسبب استمرارهم في الفسق يكثر عددهم ويزيد في نعمتهم استدراجاً لهم حتى يحق عليهم العذاب.

وفي هذه الآية الكريمة سؤال معروف، وهو أن يقال: إن الله أسند الفسق فيها لخصوص المترفين دون غيرهم في قوله: ﴿أَمَرنا مُترَفيها فَفَسَقوا﴾ مع أنه ذكر عموم الهلاك للجميع المترفين وغيرهم في قوله: ﴿فَحَقَّ عَلَيهَا القَولُ فَدَمَّرناها تَدميرًا﴾ يعني القرية، ولم يستثن منها غير المترفين؟

والجواب من وجهين:

الوجه الأول: أن غير المترفين تبع لهم، وإنما خص بالذكر المترفين الذين هم سادتهم وكبراؤهم؛ لأن غيرهم تبع لهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾[807]، وقولـه: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾[808]، وقوله: ﴿حَتّى إِذَا ادّارَكوا فيهـا جَميعًـا قالَت أُخراهُم لِأولاهُم رَبَّنـا هؤُلاءِ أَضَلّونا فَآتِهِم عَذابًا ضِعفًـا مِنَ النّـارِ﴾[809]،

[807] –سورة الأحزاب، الآية: 67.

[808] –سورة البقرة، الآية : 66.

[809] –سورة الأعراف، الآية: 38.

وقوله: ﴿وَبَرَزوا لِلَّهِ جَميعًا فَقالَ الضُّعَفاءُ لِلَّذينَ استَكبَروا إِنّا كُنّا لَكُم تَبَعًا فَهَل أَنتُم مُغنونَ عَنّا مِن عَذابِ اللَّهِ مِن شَيءٍ﴾[810]، وقوله: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾[811] إلى غير ذلك من الآيات.

والوجه الثاني: أن بعضهم إن عصى الله وبغى وطغى، ولم ينههم الآخرون فإن الهلاك يعم الجميع، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقوا فِتنَةً لا تُصيبَنَّ الَّذينَ ظَلَموا مِنكُم خاصَّةً وَاعلَموا أَنَّ اللَّهَ شَديدُ العِقابِ﴾[812]، وفي الصحيح من حديث أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها: أنها لما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل، هذه-وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها» قالت له: يارسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كثر الخبث»[813].

---

[810] -سورة إبراهيم، الآية: 21.

[811] -سورة غافر، الآية: 47.

[812] -سورة الأنفال، الآية : 25.

[813] -انظر أضواء البيان: محمد الأمين الشنقيطي، ج: 03، ص: 578-579.

المطلب الثاني: بين المفرد والجمع

المثال الأول

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[814].

تنوعت القراءات في كلمة ﴿رِسَالَتَهُ﴾:

فقرأ نافع وابن عامر وشعبة عن عاصم وأبو جعفر ويعقوب: ﴿رِسَالَاتِهِ﴾ بإثبات ألف بعد اللام مع كسر التاء.

وقرأ باقي العشرة: ﴿رِسَالَتَهُ﴾ بحذف الألف بين اللام والتاء[815].

المعنى على القراءة الأولـــى:

أما قراءة ﴿رِسَالَاتِهِ﴾ على الجمع فيها أنه لما كانت الرسل يأتي كل واحد بضربٍ من الشرائع المرسلة معهم مختلفة، حسن جمعه ليدل على ذلك، إذ ليس ما جاءو به رسالة واحدة فجاءت القراءة بالجمع لاختلاف أجناس التشريعات[816].

---

[814] –سورة المائدة، الآية 67.

[815] – النشر، ج: 2، ص: 192. وحجة القراءات، ص: 232. ومعجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، ج: 2 ص: 319.

المعنى على القراءة الثانيـــة:

أما قراءة ﴿رِسَالَتَهُ﴾ على الإفراد فيها أنه لما كانت الرسالة في حقيقتها أمر واحد وهو التوحيد والعبادة لله عز وجل ناسب لها الإفراد، فرسالة الأنبياء عليهم السلام جميعاً واحدة؛ إذ تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم لرسالته هو تبليغ لرسالة الأنبياء السابقين في الجملة.

الأثر المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

أمر من الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأعظم الأوامر وأجلها، وهو التبليغ لما أنزل الله إليه، ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه صلى الله عليه وسلم من العقائد والأعمال والأقوال، والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية. فبلغ صلى الله عليه وسلم أكمل تبيلغ، ودعا وأنذر، وبشر ويسر، وعلم الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين، وبلغ بقوله وفعله وكتبه ورسله. فلم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شراً إلا حذرها منه، فمن زعم خلاف هذا فقد أعظم الفرية على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أفادت الآية الكريمة بقراءتيها أن أصل البلاغ شيء واحد وهو تقرير دين الله عز وجل، وأن رسالة الأنبياء السابقين عليهم السلام واحدة، وأن الرسالة الواحدة مشتملة على شرائع مختلفة كلها بلغ بها الرسول عليه السلام، وكلها يجب الإيمان بها.

---

816 -الكشف، ج: 1، ص: 415.

قال ابن أبي مريم رحمه الله: «وجه الإفراد أن الرسالة اسم للإرسال، وهو مصدر، والمصدر جنس، فوقوعه على الكثرة أصل فيه، فالرسالة تدل على الكثرة وإن لم تجمع، كما تدل عليها الألفاظ الموضوعة للجمع، الأ ترى إلى قوله تعالى: ﴿لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾[817]، فوقع الثبور لما كان شائعا على الجمع، كما وقع على الواحد، وكذلك الرسالة يجوز أن تقع على الجمع»[818].

قال ابن عباس رضي الله عنه: «المعنى: بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك، فإن كتمت شيئا منه فما بلغت رسالته، وهذا تأديب للنبي صلى الله عليه وسلم، وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئاً من أمر شريعته، وقد علم الله تعالى من أمر نبيه أنه لا يكتم شيئاً من وحيه»[819].

وقال محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «أمر تعالى في هذه الآية نبيه صلى الله عليه وسلم بتبليغ ما أنزل إليه، وشهد له بالامتثال في آيات متعددة، كقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[820]، وقوله: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[821]، وقوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾[822]، ولو كان

---

[817] –سورة الفرقان، الآية: 14.

[818] –الموضح، ج: 1، ص: 448.

[819] –الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج: 08، ص: 89-90.

[820] –سورة البقرة، الآية : 03.

[821] –سورة النور، الآية: 54.

[822] –سورة الذاريات، الآية : 54.

يمكن أن يكتم شيئاً لكتم قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾[823]، فمن زعم أنه صلى الله عليه وسلم كتم حرفاً مما أنزل عليه فقد أعظم الافتراء على الله، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم»[824].

ويبدو لي: أن الجمع في القراءة الأولى للإشارة إلى أن البلاغ من الرسول صلى الله عليه وسلم إنما هو بلاغ عن رسالة الأنبياء السابقين في الجملة، وقد جمعت والرسالة واحدة باعتبار الشرائع التي جاءت بها هذه الرسالة؛ لأنها جاءت بأعمال وأقوال واعتقادات، أعمال قلوبٍ وأعمال جوارح، جاءت بفعلٍ وتركٍ، فكل نوع يُعتبر رسالة، فصح الجمع، والإفراد في القراءة الأخرى للإشارة إلى اتفاق الجميع في رسالة واحدة وهي التوحيد.

ونظير هذه الآية قول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ أَعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسالَتَهُ﴾[825] وهي تحتمل هذا المعنى، وقد قرأها بالإفراد نافع وحفص وقرأها بقية العشرة بالجمع[826].

---

[823] –سورة الأحزاب، الآية : 37.

[824] –أضواء البيان: محمد الأمين الشنقيطي، ج: 02، ص: 139.

[825] –سورة الأنعام، الآية: 104.

[826] – السبعة: ابن مجاهد، ص: 246. والنشر، ج: 02، ص: 197.

وقريب من هذا المعنى أيضاً قول الله عز وجل: ﴿قالَ يا موسى إِنِّي اصطَفَيتُكَ عَلَى النّاسِ بِرِسالاتي وَبِكَلامي فَخُذ ما آتَيتُكَ وَكُن مِنَ الشّاكِرينَ﴾[827] ، وقد قرأها بالإفراد نافع وابن كثير وأبو جعفر وروح، وقرأها بقية العشرة بالجمع[828].

المثال الثاني

قال الله تعالى: ﴿قالَ قائِلٌ مِنهُم لا تَقتُلوا يوسُفَ وَأَلقوهُ في غَيابَتِ الجُبِّ يَلتَقِطهُ بَعضُ السَّيّارَةِ إِن كُنتُم فاعِلينَ﴾[829].

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿غَيابَتِ﴾:

فقرأ نافع: ﴿غَيابَاتِ﴾ بالألف بعد الباء.

وقرأ بقية العشرة: ﴿غَيابَتِ﴾ بغير ألف[830].

---

[827] –سورة الأعراف، الآية: 144.

[828] – السبعة: ابن مجاهد، ص: 246. والنشر، ج: 02، ص: 204.

[829] –سورة يوسف، الآية: 10.

[830] – النشر: ابن الجزري، ج: 2، ص: 293 . وحجة القراءات، ص: 355. والبدور الزاهرة، ص: 161.

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿غَيابَاتِ﴾ بالألف؛ جمع (غيابة)، لأن البئر لها غيابات متعددة؛ لأن كل جزء منها غيابة، والمراد ظلمات البئر وجوانبها المتعددة، فجاء الجمع على ذلك.

المعنى على القراءة الثانيـــة:

﴿غَيابَتِ﴾ الغيابة: ما غَيَّبَ عنك شيئاً، وغيابة كل شيء ما سترك منه، ومنه غيابة الجب، قال ابن منظور رحمه الله: «ووقعوا في غيابة من الأرض، أي: في منهبط منها. وغيابة كل شيء: قعره منه، كالجب والوادي وغيرهما، تقول: وقعنا في غيبة وغيابة الجب، أي هبطة من الأرض»[831].

في بئر واحدة في مكان واحد لا في أمكنة.

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيـــن:

أفادت الآية الكريمة على القراءة الأولى ﴿غَيابَاتِ﴾ كأنه كان لتلك الجب غيابات، وعلى القراءة الثانية ﴿غَيابَتِ﴾ بالإفراد لأنه لم يلق إلا في واحدة، وغيابة الجب قعره أو حفرة في جانبه، قال ابن أبي مريم رحمه الله: «والوجه أنه لا يخلو أن يكون لتلك الجب غيابة واحدة أو غيابات، فإن كانت

[831] -لسان العرب: ابن منظور، ج: 05، ص: 3322-3323.

واحدة فلا نظر في صحة الوحدة، وإن كانت غيابات عدة كانت هذه واحدة قد وقعت موقع جمع، وأريد بها الجمع»[832].

وقال الألوسي رحمه الله: «﴿وَأَلقوهُ فِي غَيابَتِ الجُبِّ﴾ أي في قعره وغوره، سُمي به لغيبته عن عين الناظر، ومنه قيل للقبر غيابة، وقرأ نافع ﴿فِي غَيابَاتِ﴾ كأن لتلك الجب غيابات، ففيه إشارة إلى سعتها»[833].

وعليه فالآية الكريمة تبين أن يوسف عليه السلام ألقي في قعر البئر أو حفرة جانبه وهذا ما أفادته القراءة بالإفراد نصاً وأفادته القراءة بالجمع عقلاً، حيث إن الشخص يستحيل وجوده في أكثر من مكان في آن واحد، ولكن يكون في موضع مظلم من الجب فلا يلحقه نظر أحد.

قال القرطبي رحمه الله: «وجمع بين الغيابة والجب؛ لأنه أراد: ألقُوه في موضعٍ مظلم من الجُبِّ حتى لا يَلحقه نظر الناظرين»[834].

كما أن القراءة بالجمع أشارت إلى سعت تلك البئر، وأنها كانت موحشة إلى درجة كبيرة حيث كان لها غيابات كثيرة، وهذا يبين شدة الموقف الذي وضع فيه يوسف عليه السلام في صغره، ويبين ما

---

[832] -الموضح، ج: 2، ص: 670.

[833] -روح المعاني: الألوسي، ج: 12، ص: 192.

[834] -الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج: 11، ص: 264.

كان يحيط بإخوة يوسف عليه السلام من شحناء وغيرة لا تكتف برميه في غيابة البئر وإنما تريد غيابات وظلمات متعددة لعل في ذلك شفاء لما في الصدور والذاكرة من البغضاء والحسد المتجدد.

المثال الثالث

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾[835].

تنوعت القراءات في قوله تعالى: ﴿سَادَتَنَا﴾:

فقرأ ابن عامر: ﴿سَادَاتِنَا﴾.

وقرأ بقية العشرة: ﴿سَادَتَنَا﴾[836].

المعنى على القراءة الأولـــى:

﴿سَادَاتِنَا﴾ بالألف وكسر التاء؛ جمع الجمع، لأن (سادة) جمع (سيد)، وهي على وزن فَعَلة، مثل: كَتَبة وفَجَرة.

[835] –سورة الأحزاب، الآية: 67.

[836] –النشر، ج: 02، ص: 349. وحجة القراءات، ص: 580. والموضح، ص: 1040. البدور الزاهرة، ص: 258.

قال الأعشى:

جُنْدُك التَّالِدُ الطَّريفُ من الـ ساداتِ أهلِ القِبابِ والآكالِ[837]

وسادات جمع الجمع[838]، ويفيد جمع الجمع عادة الكثرة والتعدد.

المعنى على القراءة الثانيــة:

﴿سَادَتَنَا﴾ بغير الألف وفتح التاء؛ جمع سيد.

الأثر التدبري المتحصل من مجموع القراءتيــن:

قول الكافرين يوم القيامة: ربنا إنا أطعنا أئمتنا في الضلال وكبراءنا في الشرك، فأزالونا عن طريق الهُدى والإيمان، والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار، وإلا فهم في مقام التحقير والإهانة. قال ابن كثير رحمه الله في بيان معنى الآية: «أي: اتبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء من المشيخة،

[837] –ديوان الأعشى، ص: 11. (التالد: القديم، والقباب: جمع قبة وهي الخيمة الضخمة، والآكال: قطائع كانت الملوك تقطعها للأشراف).

[838] –وقد ذكر الفارسي رحمه الله نظائر لسادات في كونها جمعت بالألف والتاء، فقد قالت العرب: (الطرقات) و(المعنات) في (مُعْن) جمع مُعين، فكذلك ورد في جمع سادة: (سادات)، وسادة على وزن فَعَلة، مثل: كَتَبة وفَجَرة (انظر كتاب: الحجة، ج: 05، ص: 480).

وخالفنا الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئاً، وأنهم على شيء فإذا هم ليسوا على شيء»[839]، وفي هذا زجر عن التقليد شديد، وكم في الكتاب العزيز من التنبيه على هذا والتحذير منه والتنفير عنه ولكن لمن يفهم معنى كلام الله ويتدبره ويقتدي به.

أفادت الآية الكريمة على قراءة ﴿سَادَاتِنَا﴾ كثرة المذاهب والطوائف والطرق، ويستلزم هذه الكثرة أن يكون لكل مذهب رأس له، أي: كثرة الرؤساء.

وعلى قراءة ﴿سَادَتَنَا﴾ تعدد هؤلاء الرؤساء، قال ابن عاشور رحمه الله: «وهذا شأن الدَّهْماء أن يُسَوِّدوا عليهم من يُعجبون بأضغاث أحلامه، ويُغَرُّون بمعسول كلامه، ويسيرون على وقع أقدامه، حتى إذا اجْتنوا ثمار أكمامه وذاقوا مرارةَ طعمه وحرارة أُوامه[840]، عادوا عليه باللائمة، وهم الأحقَّاء بملامه»[841].

وفي هذا دليل على أن طاعة غير الله في مخالفة أمره وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، موجبة لسخط الله وعقابه، وأن التابع والمتبوع في العذاب مشتركون، فليحذر المسلم ذلك.

❑ ❑ ❑

839 -تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج: 06، ص: 483-484.

840 -الأوام: العطش.

841 -التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج: 22، ص: 118.

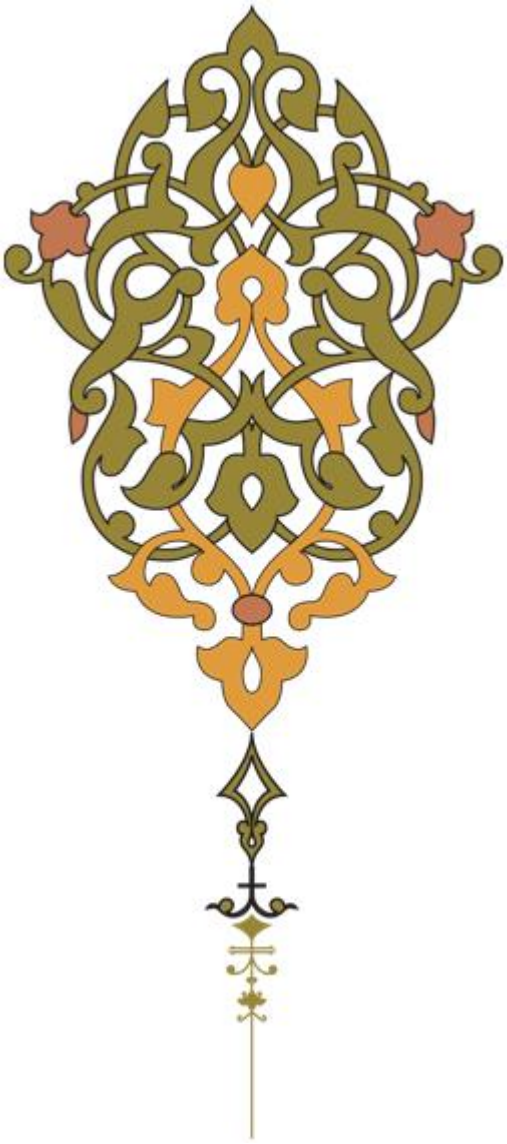

الخاتمـــــــة

الحمد لله في البدء والختام، حمداً يليق بجلال الوجه وعظيم السلطان، والصلاة والسلام على من ختم الله به الرسل والرسالات، وجعل معجزته بياناً لا ترقى إليه المعجزات.

وبعد، فقد وفقني الله تعالى بكرمه ومنته لإتمام هذه الرسالة، وما كنت لأهتدي لولا أن هداني الله، فهو الموفق وهو الملهم والهادي إلى صراط مستقيم، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وحسبي أني ساهمت بقدر ضئيل في خدمة القرآن الكريم وعلومه. وقد سجلت في ختام هذا البحث أهم النتائج التي تبدت ملامحها واضحة جلية والأمور المستفادة والمستخلصة على النحو التالي:

1. القراءات القرآنية المتواترة كلها كلام الله عز وجل، واختلافها وتغايرها إنما هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، فالقراءة سنة متبعة طريقها التلقي والرواية والنقل والمشافهة وهي أبعد ما تكون عن الرأي والدراية، وإن كان توجيهها وتدبر معانيها يقوم على النظر والفكر والدراية بمعونة السياق واللغة.
2. عناية علماء الإسلام بالقراءات القرآنية تعلماً وتعليماً، وتصنيفاً وتدقيقاً، ودفاعاً وتحريراً، ومجئ تآليفهم على أفانين من التصانيف، منها: المطول، ومنها: الموجز، ومنها: المختصر، ومنها دون ذلك، ومنها: ما هو نظم، ومنها ما هو نثر، مع شروح لكثير من الأنظام والمختصرات لا تحصى كثرة، دليل على أهمية هذا العلم الجليل وضرورة العناية به.
3. قراءات الأئمة السبعة ليست هي الأحرف السبعة وإنما جزء من الأحرف السبعة.

4. كافة القراء العشرة ورواتهم كانوا أهل ضبط ودراية وإتقان في الأداء، يظهر ذلك من خلال ما ذكر في تراجمهم ومناقبهم وكثرة من قرأ على كل واحد منهم، وشهرتهم، واختيار الأئمة قراءاتهم على قراءة غيرهم ممن لا يحصيهم إلا خالقهم.

5. تعدد القراءات القرآنية المتواترة وتنوعها، لم يكن لمجرد التيسير والتسهيل على الناس إبان تنزل القرآن الكريم مراعاة للهجاتهم المختلفة وما ألفته ألسنتهم، بل كان لثراء المعنى وغنائه نصيب من ذلك التعدد، ثم إن الأكثر من القراءات لا يمكن رده بحال إلى اختلاف لهجات العرب، وإنما مرده إلى تعدد وجوه الدلالة وتنوع الأساليب البلاغية، الأمر الذي يفضي إلى تنوع الأحكام واختلاف المعاني.

6. تبين لي من خلال البحث صحة قول: 'أن كل قراءة بمثابة آية' و'أن تعدد القراءات بمنزلة تعدد الآيات' ولو جعلت جلالة كل قراءة آية على حدة لأفضى إلى الإسهاب والتطويل. وحاصل الخلاف الواقع بين القراءات على نوعين: الأول: اختلاف اللفظ والمعنى جميعاً، مع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لعدم تضاد اجتماعهما فيه. والثاني: اختلاف اللفظ والمعنى جميعاً، مع امتناع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لاستحالة اجتماعهما فيه، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد.

7. بيان أثر القراءات القرآنية في فهم القرآن الكريم وتدبره يحتاج إلى مزيد تحرير وعناية وبحث.

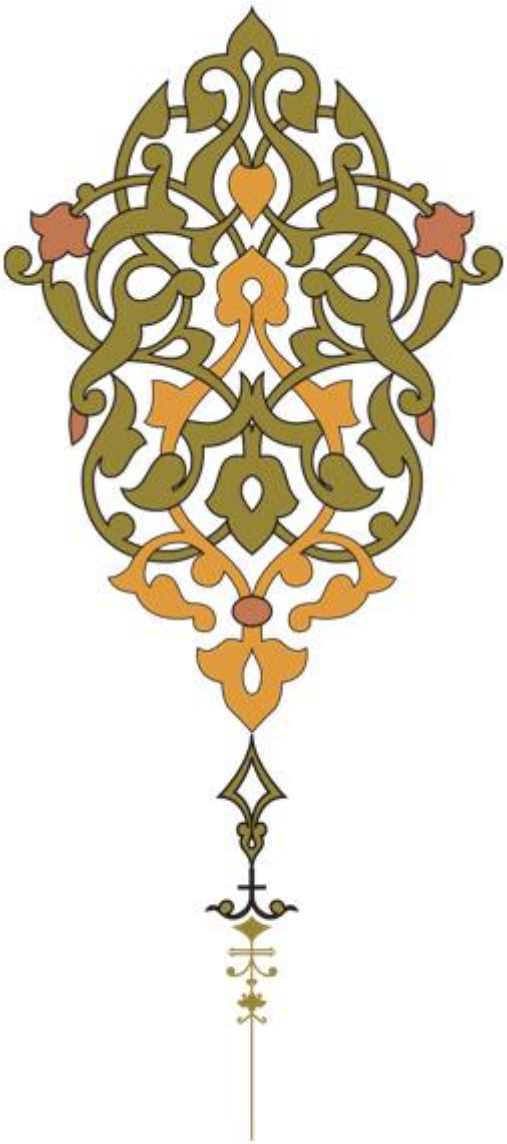

التوصيـــات

لا يزال البحث في أثر القراءات القرآنية في فهم القرآن الكريم وتدبره بحاجة إلى مزيد عناية ودراسة، ولعل هذه الخاتمة فرصة لإبداء مقترحاتي حول هذا الموضوع خاصةً وحول الدراسات القرآنية عموماً، وأهم ما خطر لي من توصيات في هذا المجال مـا يـأتي:

1. ضرورة القيام بدراسة استقرائية لرصد للآيات القرآنية التي تعددت قراءاتها مرتبة في سورها حسب ترتيب المصحف الشريف، وذلك بالإشار إلى من قرأ بها من العشرة، ثم بيان ما يترتب على هذا التعدد من أثر في الفهم والتدبر.
2. ضرورة تنبه الدراسات القرآنية إلى إنزال القراءات القرآنية منزلتها التي تليق بها في حركة تجديد فهم القرآن الكريم وتدبره.
3. الإشارة في كتب تدبر القرآن الكريم إلى القراءات القرآنية ذات العلاقة مع بيان دلالاتها.
4. المكتبة الإسلامية تنقصها موسوعتان في الدراسات القرآنية:

أولهما: موسوعة في القراءات القرآنية المتواترة حسنة العرض جميلة الترتيب سهلة على القارئ، ترتب ترتيباً معجمياً ليجد الباحث بغيته كلما طلبها بأقل جهد ممكن.

ثانيهما: موسوعة في القراءات الشاذة؛ الأربع المتممة وغيرها، على غرار معجم القراءات القرآنية الذي أعده الدكتور أحمد مختار عمر والدكتور عبد العال سالم مكرم (كلاهما بجامعة الكويت)، ومعجم القراءات الذي أعده الدكتور عبد اللطيف الخطيب، مع إسناد الأمر إلى

لجان متخصصة لضمان السلامة من الأخطاء الكثيرة التي لحظها المتخصصون على المعجمين المذكورين، ومع تحاشي الخلط بين المتواتر وغيره، إما بالفصل بينهما كما اقترحت، وإما بجعلهما معاً في موسوعة واحدة ولكن مع التمييز الدقيق بين ما بقي قرآناً ينسب إلى الله تعالى، وبين غيره مما ليس كذلك.

5. هذا البحث فتح أمامي آفاقاً جعلتني أحسُّ بفقر المكتبة الإسلامية -أيضاً- لموسوعة تهتم بالدراسات المتعلقة بالقراءات القرآنية بشكل واف كاف، ولعل المطلع ينتبه إلى أن كثيراً من الفنون الصغيرة حظيت بما ذكرت، كعلم التجويد مثلاً. أما علم القراءات -على أهميته- فما زالت بعض موضوعاته محل جدل واختلاف، ومصدراً يعتمد عليه البعض للطعن في القرآن الكريم.

6. أوصي المتخصصين في علوم الإعلام الآلي والتقنيات الحديثة أن يفكروا في مشروع إدخال القراءات القرآنية جهاز الكمبيوتر وتطبيقات الهاتف كما فعلوا بالحديث الشريف وغيره من العلوم تسهيلاً على الباحث وخدمة للقرآن الكريم، على أن يكون ذلك تحت رقابة مشددة، وأن لا يسمح بتداوله إلا بعد إجازته من القراء المتخصصين.

7. تأسيس مواقع علمية تتعلق بالتدبر، وترجمتها إلى مختلف اللغات العالمية.

8. يجب على المسلمين أن يلقنوا أولادهم القرآن الكريم وأن يعودوهم العناية به، لأنه المصدر الإسلامي الأول الذي به تعرف الشريعة الإلهية الخالدة، ويجب على الناشئة من أبناء المسلمين

أن يتلقوا القرآن الكريم من أفواه القُراء، وأن يقرءوا عليهم ما تلقنوه على النحو الذي حصل في معارضة القرآن بين سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ملك الوحي جبريل عليه السلام.

وأخيراً أسألُ اللهَ تعالى أن يجعل هذا البحث خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله سببا للنفع وسلّما للأجر، وأن يجزيَ عنّي خيراً من كان سببا فيه، وأن يرزقني القبول في الدنيا والآخرة، إنه سميع مجيب.

وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم. والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

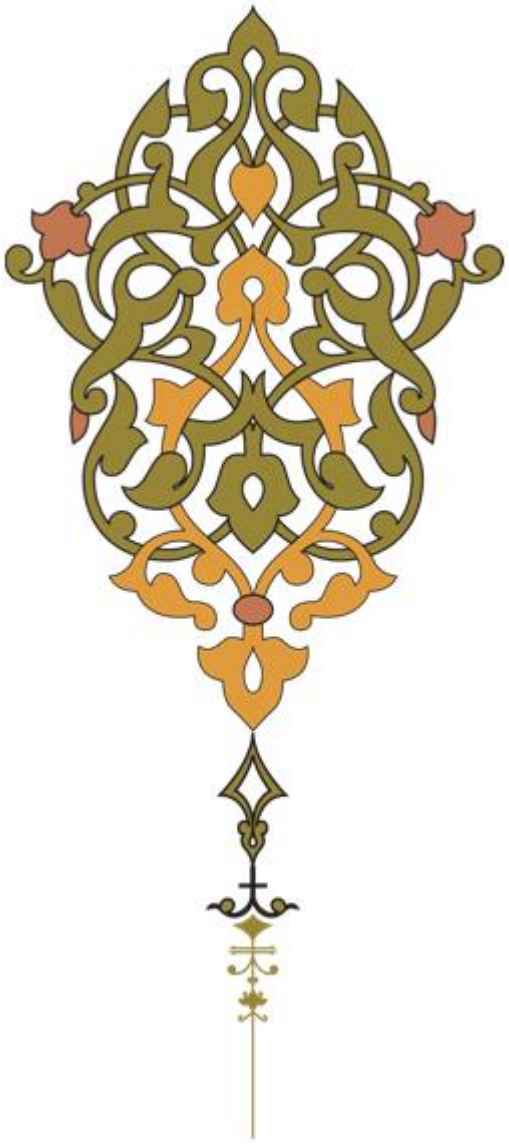

الفهـــــارس

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿سورة الفاتحة﴾		
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ.مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ .إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾	5-1	278-193
﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	04	284-89-86
﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾	07	184
﴿سورة البقرة﴾		
﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾	03	362-94
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾	09-08	302-299
﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	10	299-176
﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا﴾	14	302-300
﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾	36	208
﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ﴾	51	213
﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾	54	85
﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾	78	125

﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ﴾	85	94
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ﴾	91	322
﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ﴾	106	291-290-285
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾	116	85
﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾	119	251
﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾	129	159
﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾	131	162
﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾	148	220-218
﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾	158	-171
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾	219	320-319-318
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾	222	123
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾	251	229-176
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾	258	323
﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ﴾	259	322
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾	260	348-324

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا﴾	286	328

﴿سورة آل عمران﴾

﴿إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ﴾	07	207
﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾	26	283-279-278
﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾	36	247
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾	110	216
﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾	138	163
﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	161	341-336
﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾	173	263

﴿سورة النساء﴾

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾	01	122-85
﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾	31	320
﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾	33	222
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾	41	184
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا﴾	82	-140-94-4 169-141

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا﴾	94	329
﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾	127	206

﴿سورة المائدة﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾	06	124
﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾	44	216
﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾	49	200
﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	50	199
﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ﴾	67	359-352-68
﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾	89	123
﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾	110	347
﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ﴾	111	347-346
﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾	112	348-346-344
﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي﴾	116	245
﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	118	150

﴿سورة الأنعام﴾

﴿فَلَمّا نَسوا ما ذُكِّروا بِهِ فَتَحنا عَلَيهِم أَبوابَ كُلِّ شَيءٍ﴾	44	356
﴿الَّذينَ آمَنوا وَلَم يَلبِسوا إيمانَهُم بِظُلمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الأَمنُ وَهُم مُهتَدونَ﴾	82	186
﴿وَلَو أَشرَكوا لَحَبِطَ عَنهُم ما كانوا يَعمَلونَ﴾	88	340
﴿وَجَعَلوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الجِنَّ وَخَلَقَهُم وَخَرَقوا لَهُ بَنينَ وَبَناتٍ بِغَيرِ عِلمٍ﴾	100	235
﴿وَكَذلِكَ نُصَرِّفُ الآياتِ وَلِيَقولوا دَرَستَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَومٍ يَعلَمونَ﴾	105	225
﴿وَأَقسَموا بِاللَّهِ جَهدَ أَيمانِهِم لَئِن جاءَتهُم آيَةٌ لَيُؤمِنُنَّ بِها﴾	109	196
﴿اللَّهُ أَعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسالَتَهُ﴾	124	339
﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهدِيَهُ يَشرَح صَدرَهُ لِلإِسلامِ وَمَن يُرِد أَن يُضِلَّهُ يَجعَل﴾	125	139

﴿سورة الأعراف﴾

﴿ وَقالَ ما نَهاكُما رَبُّكُما عَن هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلّا أَن تَكونا مَلَكَينِ﴾	21-20	211-209
﴿وَقالُوا الحَمدُ لِلَّهِ الَّذي هَدانا لِهذا وَما كُنّا لِنَهتَدِيَ لَولا أَن هَدانَا اللَّهُ﴾	43	220
﴿الَّذينَ اتَّخَذوا دينَهُم لَهوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتهُمُ الحَياةُ الدُّنيا فَاليَومَ نَنساهُم﴾	51	308
﴿وَهُوَ الَّذي يُرسِلُ الرِّياحَ بُشرًا بَينَ يَدَي رَحمَتِهِ حَتّى إِذا أَقَلَّت سَحابًا﴾	57	331
﴿لِلَّذينَ استُضعِفوا لِمَن آمَنَ مِنهُم﴾	75	207

﴿أَفَأَمِنَ أَهلُ القُرى أَن يَأتِيَهُم بَأسُنا بَياتًا وَهُم نائِمونَ.أَوَأَمِنَ أَهلُ﴾	98-97	256
﴿فَأَلقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعبانٌ مُبينٌ﴾	107	317
﴿وَواعَدنا مُوسى ثَلاثينَ لَيلَةً وَأَتمَمناها بِعَشرٍ فَتَمَّ ميقاتُ رَبِّهِ﴾	142	213
﴿قالَ يا موسى إِنّي اصطَفَيتُكَ عَلَى النّاسِ بِرِسالاتي وَبِكَلامي﴾	144	363-217
﴿ قُل يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّي رَسولُ اللَّهِ إِلَيكُم جَميعًا﴾	158	194
﴿يَسأَلونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنها﴾	178	207
﴿وَإِذا لَم تَأتِهِم بِآيَةٍ قالوا لَولا اجتَبَيتَها قُل إِنَّما أَتَّبِعُ ما يوحى إِلَيَّ ﴾	203	64
﴿ وَإِذا قُرِئَ القُرآنُ فَاستَمِعوا لَهُ وَأَنصِتوا لَعَلَّكُم تُرحَمونَ﴾	204	44
﴿ إِنَّ الَّذينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَستَكبِرونَ عَن عِبادَتِهِ وَيُسَبِّحونَهُ﴾	206	293
﴿سورة الأنفال﴾		
﴿وَاتَّقوا فِتنَةً لا تُصيبَنَّ الَّذينَ ظَلَموا مِنكُم خاصَّةً وَاعلَموا أَنَّ اللَّه﴾	25	358
﴿وَأُولُو الأَرحامِ بَعضُهُم أَولى بِبَعضٍ في كِتابِ اللَّهِ﴾	75	224
﴿سورة التوبة﴾		
﴿وَاعلَموا أَنَّكُم غَيرُ مُعجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخزِي الكافِرينَ﴾	02	315
﴿فَاعلَموا أَنَّكُم غَيرُ مُعجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذينَ كَفَروا بِعَذابٍ أَليمٍ﴾	03	315

﴿وَإِن أَحَدٌ مِنَ المشرِكِينَ استَجارَكَ فَأَجِرهُ حَتّى يَسمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾	6	64
﴿ما كانَ لِلمُشرِكِينَ أَن يَعمُروا مَساجِدَ اللَّهِ شاهِدينَ عَلى أَنفُسِهِم﴾	17	265
﴿إِنَّما يَعمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ مَن آمَنَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَأَقامَ الصَّلاةَ﴾	18	267
﴿أَجَعَلتُم سِقايَةَ الحاجِّ وَعِمارَةَ المسجِدِ الحَرامِ﴾	19	265
﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُم﴾	67	288
﴿فَلَولا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرقَةٍ مِنهُم طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهوا فِي الدّينِ وَلِيُنذِروا قَومَهُم﴾	123	27

﴿سورة يونس﴾

﴿هُوَ الَّذي يُسَيِّرُكُم فِي البَرِّ وَالبَحرِ حَتّى إِذا كُنتُم فِي الفُلكِ وَجَرَينَ بِهِم﴾	22	193
﴿ بَل كَذَّبوا بِما لَم يُحيطوا بِعِلمِهِ وَلَمّا يَأتِهِم تَأويلُهُ﴾	39	154
﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظلِمُ النّاسَ شَيئًا﴾	44	263
﴿إِنَّ الَّذينَ حَقَّت عَلَيهِم كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤمِنونَ﴾	97	198
﴿قُلِ انظُروا ماذا فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ وَما تُغني الآياتُ﴾	101	198

﴿سورة هود﴾

﴿الر كِتابٌ أُحكِمَت آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَت مِن لَدُن حَكيمٍ خَبيرٍ﴾	01	141
﴿وَلَقَد جاءَت رُسُلُنا إِبراهيمَ بِالبُشرى قالوا سَلامًا قالَ سَلامٌ﴾	69	316

﴿يَقدُمُ قَومَهُ يومَ القِيامَةِ فَأَورَدَهُمُ النّارَ وَبِئسَ الوِردُ المورودُ﴾	98	308
﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾	120	162
﴿سورة يوسف﴾		
﴿إِنّا أَنزَلناهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُم تَعقِلونَ﴾	02	173
﴿قالَ قائِلٌ مِنهُم لا تَقتُلوا يوسُفَ وَأَلقوهُ في غَيابَتِ الجُبِّ يَلتَقِطهُ بَعضُ﴾	10	364-363
﴿قالَ بَل سَوَّلَت لَكُم أَنفُسُكُم أَمرًا﴾	18	247
﴿لَيَسجُنُنَّهُ عَتّى حينٍ﴾	35	126
﴿وَظَنّوا أَنَّهُم قَد كُذِّبوا﴾	110	177
﴿سورة الرعد﴾		
﴿أَفَمَن هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفسٍ بِما كَسَبَت﴾	33	260
﴿سورة إبراهيم﴾		
﴿وَجَعَلوا لِلَّهِ أَندادًا لِيُضِلّوا عَن سَبيلِهِ﴾	30	95
﴿سورة الحجر﴾		
﴿ إِنّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنّا لَهُ لَحافِظونَ﴾	09	129
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسأَلَنَّهُم أَجمَعينَ. عَمّا كانوا يَعمَلونَ﴾	93	298

﴿سورة النحل﴾

﴿وَإذا قيلَ لَهُم ماذا أَنزَلَ رَبُّكُم قالوا أَساطيرُ الأَوَّلينَ ﴾	24	226
﴿وَأَنزَلنا إِلَيكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيهِم وَلَعَلَّهُم يَتَفَكَّرونَ﴾	44	139
﴿وَيَجعَلونَ لِما لا يَعلَمونَ نَصيبًا مِمّا رَزَقناهُم تَاللَّهِ لَتُسأَلُنَّ﴾	56	298
﴿وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثى ظَلَّ وَجهُهُ مُسوَدًّا وَهُوَ كَظيمٌ.يَتَوارى﴾	59-58	244
﴿وَيَجعَلونَ لِلَّهِ ما يَكرَهونَ وَتَصِفُ أَلسِنَتُهُمُ الكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الحُسنى﴾	62	305-294-139
وَإِذا بَدَّلنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعلَمُ بِما يُنَزِّلُ قالوا إِنَّما أَنتَ مُفتَرٍ﴾	101	289
﴿وَلَقَد نَعلَمُ أَنَّهُم يَقولونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾	103	227
﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبيلِهِ﴾	125	95

﴿سورة الإسراء﴾

﴿إِنَّ هذَا القُرآنَ يَهدي لِلَّتي هِيَ أَقوَمُ وَيُبَشِّرُ المؤمِنينَ الَّذينَ يَعمَلونَ﴾	9	24
﴿وَما كُنّا مُعَذِّبينَ حَتّى نَبعَثَ رَسولًا﴾	15	356
﴿وَإِذا أَرَدنا أَن نُهلِكَ قَريَةً أَمَرنا مُترَفيها فَفَسَقوا فيها فَحَقَّ عَلَيهَا القَولُ﴾	16	354
﴿أَفَأَصفاكُم رَبُّكُم بِالبَنينَ وَاتَّخَذَ مِنَ المَلائِكَةِ إِناثًا﴾	40	296
﴿وَقُرآنَ الفَجرِ إِنَّ قُرآنَ الفَجرِ كانَ مَشهودًا.وَمِنَ اللَّيلِ فَتَهَجَّد بِهِ﴾	79-78	182

﴿وَلَئِن شِئنا لَنَذهَبَنَّ بِالَّذي أَوحَينا إِلَيكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَينا وَكيلًا﴾	86	287
﴿وَقُرآنًا فَرَقناهُ لِتَقرَأَهُ عَلَى النّاسِ عَلى مُكثٍ وَنَزَّلناهُ تَنزيلًا﴾	106	68

﴿سورة الكهف﴾

﴿ما أَشهَدتُهُم خَلقَ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَلا خَلقَ أَنفُسِهِم﴾	51	297

﴿سورة مريم﴾

﴿ما كانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾	35	340

﴿سورة طه﴾

﴿إِنّي آنَستُ نارًا لَعَلّي آتيكُم مِنها بِقَبَسٍ﴾	10	250
﴿وَواعَدناكُم جانِبَ الطّورِ الأَيمَنَ وَنَزَّلنا عَلَيكُمُ المَنَّ وَالسَّلوى﴾	80	213
﴿قالَ فَاذهَب فَإِنَّ لَكَ فِي الحَياةِ أَن تَقولَ لا مِساسَ وَإِنَّ لَكَ مَوعِدًا﴾	97	341
﴿فَتَعالَى اللَّهُ المَلِكُ الحَقُّ﴾	114	280
﴿وَعَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى.ثُمَّ اجتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيهِ وَهَدى﴾	122-121	211
﴿قالَ كَذلِكَ أَتَتكَ آياتُنا فَنَسيتَها وَكَذلِكَ اليَومَ تُنسى﴾	126	308

﴿سورة الحج﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾	5	268
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾	11	113-100-99
﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾	38	229
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ﴾	40	229
﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾	51	310

﴿سورة الأنبياء﴾

﴿وَلَهُ مَن فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ وَمَن عِندَهُ لا يَستَكبِرونَ عَن عِبادَتِهِ﴾	19	293
﴿بَل عِبادٌ مُكرَمونَ﴾	26	293-292
﴿قالوا أَأَنتَ فَعَلتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبراهيمُ﴾	62	294-249
﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾	109	90

﴿سورة المؤمنون﴾

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾	68	142

﴿سورة النور﴾

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾	25	279
﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾	54	362

﴿سورة الفرقان﴾

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾	05	228-226
﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾	30	147
﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾	33	152
﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾	48	331
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾	63	330-295

﴿سورة الشعراء﴾

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾	19	248
﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ.عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ.بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾	195-193	173
﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ.أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ.وَأَنَّهُمْ﴾	227-224	264

﴿سورة النمل﴾

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾	6	64

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾	10	317
﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾	63	331

﴿سورة القصص﴾

﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ﴾	15	174
﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾	31	249

﴿سورة العنكبوت﴾

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	13	298
﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾	22	315
﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾	43	274-272

﴿سورة الروم﴾

﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾	06	342
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	21	274
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾	22	272
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	24	274
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾	46	332

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ﴾	48	334
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾	54	48
﴿سورة لقمان﴾		
﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾	12	8
﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	13	186
﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾	14	9
﴿سورة السجدة﴾		
﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾	16	182
﴿سورة الأحزاب﴾		
﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ﴾	21	149
﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ﴾	37	362
﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾	67	367-358-219
﴿سورة سبأ﴾		
﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾	5	310
﴿ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾	38	310

﴿سورة فاطر﴾

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا﴾	09	194
﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾	10	206
﴿وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾	25	85

﴿سورة يس﴾

﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	22	195
﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾	29	89

﴿سورة الصافات﴾

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ.أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا﴾	151-149	297-296

﴿سورة ص﴾

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾	29	-128-24-4 147-142-139
﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾	41	
﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾	08	261
﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾	09	259
﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾	24	260

﴿سورة غافر﴾

﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾	16	284-282
﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾	47	358

﴿سورة فصلت﴾

﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	03	173
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾	39	268

﴿سورة الشورى﴾

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾	37	320
﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾	52	146

﴿سورة الزخرف﴾

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ.أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ﴾	17-15	294
﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾	19	292
﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾	44	298
﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾	57	95
﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	29	297

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾	34	308
﴿سورة الأحقاف﴾		
﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾	12	173
﴿سورة محمد﴾		
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾	24	158-142-125
﴿سورة الفتح﴾		
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا.لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ﴾	9-8	202
﴿سورة الحجرات﴾		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا﴾	6	329-225
﴿سورة الذاريات﴾		
﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ.إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا﴾	26-24	317
﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾	54	362
﴿سورة النجم﴾		
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى.إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾	04-03	67
﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾	27	296

﴿وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا﴾	11	324

﴿سورة الصف﴾

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا﴾	08	174

﴿سورة الجمعة﴾

﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾	01	280
﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾	05	148
﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾	07	248
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾	09	124

﴿سورة المنافقون﴾

﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾	01	300

﴿سورة التغابن﴾

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾	07	314

﴿سورة الحاقة﴾

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ.لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾	47-44	64

﴿سورة نوح﴾

﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾	25	304-300

﴿سورة الجن﴾

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾	12	315

﴿سورة المزمل﴾

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ.قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	02-01	182
﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾	04	178

﴿سورة المدثر﴾

﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ.إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾	25-24	227

﴿سورة القيامة﴾

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾	17	-46-41-40 149-54
﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾	18	149-46-40

﴿سورة المرسلات﴾

﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾	03	333

﴿سورة النبأ﴾

﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾	40	250

﴿سورة التكوير﴾

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ.بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾	9-8	243
﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾	20	351
﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ.وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾	24-23	350-175
﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ.وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾	29-28	220

﴿سورة الإنفطار﴾

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ.كِرَامًا كَاتِبِينَ.يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾	12-10	297
﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ.ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ.يَوْمَ لَا تَمْلِكُ﴾	19-18-17	279

﴿سورة البروج﴾

﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ.فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾	22-21	63

﴿سورة الأعلى﴾

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى.إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾	07-06	287

﴿سورة الفجر﴾

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ.وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾	26-25	176

﴿سورة الناس﴾

﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾	02	283-280

❑ ❑ ❑

فهرس القراءات القرآنية

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿سورة الفاتحة﴾		
﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	4	284
﴿سورة البقرة﴾		
﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾	10	299
﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾	36	208
﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ﴾	51	213
﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾	106	290-285
﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾	119	251
﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾	148	220-212
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾	219	318-251
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾	251	229
﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾	259	322

﴿سورة آل عمران﴾

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	161	341-336

﴿سورة النساء﴾

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ﴾	33	222
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا﴾	94	329

﴿سورة المائدة﴾

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	50	199
﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ﴾	67	359-352
﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ﴾	112	348-344

﴿سورة الأنعام﴾

﴿وَجَعَلوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الجِنَّ وَخَلَقَهُم وَخَرَقوا لَهُ بَنينَ وَبَناتٍ بِغَيرِ عِلمٍ﴾	100	235
﴿وَكَذلِكَ نُصَرِّفُ الآياتِ وَلِيَقولوا دَرَستَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَومٍ يَعلَمونَ﴾	105	225
﴿وَأَقسَموا بِاللَّهِ جَهدَ أَيمانِهِم لَئِن جاءَتهُم آيَةٌ لَيُؤمِنُنَّ بِها﴾	109	196
﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهدِيَهُ يَشرَح صَدرَهُ لِلإِسلامِ وَمَن يُرِد أَن يُضِلَّهُ﴾	125	139

﴿سورة الأعراف﴾

﴿وَهُوَ الَّذي يُرسِلُ الرِّياحَ بُشرًا بَينَ يَدَي رَحمَتِهِ حَتّى إِذا أَقَلَّت سَحابًا﴾	57	331
﴿أَفَأَمِنَ أَهلُ القُرى أَن يَأتِيَهُم بَأسُنا بَياتًا وَهُم نائِمونَ.أَوَأَمِنَ﴾	98-97	256
﴿وَواعَدنا مُوسى ثَلاثينَ لَيلَةً وَأَتمَمناها بِعَشرٍ فَتَمَّ ميقاتُ رَبِّهِ﴾	142	213

﴿سورة التوبة﴾

﴿ما كانَ لِلمُشرِكينَ أَن يَعمُروا مَساجِدَ اللَّهِ شاهِدينَ عَلى أَنفُسِهِم﴾	17	265

﴿سورة يوسف﴾

﴿قالَ قائِلٌ مِنهُم لا تَقتُلوا يوسُفَ وَأَلقوهُ في غَيابَتِ الجُبِّ﴾	10	364-363

﴿سورة النحل﴾

﴿وَيَجعَلونَ لِلَّهِ ما يَكرَهونَ وَتَصِفُ أَلسِنَتُهُمُ الكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الحُسنى﴾	62	305

﴿سورة الإسراء﴾

﴿وَإِذا أَرَدنا أَن نُهلِكَ قَريَةً أَمَرنا مُترَفيها فَفَسَقوا فيها فَحَقَّ عَلَيهَا﴾	16	354

﴿سورة طه﴾

﴿وَواعَدناكُم جانِبَ الطّورِ الأَيمَنَ وَنَزَّلنا عَلَيكُمُ المَنَّ وَالسَّلوى﴾	80	213
﴿قالَ فَاذهَب فَإِنَّ لَكَ فِي الحَياةِ أَن تَقولَ لا مِساسَ وَإِنَّ لَكَ مَوعِدًا﴾	97	341

﴿سورة الحج﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾	5	268
﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾	38	229
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ﴾	40	229
﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾	51	310

﴿سورة الفرقان﴾

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾	48	331

﴿سورة النمل﴾

﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾	63	331

﴿سورة الروم﴾

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾	22	272

﴿سورة الأحزاب﴾

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾	67	367

﴿سورة سبأ﴾

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾	5	310

﴿ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾	38	310

﴿سورة الزمر﴾

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾	9	259

﴿سورة فصلت﴾

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾	39	268

﴿سورة الزخرف﴾

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾	19	292

﴿سورة الفتح﴾

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا.لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ﴾	9-8	202

﴿سورة الحجرات﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا﴾	6	329

﴿سورة التكوير﴾

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ.بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾	9-8	243
﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ.وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾	24-23	350

❑ ❑ ❑

فهرس الأحاديث والآثار

الحديـــث	الصفحة
«إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي، أخذ السموات منه رجفة شديدة خوفاً...»	63-62
« أولئك قرؤوا ولم يقرؤا، كنت أقوم مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة التمام، ...»	150
« صليت مع النبي ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة، ثم مضى ...»	184-150
« لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ...»	159
« يا أبي، أُرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هون على أمتي، ...»	97
« يا جبريل، إني بعثت إلى أمة أميين: منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، ...»	98
«... إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه»	53-52-51
«أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه...»	67
«إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فأرعِها سمعك، فإنه خير يأمر به، ...»	187
«إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة...»	63
«أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة ..»	96-53-5
«الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة. والذي يقرأ القرآن يتتعتع فيه..»	180

«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه...» 127

«إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف» 54

«إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأي ذلك قرأتم فقد أحسنتم، ولا تَمَاروا فيه ...» 99-53

«أنزل القرآن على سبعة أحرف، كلهن شاف كاف» 99-98-54

«أنزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف، كلها شاف كاف» 99

«إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» 233

«إني أحب أن أسمعه من غيري» 149

«إني سألتُ ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها، وهي نائلةٌ إن شاء الله ...» 150

«حدثنا الذين كانوا يُقرؤوننا القرآن–كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، ...» 69

«خيركم من تعلم القرآن وعلمه» 181-160

«زينوا القرآن بأصواتكم» 181-128

«كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجازوهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن» 69

«كان يقطع قراءته آية آية: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾» 179

«كان يمده مداً، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، يمد ببسم الله، ويمد بالرحمن، ...» 179

«لو استقبلت من أمري ما استدبرت» 132

«لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود» 150

«ليس منا من لم يتغن بالقرآن» 181

«ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به» 181

«من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد» 181

«من لا يشكر الناس لا يشكر الله» 8

«نزل القرآن على سبعة أحرف، المراء في القرآن كفر-ثلاث مرات- فما عرفتم ...» 98

«يُصلي أربعاً، فلا تسألُ عن حسنهن وطولهن» 255

❑ ❑ ❑

فهرس المصطلحات

المصطلح	الصفحة	المصطلح	الصفحة
الإنشاء	146	التواتر	60
التكثير	234	القراءات المتحدة المعنى	93
الخبر	146	القراءات المتعددة المعنى	94
الخلاف الجائز	48	التفكر	155
الخلاف الواجب	48	التأويل	154
الرواية	47	الالتفات	191
الطريق	48	التأمل	156
علم القراءات	49	التفسير	152
القراءة	45	علم التجويد	118
القراءة الآحادية	92	الأحرف السبعة	99
القراءة الشاذة	92	التدبر	132
القراءة المتواترة	91	رسم المصحف	117

القراءة المردودة	89	القراءة الموضوعة	93
القراءة المشهورة	91	القراءة المدرجة	92
القراءة المقبولة	82	توجيه القراءات	117
القرآن	39	المجمل	206
المفاعلة	221	العموم	206
الوجه	48	أصول القراءات	118

❑ ❑ ❑

فهرس المنظومات والأشعار

البيـــت		صاحبه	الصفحة
وظُنَّ بهِ خيراً وسامح نسيجـهُ	بالاغضاءِ والحسنى وإن كانَ مهلـــلاَ	الشاطبي	10
وسلِّم لإحدى الحسنيين إصابةٌ	والأُخرى اجتهادٌ رامَ صوْباً فأَمْحلاَ	الشاطبي	10
وإنْ كان خَرْقٌ فادَّركه بفضْلـةٍ	من الحلم ولْيُصلحهُ من جاد مِقْولاَ	الشاطبي	10
وبالله حولي واعتصامـي وقوتي	ومـــــاليَ إلا سترُه مُتجلِّـــــلا	الشاطبي	33
فيا ربِّ أنت الله حسبي وعُدتي	عليك اعتمادي ضارعاً متوكـــلا	الشاطبي	33
تُريكَ إذَا دَخَلْتَ عَلَى خَـــلاءٍ	وقـــدْ أَمِنَتْ عُيُونَ الكَاشِحِينَـــا	ابن كلثوم	45
ذِرَاعَيْ عَيْطَلٍ أَدْمَـــاءَ بِكْـــرٍ	هِجَـــانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْـــرَأْ جَنِينَـــا	ابن كلثوم	45
تَجَمَّـــهُ عَلَيْهِ جَبْرَاءِيـــــلُ	فِي مُـــدَّةٍ حَتَّى انْقَضَى التَّنْزِيـــــلُ	الداني	66
لَبِثَ فِي إِنْزَالِـــهِ سِنِينَـــــــا	حِسَابُهَـــا زَادَ عَلَى العِشْرِينَـــــا	الداني	66
وَكَانَ يَعْرِضُ عَلَى جِبْرِيـــــلَ	فِي كُلِّ عَامٍ جُمْلَةَ التَّنْزِيـــــــــلِ	الداني	68
فَكَـــــانَ يُقْرِيهِ فِي كُلِّ عَرْضَهْ	بِوَاحِـــــــدٍ مِنَ الحُرُوفِ السَّبْعَهْ	الداني	68
حَتَّى إِذَا كَـــــانَ بِقُرْبِ الحِينِ	عَرَضَهُ عَلَيْهِ مَرَّتَيْـــــــــــنِ	الداني	68
وَلَمْ يَزَلْ حِفْظُهُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي	عُلَى حَيَـــــاةِ رَسُولِ اللهِ مُبْتَدَراَ	الشاطبي	70

عَليٌّ، عُثْمـــــــانُ، أُبِيٌّ، زَيْدُ	ولابنِ مَسعُودٍ بِهذا سَعْـــــــــدُ	الزمزمي	72
كذا أَبُو زَيْدٍ، أَبو الدَّرْدا كَـــذَا	مُعـــــــــــاذٌ بنُ جَبَلٍ، وأَخَذَا	الزمزمي	72
عَنْهُمْ أَبُـــــــو هُرَيْرَةٍ مَعَ ابْنِ	عَبَّاسٍ، ابـــــــنُ سَائِبٍ، والمغْنِي	الزمزمي	72
بِذَيْنِ عَبْدُ اللهِ ثُمَّ مَنْ شُهِـــــرْ	مِـــــنْ تَابِعِيٍّ فالَّذِي مِنْهُمْ ذُكِرْ	الزمزمي	72
يَزِيْدُ أَيْ مَـــــنْ أَبُهُ القَعْقَاعُ	والأَعْرَجُ بنُ هُرْمُزٍ قَدْ شَاعُـــــوا	الزمزمي	72
مُجَاهِدٌ، عَطَـــا، سَعِيْدٌ، عِكْرِمَةْ	والحَسَنُ، الأَسْـــــوَدُ، زِرٌّ، عَلْقَمَةْ	الزمزمي	72
كذاكَ مَسْرُوقٌ، كـــــذا عَبِيْدَةْ	رُجُـــــــــــوعُ سَبْعةٍ لَهُمْ لا بُدَّهْ	الزمزمي	72
وَمِنْهُمُ عَشْرٌ شُمُوسٌ ظَهَـــــرَا	ضَيَاؤُهُمْ وَفِي الأَنَـــــــامِ انْتَشَرَا	ابن الجزري	77
حَتَّى اسْتَمَدَّ نُـــــوْرُ كُلِّ بَدْرِ	مِنْهُمْ وَعَنْهُمْ كُـــــــلُّ نَجْمٍ دُرِّي	ابن الجزري	77
وَهَا هُمُو يَذْكُرْهُمُو بَيَـــــــانِي	كُلُّ إِمَـــــــامٍ عَنْهُ رَاوِيَـــــانِ	ابن الجزري	77
فَنَافِعٌ بِطَيْبَةٍ قَدْ حَظِيَـــــــا	فَعَنْهُ قَالُونٌ وَوَرْشٌ رَوَيَـــــــا	ابن الجزري	77
وَابْـــــــنُ كَثِيرٍ مَكَّةٌ لَهُ بَلَـــدْ	بَزِّ وَقُنْبُلٌ لَـــــــهُ عَلَى سَنَـــدْ	ابن الجزري	77
ثُمَّ أَبُوعَمْـــــــرٍو فَيَحْيَ عَنْهُ	وَنَقَلَ الـــــــدُّورِي وَسُوسٍ مِنْهُ	ابن الجزري	77
ثُمَّ ابْنُ عَـــامِرِ الدِّمشْقِي بِسَنَدْ	عَنْهُ هِشَامٌ وابْنُ ذَكْـــــــوَانَ وَرَدْ	ابن الجزري	77
ثَـــلاَثَةٌ مِنْ كُوفَةٍ فَعَاصِـــــمُ	فَعَنْهُ شُعْبَةٌ وَحَفْصٌ قَائِـــــــمُ	ابن الجزري	77

وَحَمْزَةٌ عَنْهُ سُلَيْمٌ فَخَلَـــــــفْ	مِنْهُ وَخَلاَّدٌ كِلاهُمَا اغْتَـــــــرَفْ	ابن الجزري	78
ثمَّ الكِسَائِيُّ الفَتَى عَلِـــــــيُّ	عَنْهُ أَبُو الْحَارِثِ والـــــــدُّورِيُّ	ابن الجزري	78
ثمَّ أَبُـــو جَعْفَرٍ الحَبْرُ الرِّضَـى	فَعَنْهُ عِيسَى وابْـــنُ جَمَّازٍ مَضَى	ابن الجزري	78
تَاسِعُهُمْ يَعْقُوبُ وَهْوَ الحَضْرمِي	لَـــهُ رُوَيْسٌ ثُمَّ رَوْحٌ يَنْتَمِـــى	ابن الجزري	78
وَالْعَاشِرُ البَزَّارُ وَهْوَ خَلَـــفُ	إِسْحَاقُ مَـــعْ إِدْرِيسَ عَنْهُ يُعْرَفُ	ابن الجزري	78
فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْـــــوِ	وَكَـــــانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالاً يَحْوِي	ابن الجزري	84
وَصَحَّ إِسْنَاداً هُـــــوَ الْقُرْآنُ	فَهَذِهِ الثَّلاَثَةُ الأَرْكَـــــانُ	ابن الجزري	84
وَحَيْثُمَـــــا يَخْتَلَّ رُكْنٌ أَثْبِتْ	شُذُوذَهُ لَـــــوْ أَنَّهُ فِي السَّبْعَـةِ	ابن الجزري	84
جَـــــاءَ بِهَا عن ربِّهِ جبريلُ	وَقَالَ: قَـــــدْ خُصَّ بها التَّنزِلُ	الداني	120
فَاقْرَأْ بِها أنتَ وكُـــلُّ أُمَّتِكْ	فإنَّها تَـــــوْسِعَةٌ فِي سُنَّتِكْ	الداني	120
وَكُلُّهَا مُسْتَحْسَنٌ وكَـــافٍ	وَكُلُّهَا لِمُبْتَغِيهَا شَـــافٍ	الداني	120
وَلاَ تَتقون الشر حَـتى يصيبكم	وَلاَ تَعرفون الأمر إلا تَـــدبُرا	جرير	132
وَالأَخْذُ بِالتَّجْوِيـــدِ حَتْمٌ لازِمُ	مَنْ لَـــــمْ يُجَوِّدِ الْقُرآنَ آثِمُ	ابن الجزري	180
لأَنَّهُ بِهِ الإِلَـهُ أَنْـــــزَلاَ	وَهَكَذَا مِنْهُ إِلَيْنَا وَصَـــــلاَ	ابن الجزري	180
وَهُوَ أَيْضًا حِلْيَةُ التِّـــلاَوَةِ	وَزِيْنَـةُ الأَدَاءِ وَالْقِـــــرَاءَةِ	ابن الجزري	180

بَعَثْنَا رَبِيئـــــاَ قبل ذلك مُخْمَلاً	كذئب الغَضَا يمشي الضَّـــرَاءَ ويتَّقي	امرؤ القيس	269
نزلتم منزل الأضياف منـــــــا	فعجلنا القِرى أن تشتمونـــــــا	ابن كلثوم	307
كمـــــــــا راشدٍ تَجِدَنَّ امْرَأً	تَبَيَّنَ ثمَّ ارعَوَى أو قَـــــــــدِمْ	الأعشى	327
جُنْدُك التَّالِـــدُ الطَّريفُ من الـ	ساداتِ أهلِ القِبابِ والآكـــــالِ	الأعشى	367

❑ ❑ ❑

فهرس الأعلام المترجم لهم

الاســـم	الصفحة	الاســـم	الصفحة
أبو جعفر بن القعقاع المخزومي	76	أبو عبيد القاسم بن سلام	102
أبو عمرو بن العلاء المازني	76	أبو شامة المقدسي	103
جلال الدين السيوطي	25	عثمان بن سعيد الداني	66
الحسن بن يسار البصري	147	شمس الدين أبو عبد الله الذهبي	70
حمزة بن حبيب الزيات	75	عبد الله بن مسلم بن قتيبة	110
خلف بن هشام الأسدي	75	الحارث بن هشام	67
عاصم بن بهدلة الكوفي	76	أبو الفضل عياض بن موسى	107
عبد الرحمن السعدي	136	عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي	50
عبد الله بن عامر	75	محمد بن الطيب الباقلاني	110
عبد الله بن كثير	76	أبو حاتم سهل السجستاني	109
عبد الملك بن عبد الله الجويني	104	محمد بن جرير الطبري	102
علاء الدين بن محمد الخازن	135	محمد سالم محيسن	57
علي بن حمزة الكسائي	76	محمد ابن الجزري	49

محمد ابن قيم الجوزية	133	محمد الأمين الشنقيطي	321
محمد الزركشي	55	يحي بن حمزة العلوي الطالبي	192
محمد الحسيني الزبيدي	133	سعيد بن مسعدة الأخفش	330
محمد الطاهر بن عاشور	136	أحمد بن محمد القسطلاني القتيبي	55
يعقوب بن إسحاق الحضرمي	77	يوسف السكاكي الخوارزمي	191
محمد بن أحمد الخزرجي القرطبي	115	عثمان بن جني الموصلي	270
الحسن بن علي الفارسي	212	محمد بن عمر التيمي الرازي	111
محمد بن حيان الأندلسي	135	عبد الحق ابن عطية الأندلسي	351
محمد بن مكرم ابن منظور	132	علي بن محمد الماوردي	313
محمود الحسيني الألوسي	136	أحمد بن محمد البنا الدمياطي	50
محمود بن عمرو الزمخشري	135	الحسين بن أحمد بن خالويه	280
نافع بن أبي نعيم الليثي	76	مكي بن أبي طالب القيسي	102
يحى بن شرف النووي	183	القاسم بن فيره الشاطبي	70

❑ ❑ ❑

فهرس المصادر والمراجع

1. الإبانة عن معاني القراءات: مكي بن أبي طالب حموش القيسي، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

2. إبراز المعاني بالأداء القرآني: إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، دار الحضارة للنشر والتوزيع، 1433هـ-1434م.

3. أبنية الفعل ودلالاتهاوعلاقاتها: أبو أوس إبراهيم الشمسان، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1407هـ-1987م.

4. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر (المسمى: منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات): أحمد بن محمد البنا، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب-بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية-القاهرة، الطبعة الأولى: 1407هـ-1987م.

5. الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي (تحقيق: شعيب الأرنؤوط)، مؤسسة الرسالة ناشرون، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1429هـ-2008م.

6. أثر القراءات السبع في تطور التفكير اللغوي: عبد الكريم محمد الحسن بكار، دار القلم-دمشق، الطبعة الأولى 1411هـ-1990م.

7. أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة علي جراح الصباح للنشر والتوزيع-الكويت.

8. أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي: عفيف دمشقية، معهد الإنماء العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1978م.

9. أثر القراءات في الفقه الإسلامي: صبري عبد الرءوف محمد عبد القوي، أضواء السلف-الرياض، الطبعة الأولى 1418هـ-1997م.

10. أثر قراءات الصحابة في تفسير القرآن الكريم (تفسير القرطبي نموذجاً): محمد الحبيب العلاني، دار سحنون للنشر والتوزيع-تونس، الطبعة الأولى 1435هـ-2014م.

11. إجمال البيان في مباحث من علوم القرآن: عبد الله أحمد أحميد، دار الكتب الوطنية، ليبيا-بنغازي، الطبعة الثانية: 2006م.

12. الأحرف السبعة للقرآن: أبو عمرو الداني، تحقيق عبد المهيمن طحان، دار المنارة للنشر والتوزيع، السعودية-جدة، الطبعة الأولى: 1418هـ-1997م.

13. الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها (دراسة في الأحرف السبعة-مذاهب الأئمة فيها-ضرورتها والحكمة منها، دحض التخرصات عنها): حسن ضياء عتر: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت، الطبعة الأولى 1409هـ-1988م.

14. الأحرف القرآنية السبعة: عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية-الرياض، الطبعة الأولى: 1411هـ-1991م.

15. إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1426هـ-2005م.

16. اختصاص القرآن بعوده إلى الرحيم الرحمن: محمد بن عبد الواحد المقدسي المعروف بـ(الضياء)، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، مكتبة الرشد، السعودية-الرياض، الطبعة الأولى: 1409هـ-1989م.

17. اختلاف القراء السبعة في الياءات والتاءات والنونات والباءات والثاءات: عبد المنعم بن غلبون، تحقيق: سر الختم الحسن عمر، مركز البحوث التربوية (جامعة الملك سعود، كلية التربية)، السعودية-الرياض، الطبعة الأولى: 1416هـ-1995م.

18. اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره: سعود بن عبد الله الفنيسان، مركز الدراسات والإعلام/ دار اشبيليا، السعودية-الرياض، الطبعة الأولى: 1418هـ-1997م.

19. الاختلاف بين القراءات: أحمد البيلي، دار الجيل-بيروت/الدار السودانية للكتب-الخرطوم، الطبعة الأولى 1407هـ-1988م.

20. أخلاق أهل القرآن: أبو بكر محمد بن حسن الآجري، تحقيق: محمد عمرو بن عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، الطبعة الثانية: 1424هـ-2003م.

21. آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه: جمال الدين ابن الجوزي، تحقيق سليمان الحرش، دار النوادر، دمشق-سوريا، الطبعة الثالثة: 1429هـ-2008م.

22. الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقد الديانات بالتجويد والدلالات: أبو عمرو عثمان بن سعيد بن سعيد الداني، تحقيق: محمد بن مجقان الجزائري، دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1420هـ-1999م.

23. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، لبنان-بيروت.

24. إرشاد المريد إلى مقصود القصيد: علي محمد الضباع، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده.

25. الأساس في علم القراءات (كتاب جامع محرر في مبادئ علم القراءات): علي الجعفري، أروقة للدراسات والنشر، الطبعة الأولى 1436هـ-2015م.

26. أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين علي بن محمد الجزري ابن الأثير، دار ابن حزم، الطبعة الأولى: 1433هـ-2012م.

27. أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم: محمود السيد شيخون، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع.

28. أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم (غرضه-إعرابه): عبد الكريم محمود يوسف، مطبعة الشام، الطبعة الأولى: 1421هـ-2000م.

29. أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: حسن طبل، دار الفكر العربي، مصر-القاهرة، 1418هـ-1998م.

30. الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المكتبة العصرية، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1433هـ-2012م.

31. الأصوات في القراءات القرآنية الشاذة (ذخيرة قرائية احتجاجية صوتية لهجية موثقة): نوال بنت إبراهيم الحلوة، كنوز المعرفة، الطبعة الأولى: 1438هـ-2017م.

32. أصول التفسير وقواعده: خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، لبنان-بيروت، الطبعة الثانية: 1306هـ-1986م.

33. أصول في التفسير: محمد صالح العثيمين، المكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى: 1422هـ-2001م.

34. الإضمار البلاغي في القراءات القرآنية دراسة تطبيقية في القراءات السبع: محمد أمين محمد المختار، دار الثقافة والإعلام، الشارقة-الإمارات، الطبعة الأولى: 2014م.

35. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، السعودية-مكة، الطبعة الأولى: 1426هـ.

36. أضواء البيان في تاريخ القرآن: صابر حسن محمد أبو سليمان، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1421هـ-2000م.

37. الاعجاز البلاغي في القرآن الكريم: محمد حسين سلامة، دار الآفاق العربية، مصر-القاهرة، الطبعة الأولى: 1423هـ-2002م.

38. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: عائشة عبد الرحمن، دار المعارف بمصر، المغرب: 1391هـ-1971م.

39. إعجاز القراءات القرآنية (دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء): صبري الأشوح، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى 1419هـ-1998م.

40. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرفاعي، دار الكتاب العربي، لبنان-بيروت، الطبعة التاسعة: 1393هـ-1973م.

41. إعجاز القرآن: محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر-القاهرة.

42. إعراب القراءات السبع وعللها: الحسين بن أحمد بن خالويه الهمداني، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى: 1413هـ-1992م.

43. الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين): خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، لبنان-بيروت، الطبعة الخامسة عشرة: مايو 2002م.

44. الإكليل في استنباط التنزيل: جلال الدين السيوطي، راجعه وصححه: أبو الفضل عبد الله محمد الصديق.

45. الإمام الشاطبي سيد القراء: إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم-دمشق، الطبعة الأولى: 1420هـ-2000م.

46. الإمام الشافعي فقيه السنة الأكبر: عبد الغني الدقر، دار القلم، سوريا-دمشق، الطبعة السادسة: 1417هـ-1996م.

47. الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير: مشهور حسن محمود سلمان، دار القلم-دمشق، الطبعة الأولى: 1413هـ-1993م.

48. إمتاع الفضلاء بتراجم القراء فيما بعد القرن الثامن الهجري: إلياس بن أحمد حسين بن سليمان البرماوي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1421هـ-2000م.

49. إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن: عبد الله بن الحسين بن عبد الله العبكري، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت.

50. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع- مؤسسة التاريخ العربي، لبنان-بيروت.

51. أول مرة أتدبر القرآن: عادل محمد خليل، شركة (اس بي) حلول إعلانية متكاملة، الطبعة الثالثة عشر: 1438هـ-2017م.

52. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: أبو بكر جابر الجزائري، الطبعة الثالثة: 1410هـ-1990م.

53. البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان-بيروت، 1432هـ-2010م.

54. بحوث في أصول التفسير ومناهجه: فهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة التوبة، السعودية-الرياض، الطبعة الرابعة: 1419هـ.

55. بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم: موسى إبراهيم الإبراهيم، دار عمار-عمان، الطبعة الثانية: 1416هـ-1996م.

56. بدائع المعاني (آيات الصيام تدبر وتحليل): عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، دار الحضارة للنشر والتوزيع، السعودية-الرياض، الطبعة الثانية: 1432هـ-2011م.

57. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طرقي الشاطبية والدرى: عبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، لبنان–بيروت.

58. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (تحقيق: أبو الفضل الدمياطي)، دار الحديث، مصر–القاهرة، سنة الطبع: 1427هـ–2006م.

59. بستان العارفين: يحي بن شرف النووي: محمد الحجار، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان–بيروت، الطبعة السادسة: 1427هـ–2006م.

60. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر–القاهرة، الطبعة الثانية: 1427م–2006م.

61. بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات: أحمد بن عمار المهدوي المقرئ، شرح وتحقيق: أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان–بيروت، الطبعة الأولى: 1427هـ–2006م.

62. تاريخ القراءات في المشرق والمغرب: محمد المختار ولد اباه، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة–أيسيسكو،1422هـ–2001م.

63. تاريخ نزول القرآن الكريم: محمد رأفت سعيد.

64. تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر.

65. التبصرة في قراءات الأئمة العشرة: علي بن فارس الخياط (دراسة وتحقيق: رحاب محمد مفيد شقيقي)، مكتبة الرشد ناشرون-الرياض، الطبعة الأولى 1428هـ-2007م.

66. التبيان في آداب حملة القرآن: أبو بكر يحي بن شرف النووي، تحقيق: أبو عبد الله كرم جمعة عبد العزيز، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1437هـ-2015م.

67. التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريقة الإتقان: طاهر الجزائري الدمشقي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، لبنان-بيروت، الطبعة الثالثة: 1412.

68. تجريد الوافي بالوفيات: أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، دراسة وتحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مؤسسة الريان ناشرون، الطبعة الأولى: 1434هـ-2013م.

69. التحبير في علم التفسير: السيوطي، تحقيق: فتحي عبد القادر فريد، دار العلوم للطباعة والنشر، السعودية-الرياض، الطبعة الأولى: 1402هـ-1982م.

70. التحريرات على الشاطبية بين القراءة والمنع: سامي محمد عبد الشكور، دار عمار، الطبعة الأولى 2433هـ-2016م.

71. تحريك الجنان لتدبر وتوقير أم القرآن: عصام بن صالح العويد، دار الحضارة للنشر والتوزيع، السعودية-الرياض.

72. التحفة السنية في تحرير طرق الشاطبية والدرة المضية: علي بن محمد توفيق النحاس، دار الميمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1435هـ-2014م.

73. تدبر القرآن الكريم وأثره في تزكية النفوس: محمد بن عمر بن سالم بازمول، دار الاستقامة، مصر-القاهرة، الطبعة الأولى: 1429هـ-2008م.

74. التدبر حقيقته وعلاقته بمصطلحات التأويل والاستنباط والفهم والتفسير (دراسة بلاغية تحليلية على آيات من الذكر الحكيم): عبد الله عبد الغني سرحان، مركز تدبر للدراسات والاستشارات، السعودية-الرياض، 1430هـ-2009م.

75. تصويبات في فهم بعض الآيات: صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان-دمشق، الطبعة الأولى: 1407هـ-1987م.

76. التعريف بالقاضي عياض: محمد بن القاضي عياض، تحقيق: محمد بن شريفة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب، الطبعة الأولى: 1982.

77. تفسير البحر المحيط: أثير الدين محمد ابن حيان الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1423هـ-2002م.

78. التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول: محمد عزة دروزة، دار الغرب الإسلامي، لبنان-بيروت، الطبعة الثانية: 1421هـ-2000م.

79. تفسير الصحابة: عبد الله أبو السعود بدر، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1421هـ-2000م.

80. التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور): حكمت بشير ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة، السعودية-المدينة المنورة، الطبعة الأولى: 1420هـ-1999م.

81. تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: محمد علي طه الدرة، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1430هـ-2009م.

82. التفسير الكبير: تقي الدين ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت.

83. التفسير اللغوي للقرآن الكريم: مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي.

84. التفسير الواضح الميسر: محمد علي الصابوني، المكتبة العصرية، لبنان-صيدا، الطبعة الثامنة: 1428هـ-2007م.

85. تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، دراسة وتحقيق: عبد العزيز بن محمد الخليفة، مكتبة الرشد/شركة الرياض للنشر والتوزيع، السعودية-الرياض، الطبعة الأولى: 1417هـ-1996م.

86. التفسير والتأويل في القرآن: صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، الطبعة الأولى: 1416هـ-1996م.

87. التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، دار النوادر-الكويت، 1431هـ-2010م.

88. تمهيد حديث إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف: أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن محمد بن عبد البر الأندلسي، اقرأ للطباعة والنشر والتوزيع-دار الوعي بحلب، الطبعة الأولى 1425هـ-2004م.

89. تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما ألحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل: عبد القادر شيبة الحمد، مؤسسة علوم القرآن، سوريا-دمشق، الطبعة الثانية: 1432هـ-2011م.

90. تهذيب وترتيب الإتقان في علوم القرآن: محمد بن عمر بازمول، دار الهجرة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية-الرياض، الطبعة الأولى: 1412هـ-1992م.

91. التوجيه اللغوي للقراءات السبع عند أبي علي الفارسي في كتابه الحجة (دراسة تطبيقية على مستويات التحليل اللغوي: صوتيا، وصرفيا، ونحويا، ودلاليا): عمرو خاطر عبد الغني وهدان، مكتبة الآداب-القاهرة، الطبعة الأولى 1430هـ-2009م.

92. التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء في (معاني القرآن): طه صالح أمين آغا، دار المعرفة، الطبعة الأولى 1428هـ-2007م.

93. التوجيه النحوي للقراءات القرآنية (بين الأخفش والفراء في ضوء منهج القرائن النحوية): محمد عبيد، إصدارات مركز الجاسر الثقافي، الطبعة الأولى 1429هـ-2008م.

94. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1420هـ-2000م.

95. التيسير في أحاديث التفسير: محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1405هـ-1985.

96. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني)، حققها وعلق عليها: محمد خلف الله أحمد ومحمود زغلول سلام، دار المعارف، مصر-القاهرة، الطبعة الثالثة.

97. ثلاثون مجلساً في التدبر (المجموعة الأولى): إعداد اللجنة العلمية في مركز تدبر، مركز تدبر للدراسات والاستشارات، السعودية-الرياض، الطبعة الأولى: 1433هـ-2012م.

98. ثلاثون مجلساً في التدبر (المجموعة الثالثة): إعداد اللجنة العلمية في مركز تدبر، مركز تدبر للدراسات والاستشارات، السعودية-الرياض، الطبعة الأولى: 1435هـ-2014م.

99. ثلاثون مجلساً في التدبر (المجموعة الثانية): إعداد اللجنة العلمية في مركز تدبر، مركز تدبر للدراسات والاستشارات، السعودية-الرياض، الطبعة الأولى: 1434هـ-2013م.

100. ثلاثون مجلساً في التدبر مجالس علمية وإيمانية: إعداد اللجنة العلمية في مركز تدبر، مركز تدبر للدراسات والاستشارات، السعودية-الرياض، الطبعة الأولى: 1433هـ-2012م.

101. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر الطبري، تحقيق: بشار عواد معروف-عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، لبنان-بريوت، الطبعة الأولى: 1415هـ-1994م.

102. جامع البيان في القراءات السبع: عثمان بن سعيد الداني، كلية الدراسات والبحث العلمي-جامعة الشارقة، الطبعة الأولى 1468هـ-2007م.

103. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1427هـ-2006م.

104. جمال القراء وكمال الإقراء: علم الدين السخاوي (تحقيق علي حسن البواب)، مكتبة التراث-مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1408هـ-1987م.

105. جماليات المفردة القرآنية: أحمد ياسوف، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، سورية-دمشق، الطبعة الثانية: 1419هـ-1999م.

106. الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد المجود وعبد الفتاح أبو سنة، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1418هـ-1997م.

107. حجة القراءات: أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان-بيروت، الطبعة الخامسة: 1418هـ-1997م.

108. الحجة في علل القراءات السبع: الحسن بن عبد الغفار الفارسي النحوي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1428هـ-2007م.

109. حجية القراءات وأثرها في الفقه: فواز إسماعيل محمد المشهداني، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى 2015م.

110. حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع: القاسم بن فيره الشاطبي، تحقيق محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى، السعودية-المدينة، الطبعة الخامسة: 1431هـ-2010م.

111. الدر الثمين في أسماء المصنفين: علي بن أنجبا المعروف بابن الساعي، تحقيق: أحمد شوقي بنبين-محمد سعيد الحبشي، دار الغرب الإسلامي-تونس، الطبعة الأولى: 1430هـ-2009م.

112. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم-دمشق.

113. الدر النثير والعذب النمير في شرح التيسير: عبد الواحد بن أبي السداد المالقي الأندلسي (تحقيق: محمد بوطربوش)، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المملكة المغربية، 1432هـ-2011م.

114. الدرر الناثرة في توجيه القراءات المتواترة: أحمد ابن عجيبة الحجوجي الحسني (تحقيق: عبد السلام العمراني الخالدي)، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى 2013م.

115. الدرر الناثرة في توجيه القراءات المتواترة: أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة الحجوجي الحسني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 2013م.

116. دروس ومحاضرات في علم القراءات: محمد بالوالي، منشورات رابطة علماء المغرب 1417هـ-1997م.

117. ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق: محمد حسن، المطبعة النموذجية، السعودية-مكة.

118. سر الفصاحة: عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1402هـ-1982م.

119. سلسلة ديوان العرب (المعلقات) معلقة عمرو بن كلثوم، حررها: محمد علي الحسني، إصدارات دار الكتب الوطنية، الإمارات-أبو ظبي، الطبعة الأولى: 1433هـ-2012م.

120. سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق: رائد بن صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع، السعودية–الرياض، الطبعة الثانية: 1436هـ–2015م.

121. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، تحقيق: رائد بن صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع، السعودية–الرياض، الطبعة الثانية: 143هـ–2015م.

122. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى ابن الضحاك الترمذي، تحقيق: رائد بن صبري ابن أبي علفة دار الحضارة للنشر والتوزيع، السعودية–الرياض، الطبعة الثانية: 1436هـ–2015م.

123. سنن النسائي: أحمد بن شعيب بن علي بن سنان أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: رائد بن صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع، السعودية–الرياض، الطبعة الثانية: 1436هـ–2015م.

124. شذا العرف في فن الصرف: أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي، قدم له وعلق عليه: محمد بن عبد المعطي، دار الكيان للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية–الرياض.

125. شرح الإمام الزبيدي على متن الدرة في القراءات الثلاث المتممة للقراءات العشر: عثمان بن عمر بن أبي بكر الناشري الزبيدي ثم اليمني (تحقيق: عبد الرزاق علي إبراهيم موسى)، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 1409هـ-1989م.

126. شرح الشاطبية للإمام السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (تحقيق: فرغلي سيد عرباوي)، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى 2011م.

127. شرح الفاسي على الشاطبية المسمى باللآلئ الفريدة في شرح القصيدة: عبد الله ربيع محمود حسين، مكتبة الرشد ناشرون-الرياض، الطبعة الأولى 1426هـ-2005م.

128. شيخ القراء الإمام ابن الجزري: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر-بيروت، دار الفكر-دمشق، الطبعة الأولى: 1416هـ-1995م.

129. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، تحقيق: رائد بن صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع، السعودية-الرياض، الطبعة الثالثة: 1436هـ-2015م.

130. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، تحقيق: رائد بن صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع، السعودية-الرياض، الطبعة الثانية: 1436هـ-2015م.

131. صفة الصفوة: جمال الدين ابن الجوزي، تحقيق: خالد طرطوسي، دار الكتاب العربي، لبنان-بيروت، 1433هـ-2012م.

132. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الجيل، لبنان-بيروت.

133. الطبري وحديث الأخرف السبعة: سعاد سيد أحمد علي، مطابع جامعة الملك سعود، 1415هـ-1994م.

134. طبقات الفقهاء الشافعيين: ابن كثير، تحقيق: أنور الباز، دار الوفاء، الطبعة الأولى: 1425هـ-2004م.

135. طبقات المفسرين: جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، دار النوادر-الكويت، 1431هـ-2010م.

136. طلائع البشر في توجيه القراءات العشر: محمد الصادق قمحاوي، مصر-القاهرة، دار العقيدة، الطبعة الأولى: 1427هـ-2006م.

137. طيبة النشر في القراءات العشر: محمد ابن الجزري، تحقيق: محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى، السعودية-المدينة، 1414هـ-1994.

138. الظاهرة الجمالية في الإسلام: صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1407هـ-1986م.

139. عقيدة الإمام الذهبي: سليمان بن صالح الخراشي، الدار الأثرية، عمان-الأردن، الطبعة الأولى: 1430هـ-2009م.

140. عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد في علم رسم المصاحف: القاسم بن فيره الشاطبي، تحقيق: أيمن سويد، دار نور المكتبات، السعودية-جدة، الطبعة الأولى: 1422هـ-2001م.

141. علم القراءات (مفهومه، نشأته، مصدره، أقسامه، مدارسه): منصور كافي، دار العلوم للنشر والتوزيع.

142. علم القراءات (نشأته-أطواره-أثره في العلوم الشرعية): نبيل آل إسماعيل، دار الملك عبد العزيز، الطبعة الثانية 1423هـ-2002م.

143. علوم القرآن بين البرهان والإتقان دراسة مقارنة: حازم سعيد حيدر، دار الزمان للنشر والتوزيع-المملكة العربية السعودية، عام: 1420هـ.

144. علوم القرآن: إبراهيم النعمة، الطبعة الثانية: 1429هـ-2008م.

145. علوم القرآن: عبد الله محمود شحاتة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م.

146. العنوان في القراءات السبع: إسماعيل بن خلف المقرئ الأنصاري الأندلسي (تحقيق: خالد حسن أبو الجود)، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1429هـ-2008م.

147. غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين محمد ابن الجزري، تحقيق: برجستراسر، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1427هـ-2006م.

148. غاية النهاية في طبقات القراء: محمد ابن الجزري، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1427هـ-2006م.

149. الغاية في القراءات العشر: أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، دراسة وتحقيق: محمد غياث الجنباز، دار الشواف للنشر والتوزيع، السعودية-الرياض، الطبعة الثانية: 1411هـ-1990م.

150. الغاية في القراءات العشر: أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري (تحقيق: محمد غياث الجنبار)، العبيكان للطباعة والنشر-الرياض، الطبعة الأولى 1405هـ-1985م.

151. الفتح الرباني في علاقة القراءات بالرسم العثماني: محمد سالم محيسن، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1415هـ-1994م.

152. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، اعتنى به وراجع أصوله: يوسف الغوش، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان-بيروت، الطبعة الرابعة: 1428هـ-2007م.

153. فصول في أصول التفسير: مساعد بن سليمان الطيار، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، السعودية-الرياض، الطبعة الأولى: 1413هـ-1993م.

154. فضائل القرآن ومعالمه وآدابه: أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: أحمد بن عبد الواحد الخياطي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب، 1415هـ-1995م.

155. فن التدبر في القرآن الكريم: عصام بن صالح العويد، مركز التدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، السعودية-الرياض، الطبعة الثالثة: 1431م-2010م.

156. فنون الأفنان في عيون علوم القرآن: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى: 1408هـ-1987م.

157. في رحاب القرآن الكريم: محمد سالم محيسن، دار الجيل، لبنان-بيروت.

158. في علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق: السيد رزق الطويل، المكتبة الفيصلية، السعودية-مكة، الطبعة الأولى: 1405هـ-1985م.

159. قبضة البيان في ناسخ ومنسوخ القرآن: أبو القاسم جمال الدين بن عبد الرحمن البذوري، تحقيق: زهير الشاويش ومحمد كنعان، المكتب الإسلامي، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1404هـ-1984م.

160. القراءات أحكامها ومصادرها: شعبان محمد إسماعيل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة، طبعة 1406هـ-1986م.

161. القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب: عبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، لبنان-بيروت، 1401هـ-1981م.

162. قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين: أحمد بن أبي عمر المعروف بالأندرابي (تحقيق: أحمد نصيف الجنابي)، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الثالثة 1407هـ-1986م.

163. القراءات القرآنية (تاريخ وتعريف): عبد الهادي الفضيلى، دار القلم، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية 1980م.

164. القراءات القرآنية (تاريخها-ثبوتها-حجيتها-أحكامها): عبد الحليم بن محمد الهادي قابة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى.

165. القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث: مي فاضل الجبوري، دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد، الطبعة الأولى 2000م.

166. القراءات القرآنية تاريخ وتعريف: عبد الهادي الفضلي، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، الطبعة الرابعة: 1430هـ-2009م.

167. القراءات القرآنية في دراسات المستشرقين: صالح محمد دبويه، منشورات جامعة السابع من أبريل-ليبيا، الطبعة الأولى 2007م.

168. القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات اللغوية والشرعية: غنية بوحوش، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، الطبعة الأولى 2014م.

169. القراءات القرآنية وأثرها في النحو العربي والفقه الإسلامي: التواتي بن التواتي، دار الوعي للنشر والتوزيع-الجزائر.

170. القراءات القرآنية والإعجاز(الملتقى الدولي الثاني): مجموعة البحث في الدراسات القرآنية(تنسيق: الحسن صدقي)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 15، مطبعة النجاح الجديدة-الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2013م.

171. القراءات القرآنية وموقف النحو والاستشراق منها: راضي نواصره، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، 2003م.

172. قراءات وأصوات: فوزي حسن الشايب، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد-الأردن، الطبعة الأولى 2012م.

173. القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث: عبد الغفار حامد هلال، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة: 1426هـ-2005م.

174. القراءات وكبار القراء في دمشق من القرن الأول الهجري حتى العصر الحاضر: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر-مشق، الطبعة الأولى 1424هـ-2003م.

175. قراءة في نحو القراءات القرآنية (دراسة دلالية لنماذج): بوسغادي حبيب، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى 2015م.

176. القرآن المجيد: محمد عزة دروزة، منشورات المكتبة العلمية، صيدا-بيروت.

177. القصيدة المالكية في القراءات السبع: جمال الدين محمد الجياني الأندلسي (تقديم وتحقيق: عبد الهادي حميتو)، دار الغوثاني للدراسات القرآنية: دمشق-سورية، الطبعة الأولى: 1434هـ-2013م.

178. القضايا التطريزية في القراءات القرآنية (دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية): أحمد البايبي، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، الطبعة الأولى 2012م.

179. قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة: جلال الدين السيوطي، تحقيق: خليل محيي الدين المنيس، المكتب الإسلامي، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1405هـ-1985م.

180. قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر: الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة الهجراني، عني به: بوجمعه مكري-خالد زواري، دار المنهاج، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1428هـ-2008م.

181. قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر: قاسم أحمد الدجوي-محمد الصادق قمحاوي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، الطبعة الثالثة.

182. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل: عبد الرحمن حسن جنبكة الميداني، دار القلم، دمشق-بيروت، الطبعة الأولى: 1400هـ-1980م.

183. قواعد نقد القراءات القرآنية (دراسة نظرية تطبيقية): عبد الباقي عبد الرحمن سيسي، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع-السعودية، الطبعة الأولى 1430هـ-2009م.

184. القواعد والإشارات في أصول القراءات: أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا الحموي (تحقيق عبد الكريم بكار)، دار القلم-بيروت، الطبعة الأولى 1406هـ-1986م.

185. الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: يوسف بن علي بن جبارة الهذلي المغربي، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1428هـ-2007م.

186. كتاب أسرار البلاغة: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، السعودية-جدة.

187. كتاب الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عباس، دار صادر، لبنان-بيروت، الطبعة الثالثة: 1429هـ-2008م.

188. كتاب الإقناع في القراءات السبع: أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ابن الباذش، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار الفكر، سوريا-دمشق، الطبعة الأولى: 1403هـ.

189. الكتاب الأوسط في علم القراءات: أبو محمد الحسن بن علي بن سعيد المقرئ العماني (تحقيق عزة حسن)، دار الفكر-دمشق، الطبعة الأولى 1427هـ-2006م.

190. كتاب السبعة في القراءات: ابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر-القاهرة.

191. كتاب الطبقات الكبير: محمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، مصر-القاهرة، الطبعة الأولى: 1421هـ-2001م.

192. كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، مطبعة المقطف، مصر.

193. كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: مكي بن أبي طالب القيسي (تحقيق: محيي الدين رمضان)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1404هـ-1984م.

194. كتاب المرآة في السبع القراءات: ابن رشيق المرسي (تقديم محمد بنشريفة)، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المملكة المغربية، الطبعة الأولى: 1438هـ-2016م.

195. الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها: نصر بن علي الشيرازي الفارسي الفسوي النحوي المعروف بابن أبي مريم، تحقيق ودراسة: عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم-جدة، الطبعة الأولى: 1414هـ-1993م.

196. كتاب الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط-تزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1420هـ-2000م.

197. كتاب طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم: أمين الدين أبو محمد عبد الوهاب بن السلار، تحقيق: أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية، لبنان–صيدا، الطبعة الأولى: 1423هـ–2003م.

198. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، لبنان–بيروت.

199. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان–بيروت، الطبعة الثالثة: 1404هـ–1984م.

200. الكشف والبيان في تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، لبنان–بيروت.

201. الكنز في القراءات العشر: عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي (دراسة وتحقيق خالد أحمد المشهداني)، مكتبة الثقافة الدينية–القاهرة، الطبعة الأولى 1425هـ–2004م.

202. كيف نتعامل مع القرآن العظيم: يوسف القرضاوي، دار الشروق، مصر–القاهرة، الطبعة الثالثة: 1421هـ–2000م.

203. كيف نتعامل مع القرآن: محمد الغزالي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة السابعة: 2005م.

204. اللباب في علوم الكتاب: عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1419هـ-1998م.

205. لطائف الإشارات لفنون القراءات: أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، تحقيق مركز الدراسات القرآنية.

206. اللهجات العربية في القراءات القرآنية: عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، 1995م.

207. اللهجات العربية في القراءات القرآنية: عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، مصر-الاسكندرية، الطبعة الأولى: 1996م.

208. ليدبروا آياته (حصاد عام من التدبر) المجموعة الأولى: مركز التدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، دار الحضارة للنشر والتوزيع، السعودية-الرياض، الطبعة الثالثة: 1433هـ-2012م.

209. ليدبروا آياته (حصاد عام من التدبر) المجموعة الثالثة: مركز التدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، دار الحضارة للنشر والتوزيع، السعودية-الرياض، 1431هـ-2010م.

210. ليدبروا آياته (حصاد عام من التدبر) المجموعة الثانية: مركز التدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، دار الحضارة للنشر والتوزيع، السعودية-الرياض، الطبعة الأولى: 1432هـ-2011م.

211. ليدبروا آياته (حصاد عام من التدبر) المجموعة الخامسة: مركز التدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1433هـ-2012م.

212. ليدبروا آياته (حصاد عام من التدبر) المجموعة الرابعة: مركز التدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، دار الحضارة للنشر والتوزيع، السعودية-الرياض، الطبعة الأولى: 1432هـ-2011م.

213. مباحث في إعجاز القرآن: مصطفى مسلم، دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: 1416هـ-1996م.

214. مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح، دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة العاشرة: 1977م.

215. مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، مكتبة وهبة-القاهرة.

216. المبسوط في القراءات العشر: أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (تحقيق: سبيع حمزة حاكمي)، مطبوعات مجمع اللغة العربية-دمشق، 1407هـ-1986م.

217. المبسوط في القراءات العشر: أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، تحقيق: حمزة حاكمي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

218. المبسوط في القراءات العشر: أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

219. متن الدرة المضية: أبو الخير محمد بن محمد ابن الجزري، تحقيق: محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى، السعودية-جدة، 1414هـ-1994م.

220. مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، مصر-القاهرة.

221. المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: مركز صالح بن صالح بعنيزة-السعودية، 1407هـ-1987م.

222. محاضرات في علوم القرآن: السيد أحمد ياسين الخياري، مؤسسة المدينة-جدة، الطبعة الأولى1414هـ-1993م.

223. محاضرات في علوم القرآن: غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع-عمان، الطبعة الأولى: 1423هـ-2003م.

224. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1422هـ-2001م.

225. المحرر في علوم القرآن: مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، السعودية-جدة، الطبعة الثانية: 1429هـ-2008م.

226. مختصر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: اختصار وتعليق: صلاح الدين أرقه دان، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان-بيروت، الطبعة الثانية: 1405هـ-1985م.

227. مختصر في مذاهب القراء السبعة بالأمصار: عثمان بن سعيد الداني (تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1420هـ-2000م.

228. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن قيم الجوزية، دراسة وتحقيق: مجموعة من أساتذة العقيدة بالجامعة القصيم، دار الصميعي للنشر والتوزيع، السعودية-الرياض، الطبعة الأولى: 1432هـ-2011م.

229. المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية: شعبان محمد إسماعيل، دار الأنصار للطباعة والنشر والتوزيع.

230. المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى: أحمد بن محمد بن أحمد السمرقندي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع/دمشق-دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع/بيروت، الطبعة الأولى: 1408هـ-1988م.

231. المراحل الثمان لطالب فهم القرآن: عصام بن صالح العويد، دار الحضارة للنشر والتوزيع، السعودية-الرياض، الطبعة الثانية: 1431هـ-2010م.

232. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: شهاب الدين عبد الرحمن المعروف بأبي شامة المقدسي (تحقيق: إبراهيم شمس الدين)، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1424هـ-2003م.

233. مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير، جمع وتخريج: حكمت بشير ياسين، مكتبة المؤيد، السعودية-الرياض، الطبعة الأولى: 1414هـ-1994م.

234. المستويات اللغوية في القراءات (قراءة في البنية من الإسراء إلى الحج): بوسغادي حبيب، علم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد-الأردن، الطبعة الأولى 2015م.

235. مشكل إعراب القرآن: مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة.

236. المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر: المبارك بن الحسن الشهرزوري (تحقيق: عثمان غزال)، دار الحديث-القاهرة، 1428هـ-2007م.

237. مصطلحات القراءات: دراسة في النشر في القراءات العشر لابن الجزري: إبراهيم الهلالي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد-الأردن، الطبعة الأولى 2015م.

238. معاني القراءات: أبو منصور الأزهري محمد بن أحمد (تحقيق ودراسة: عيد مصطفى درويش-عوض بن محمد القوزي)، الطبعة الأولى 1412هـ-1991م.

239. معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1408هـ-1988م.

240. معجم التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، مصر-القاهرة.

241. معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء: أحمد مختار عمر-عبد العال سالم مكرم، مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الثانية: 1408هـ-1988م.

242. معجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1430هـ-2009م.

243. معجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سورية، الطبعة الأولى: 1422هـ-2002م.

244. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى: 1427هـ-2006م.

245. معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات: إبراهيم بن سعيد الدوسري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى: 1425هـ-2004م.

246. معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر: عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثالثة: 1409هـ-1988م.

247. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر-القاهرة، الطبعة الرابعة: 1425هـ-2004م.

248. معرفة الصحابة: محمد بن إسحاق الأصبهاني، تحقيق: عامر حسن صبري، الطبعة الأولى: 1326هـ-2005م.

249. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: شمس الدين أبي عبد الله الذهبي (تحقيق محمد سيد جاد الحق)، دار الكتب الحديثة، الطبعة الأولى.

250. المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة: محمد سالم محيسن، دار الجيل-بيروت/مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الثانية 1408هـ-1988م.

251. المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة: محمد سالم محيسن، دار الجيل، لبنان-بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية-القاهرة، الطبعة الثانية: 1408هـ-1988م.

252. المغني في توجيه القراءات العشر: محمد سالم محيسن، دار الجيل، لبنان-بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر-القاهرة، الطبعة الثانية: 1408هـ-1988م.

253. مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني: أبو العلاء الكرماني، دراسة وتحقيق: عبد الكريم مصطفى مرلج، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1422هـ-2001م.

254. مفهوم التدبر تحرير وتأصيل: أوراق عمل الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم، مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، السعودية-الرياض، الطبعة الأولى: 1430هـ-2009م.

255. مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر: مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية-الدمام، الطبعة الثانية: شوال 1427هـ.

256. مقدمات في علم القراءات: محمد أحمد مفلح القضاة وأحمد خالد شكري ومحمد خالد منصور، دار عمار-عمان، الطبعة الأولى 1422هـ-2001م.

257. المقدمة الجزرية فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه: محمد بن محمد ابن الجزري، تحقيق: محمد تميم الزعبي.

258. المكشاف عما بين القراءات العشر من خلاف: أحمد محمد إسماعيل البيلي، الجار السودانية للكتب، الطبعة الأولى 1419هـ-1998م.

259. الممتع في التصريف: ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق: فخر الدين قباده، دار المعرفة، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1407هـ-1987م.

260. مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، المكتبة التوفيقية، مصر.

261. منجد المقرئين ومرشد الطالبين: ابن الجزري، تحقيق: ناصر جاد، دار الميمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1435هـ-2014م.

262. منهج الفرقان في علوم القرآن: محمد علي سلامة، تحقيق: محمد سيد أحمد المسير، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر-القاهرة، الطبعة الأولى: 2002م.

263. مواقع العلوم في مواقع النجوم (من نفائس علوم القرآن الكريم): جلال الدين عبد الرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني، دراسة وتحقيق: أنور محمود مرسي خطاب، دار التراث للتراث بطنطا.

264. مور الظمآن في علوم القرآن: صابر حسن محمد، الدار السلفية، الطبعة الأولى: 1404هـ-1984م.

265. موسوعة التفسير قبل عهد التدوين: محمد عمر الحاجي، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، سورية-دمشق، الطبعة الأولى: 1427هـ-2007م.

266. الموسوعة القرآنية المتخصصة: مجموعة من العلماء، مطابع التجارية، قليوب-مصر.

267. الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة: مجموعة من المؤلفين، الطبعة الأولى: 1424هـ-2003م.

268. موسوعة علوم القرآن: عبد القادر منصور، دار القلم العربي، سورية-حلب، الطبعة الأولى: 1422هـ-2002م.

269. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد علي التهانوي، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1996م.

270. موقف اللغويين من القراءات القرآنية الشاذة: محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتاب-بيروت، الطبعة الأولى: 1422هـ-2001م.

271. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن: محمد عبد الله دراز، اعتنى به: عبد الحميد الدخاخني، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية-الرياض، الطبعة الأولى: 1417هـ-1997م.

272. نظرية النسخ في الشرائع السماوية: شعبان محمد إسماعيل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1408هـ-1988م.

273. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن البقاعي، خرج أحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب مهدي، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1415هـ.

274. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: نصر الله حاجي مفتي أوعلي، دار صادم، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى: 1424هـ-2004م.

275. الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها: محمد سالم محيسن، دار الجيل-بيروت، الطبعة الأولى 1417هـ-1997م.

276. هكذا عاشوا مع القرآن قصص ومواقف: أسماء بنت راشد الرويشد، مركز تدبر للدراسات والاستشارات، السعودية-الرياض، الطبعة الأولى: 1432هـ-2011م.

277. الواسطي وكتابه الكنز في القراءات العشر: عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي (دراسة وتحقيق: خالد أحمد المشهداني)، دار سعد الدين للطاعة والتوزيع: جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى: 1434هـ-2013م.

278. الواضح في علوم القرآن: مصطفى ديب البغا-محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب-دار العلوم الإنسانية، الطبعة الثانية: 1418هـ-1998م.

279. وثاقة نقل النص القرآني من رسول الله إلى أمته: محمد حسن حسن جبل، دار الصحابة للتراث بطنطا.

280. الوجيز في شرح قراءات القرأة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة: الحسن بن علي الأهوازي المقرئ (تحقيق دريد حسن أحمد)، دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة الأولى 2002م.

281. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، لبنان-بيروت، 1398هـ-1978م.

❑ ❑ ❑

المواقع الإلكترونية

www.library.tafsir.net

www.e-quran.com

www.tadabborq.com

www.fondation.org.ma

www.shamela.ws

www.almaany.com

www.nquran.com

www.ahlalloghah.com

www.dorar.net

furqan.co.www

sunnah.one.www

www.mawsoah.net

www.sultan.org

www.baheth.info

www.mehesen.com

www.addani.ma

❑ ❑ ❑

فهـــرس الموضوعـــات

الإهداء _____ 7

كلمة شكر وتقدير_____ 8

ملخص الرسالة باللغة العربية _____ 11

ملخص الرسالة باللغة الفرنسية _____ 15

ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية _____ 19

مقدمة _____ 23

مختصرات الرسالة _____ 34

الباب الأول

القراءات القرآنية وتدبر القرآن الكريم _____ 37

الفصل الأول

القراءات القرآنية: تعريفها وجهود الأمة فيها _____ 38

المبحث الأول: تعريف القرآن والقراءات وما يستفاد منه _____ 39

المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم _____ 39

المطلب الثاني: تعريف القراءات القرآنية _____ 45

المطلب الثالث: المستفاد من تعريف القرآن الكريم والقراءات القرآنية _____ 51

المبحث الثاني : جهود الأمة في خدمة القراءات القرآنية _____ 61

المطلب الأول: نشأة وتطور علم القراءات القرآنية _____ 61

المطلب الثاني: أقسام القراءات القرآنية _____ 81

المطلب الثالث: القراءات والأحرف السبعة _____ 95

المبحث الثالث: صلة القراءات القرآنية بفهم القرآن الكريم وتدبره _____ 116

المطلب الأول: مكانة علم القراءات القرآنية _____ 116

المطلب الثاني: فوائد تعدد القراءات القرآنية _____ 119

المطلب الثالث: صلة القراءات القرآنية بفهم القرآن الكريم وتدبره _____ 124

الفصل الثاني

تدبر القرآن الكريم: تأملات ووقفات _____ 131

المبحث الأول: مفهوم تدبر القرآن الكريم وحقيقته _____ 132

المطلب الأول: مفهوم تدبر القرآن الكريم وحقيقته _____ 132

المطلب الثاني: التدبر في القرآن الكريم _____ 141

المطلب الثالث: التدبر في السنة النبوية الشريفة _____ 149

المبحث الثاني: علاقة التدبر بالمصطلحات القرآنية الأخرى ـــــــــــــــ 152

المطلب الأول: العلاقة بين التدبر والتفسير ـــــــــــــــ 152

المطلب الثاني: العلاقة بين التدبر والتأويل ـــــــــــــــ 154

المطلب الثالث: العلاقة بين التدبر والتفكر ـــــــــــــــ 156

المبحث الثالث: أهمية تدبر القرآن الكريم وقواعده ووسائله ـــــــــــــــ 158

المطلب الأول: أهمية تدبر القرآن الكريم وأنواعه ـــــــــــــــ 158

المطلب الثاني: قواعد تدبر القرآن الكريم ـــــــــــــــ 165

المطلب الثالث: وسائل تدبر القرآن الكريم ـــــــــــــــ 178

الباب الثاني

أثر القراءات القرآنية في فهم القرآن الكريم وتدبره ـــــــــــــــ 189

الفصل الأول

أثر القراءات في فهم القرآن الكريم وتدبره من جهة اللغة والأسلوب ـــــــــــــــ 190

المبحث الأول: أثر القراءات المتعلقة بالالتفات والإجمال ـــــــــــــــ 191

المطلب الأول: القراءات المتعلقة بالالتفات ـــــــــــــــ 191

المطلب الثاني: القراءات المتعلقة بالإجمال ـــــــــــــــ 206

المبحث الثاني: أثر القراءات المتعلقة بالمفاعلة والتكثير _____ 221
المطلب الأول: القراءات المتعلقة بالمفاعلة _____ 221
المطلب الثاني: القراءات المتعلقة بالتكثير _____ 234
المبحث الثالث: أثر القراءات المتعلقة بالخبر والإنشاء والعموم _____ 246
المطلب الأول: القراءات المتعلقة بالخبر والإنشاء _____ 246
المطلب الثاني: القراءات المتعقلة بالعموم _____ 263

الفصل الثاني

أثر القراءات القرآنية في فهم القرآن الكريم وتدبره من جهة المعنى _____ 276
المبحث الأول : قراءات بينت معنى الآية ووضحت دلالتها _____ 277
المطلب الأول: بيان المعنى من خلال زيادة حرف ونقصه _____ 277
المطلب الثاني: بيان المعنى من خلال التخفيف والتشديد _____ 298
المبحث الثاني: قراءات وسعت الفهم وأضافت معنى تدبري جديد _____ 316
المطلب الأول: وقوع حرف مكان آخر _____ 318
المطلب الثاني: التغيير في الحركات غير الإعرابية _____ 331
المبحث الثالث: قراءات أزالت إشكالا في الفهم والتدبر _____ 344

المطلب الأول: التغيير في بنية الفعل ____ 344
المطلب الثاني: بين المفرد والجمع ____ 359
الخاتمة ____ 370
التوصيات ____ 373
الفهارس ____ 377
فهرس الآيات القرآنية ____ 378
فهرس القراءات القرآنية ____ 398
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة والآثار ____ 404
فهرس مصطلحات البحث ____ 407
فهرس المنظومات والأشعار ____ 409
فهرس الأعلام المترجم لهم ____ 413
فهرس المصادر والمراجع ____ 416
فهرس المواقع الإلكترونية ____ 457
فهرس الموضوعات ____ 458

❑ ❑ ❑

تم بحمد الله